الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي - سرت
كلية الآداب والتربيـــة

قسـم التاريـــخ
شعبة إسلامي

العلاقات التجارية والثقافية

بين المغرب العربي والسودان الغربي

((الثامن – العاشر الهجري / الرابع عشر – السادس عشر الميلادي))

بحث مقدم لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة
ريم بدري يحيى الزادمة

إشراف الدكتور
صالح مصطفى مفتاح المزيني

للعام الجامعي 2008 ف

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية قسم التاريخ / شعبة حديث

" العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي "

" من القرن الثامن إلى العاشر الهجري / الرابع عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي"

إعداد :ـــ ريم بدري يحي الزادمه.

أعضاء لجنة المناقشة:ـــ

1- د. صالح مصطفى المزيني.

2- د. صالح معيوف مفتاح.

3- د. الهادي المبروك الدالي.

توقيع

.....

.....

.....

يعتمد

أ. رحمة ابوبنينة عبد السلام

مدير مكتب الدراسات العليا

والتدريب لكلية الاداب والتربية

يعتمد

أ. حمد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية

الآداب والتربيـــة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات ، الآية 13 .

الإهـــــداء

***

إلى روح والدي الطاهرة

تغمده الله بواسع رحمته وفسيح جنانه

الباحثـــة

شكـــــر وتقديـــــر

* * *

بعد أن أنهيت رسالتي هذه ، أتقدم بفائق الشكر والعرفان بالجميل لكافة من ساهم معي في إثراء هذا العمل العلمي المتواضع وإظهاره في صورته النهائية .

كما أتقدم بخالص شكري وغزير امتناني للدكتور صالح مصطفى المزيني المشرف على رسالتي ، على ما بذله من موجودات مكتبته وذخير معلوماته القيمة ووقته الثمين ، جزاه الله عني خير الجزاء .

كما يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والعرفان للدكتور عطية مخزوم الفيتوري أستاذي الفاضل الذي ذلل أمامي كافة الصعوبات التي واجهت بداية دراستي ، وقدم لي كل التسهيلات بمكتبة جامعة قاريونس ، فلكافة العاملين بها جزيل الشكر والتقدير .

يسعدني ايضاً أن أتقدم بشكري وامتناني لكافة الأساتذة بقسمي التاريخ واللغة العربية ، وأخص منهم الأستاذ أحمد الحاج أمين كلية الآداب بالجامعة لتشجيعه لي للبحث في هذا المجال ، وأهمية دراسة مثل هذه الموضوعات وقيمتها داخل المجتمعات العربية الإسلامية ، والأستاذ عبد الرؤوف بابكر الذي ساهم معي في مراجعة دراستي وتصويب ما بها من زلات لغوية .

والأستاذة إصلاح محمد البخاري بالمركز العقائدي طرابلس ، التي أفادت هذه الدراسة بالعديد من المخطوطات والمصادر ذات الأهمية ، والتي كان لها دورها الواضح في إثراء هذا العمل العلمي المتواضع .

كما أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير لكافة العاملين بالمراكز العلمية من بينها المكتبة المركزية بجامعة التحدي سرت ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، ومركز جهاد الليبيين بنغازي ، ومركز جهاد الليبيين طرابلس ، وجمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ، والمركز العقائدي بطرابلس ، ومكتبة جامعة الفاتح طرابلس ، وجامعة تونس 1 ، ودار الكتب الوطنية بتونس ، وجامعة القيروان بتونس ، فلهم مني جميعاً جزيل الشكر والعرفان .

كما أتقدم بشكري وتقديري لكافة أفراد عائلتي ، وأخص منهم الأستاذ محمد دخيل بدري ، والأستاذ أبو سبيحة بدري ، وعبد الله بدري الذين ذللوا أمامي كافة الصعوبات التي واجهت دراستي .

والله ولي التوفيق

الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ - ي
الفصل الأول : لمحة جغرافية بشرية في كل من المغرب العربي والسودان الغربي	2 -19
أولاً : الموقع الجغرافي	2
أ- المغرب العربي	2
1- المغرب الأدنى .	3
2- المغرب الأوسط	4
3- المغرب الأقصى	4
ب- السودان الغربي	5
1- السودان الشرقي	7
2- السودان الأوسط	7
3- السودان الغربي	7
ثانياً : تضاريس ومناخ المغرب العربي والسودان الغربي	8
أ- التضاريس	8
1- الصحراء الكبرى	8
2- الأنهـــــار	9
- نهر النيجـر	9
- نهر السنغال	10
- نهر غامبيـا	10
ب- المناخ	11
ثالثاً : العناصر السكانية	13
أ- الماندنجو	13
ب- الفلانيون	13
ج- القبائل الصنهاجية	15
د- البرابيش :	16
هـ- قبائل كنتة أوكونتا	18
و- السرابطين	18

الفصل الثاني : العوامل التي ساعدت على بلورة الروابط التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي	20 – 48
أولاً : العامل السياسي	21
ثانياً : بور وجهود السلاطين في نشر الثقافة وتدعيم التجارة	29
ثالثاً : العامل الديني	32
أ- صفات التجار	32
ب- الحج وأثره	33
ج- انتشار الطرق الصوفية	34
1- الطريقة القادرية	35
2- الطريقة العروسية	36
رابعاً : العامل الاجتماعي	38
أ- الأنماط الاجتماعية	38
ب- الهجرة والمصاهرة	41
خامساً : الطرق التجارية ووسائلها	43
أ- طرق التواصل بين المغرب العربي والسودان الغربي	43
1- طرق القوافل	43
2- النقل النهري	45
3- النقل البحري	46
ب- وسائل الموصلات	46
1- الإبل	46
2- نزل المسافرين	47
الفصل الثالث : العلاقات التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي	49 – 68
أولاً : المراكز التجارية بالمغرب العربي	50
أ- سجلماسة	50
ب- توات	51
ج- غدامس	51

د- درعة	54
هـ- فزان	55
و- تيكورارين	55
ز- تغازا	55
ثانياً : المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي	58
أ- تكدا	58
ب- تنبكتو	58
ج- جاوا	60
د- جيني	61
ثالثاً : السلع التجارية	63
أ- السلع المغربية	63
1- الملح	63
2- الأقمشة	63
3- الكتب	64
4- المصنوعات النحاسية	64
5- الحلى الزجاجية والعطور	65
ب- السلع السودانية	65
1- الذهب	65
2- الرقيق	67
3- التبغ	68
الفصل الرابع : العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي	96 – 69
أولاً : الأعلام	71
أ- نماذج من أعلام المغرب العربي	71
1- أحمد الزروق الفاسي	71
2- محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني	75

ب- نماذج من أعلام السودان الغربي	79
1- أحمد بابا التنبكتي	79
2- مخلوف بن علي بن صالح البابلي	84
3- العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي	85
ثانياً : المراكز	86
أ- المراكز الثقافية ببلاد المغرب العربي	86
1- سجلماسة	86
2- فاس	87
3- غدامس	88
4- ودان	89
ب- المراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي	91
1- تنبكتو	91
- جامع سنكرى	91
- المسجد الكبير (جنغري بير)	93
- مسجد سيدى يحيى	93
- المكتبات في تنبكتو	94
2- جيني	95
الفصل الخامس أثر الثقافة العربية الإسلامية المغربية على بلاد السودان الغربي	97 – 125
أولاً : الأثر السياسي	98
أ- الأنظمة السياسية	98
1- اختيار الملوك وكيفية تنصيبهم	98
2- ولاية العهد	99
ب- الأنظمة الحربية	100
ج- الأنظمة الإدارية والمالية	102
د- النظم القضائية	104
ثانياً : الأثر الاجتماعي	106
أ- النظام الأسرى	106
ب- الملابس	107

ج- الطعام والشراب	108
ثالثاً : الأثر الثقافي	109
أ- الاندماج بين اللغة العربية واللهجات المحلية	109
ب- إتباع المذهب المالكي	113
ج- إتباع طرق التعليم المغربية	114
- التعليم الابتدائي	114
- التعليم الثانوي	115
- التعليم العالي	116
- نظام منح الإجازات	116
د- الاحتفال بالمناسبات الدينية	117
1- الاحتفال بشهر رمضان المبارك	117
2- الاحتفال بالعيدين	118
3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف	118
هـ- الفن المعماري	119
خامساً : الأثر التجاري	121
أ- تأمين طرق القوافل	121
ب- ظهور الوكلاء التجاريون	121
ج- أساليب التعامل التجاري	122
1- المقايضة	122
2- العملات	123
- العملة الذهبية	123
- النقود الفضية والنحاسية	123
- الصكوك	124
3- الأوزان والمكاييل والمقاييس	124
أ- الموازين	124
ب- المكاييل	125
ج- المقاييس	125
الخاتمة	128 – 126
الملاحق	149 – 129
ثبت المصادر والمراجع	166 – 150

جدول الاختصارات
التي تم استخدامها في البحث

الاختصار	الكلمة
ت	توفى
ج	الجزء
د.ت	دون تاريخ نشر
ص	الصفحة
ص ص	الصفحات
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
/	علامة فاصلة بين التاريخ الهجري والميلادي
-	إلى
p	page
p.p	pages
op.cit	المرجع السابق

المقدمـــة

ساهمت الدولة الإسلامية الأولى ، ومنذ بداية نشأتها بشبه الجزيرة العربية بعد أن وثقت جذورها لتكوين الصلات مع الدول المجاورة لها ، وخاصة بعد أن قامت بنشر الإسلام وثقافته بمناطق مختلفة من العالم ، وسارت على خطاها الدولة الأموية التي كان لها الأثر الأوفر في هذا المجال ، وخاصة في القارة الأفريقية في الجانبين الشمالي والجنوبي ، وهذا ما يعرف في تلك الفترة بالفتوحات الإسلامية ، والذي أدى بدوره إلى الاندماج بين العناصر الإسلامية ، وغيرها من شعوب القارة، وتكوين ما يعرف بالدول والجماعات الإسلامية ، وهذا ما حدث تماماً في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي أرسل الفاتح العربي عقبة بن نافع ، لنشر الإسلام وثقافته ببلاد السودان الغربي ، ونتج عن ذلك تكوين قبائل الفلان بسبب الامتزاج ما بين الجيش العربي المسلم والمسلمون بجنوب غرب أفريقيا .

وبما أن الإسلام قد تمكن من غرس جذوره الأولى في شمال القارة أي بلاد المغرب ، وتغلغل بها ، فكانت حضارته أعمق وأشمل من المناطق الجنوبية ، وخاصة أثناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي التي ظهرت فيه العديد من الفرق الإسلامية هدفها ارتداع الناس والعودة إلى الدين ، ومن بينها طائفة المرابطين ، الذي ارتحل مؤسسها الأول عبد الله بن ياسين إلى بلاد السودان الغربي، وأنشأ رباطة بها ، وأخذ يدعوا الناس إلى الإسلام ويعلمهم اللغة العربية لغة القرآن ، فقد بدأت البذور الأولى تنتشر لتبني تضامناً تجارياً وثقافياً بين دولتي المغرب العربي والسودان الغربي .

وهذا ما حدث بالفعل ، وخاصة بعد أن تمكن المرابطون من إسقاط دولة غانا الوثنية ، وكوّنوا مملكة مالي الإسلامية بدلاً منها ، وأنشأوا المراكز الثقافية التي قامت بدور الوسيط التجاري والثقافي ما بين المغرب وبلاد السودان الغربي .

أ- أهمية الدراسة :

تعد دراسة العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي من ضمن الموضوعات ذات الأهمية ، والتي لا تزال تحتاج إلى بحوث دقيقة ومتطورة ، وخاصة إذا توفر للباحث الوقوف على الأحداث وبزيارات ميدانية ، إلا أن الباحثة ترجوا أن تكون قد أصابت بعض الحقائق التاريخية الدالة على إثبات العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين .

ب- أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفع الباحثة لاختيار هذا الموضوع العديد من الأسباب أهمها :

1- إن دراسة العلاقات التجارية والثقافية بين المنطقتين ، خلال العصور الوسطى بمنظور جديد ، يبعث في نفوس المسلمين التواصل بشكل أعمق وأشمل .

2- رغبة في طرق بعض الموضوعات التي لها علاقة وثيقة بحياة الإنسان العربي المسلم بالمغرب العربي في العصور الوسطى ، وكيفية بداية اندماجه الاجتماعي ، الذي بدأ بانتشار الإسلام ، حيث تعامل فيها التاجر المسلم مع التاجر الزنجي بغرب أفريقيا بصورة ودية ، وإن كانت دوافعها الأولية تحقيق الربح المادي ، إلا أنها بصورة تلقائية أدت إلى انتشار الإسلام وثقافته هناك .

3- عدم إطلاعي على دراسة تخصصت في إثبات العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب والسودان الغربي في الفترة الزمنية المذكورة .

ج- أسباب تحديد الفترة الزمنية :

أما عن أسباب تحديد الفترة الزمنية ما بين القرنين الثامن – العاشر الهجري /الرابع عشر – السادس عشر الميلادي ، لعدة أسباب مردها :

1- سقوط دولة غانا الوثنية على يد المرابطين ، وظهور مملكة مالي الإسلامية بدلا منها .

2- تعد من أزهى فترات الازدهار التجاري والثقافي بين المغرب وبلاد السودان الغربي .

د- أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة للإجابة على العديد من التساؤلات أبرزها :

1- هل تعد البيئة والعناصر السكانية من ضمن الدوافع الأولية ، التي ساهمت في ربط العلاقات العامة بين المغرب العربي والسودان الغربي ؟

2- ما هي أبرز العوامل التي ساعدت على بلورة الروابط التجارية والثقافية بين البلدين ؟

3- ما هي أهم المراكز التجارية والثقافية في كل من المغرب العربي والسودان الغربي ، وهل ساهمت بدور بارز في توثيق العلاقة بينهما ؟

4- كيف ساهمت الفئات الثقافية من علماء وفقهاء في إثراء المكتبات الإسلامية بالعديد من المؤلفات العربية الأفريقية ؟

5- ما هي المؤثرات التجارية والثقافية المغربية التي ظهرت ملامحها واضحة في البلاد السودانية ؟

هـ - المنهج المتبع :

لقد اتبعت الباحثة في سير هذه الدراسة منهجية سرد الأحداث في بعض الأحيان ، وتحليلها ومقارنتها أحيانا أخرى ، وذلك حسب متطلبات البحث .

و- مشكلات الدراسة :

لقد واجهت الباحثة أثناء رحلة بحثها العديد من الصعاب من بينها :

1- إن معظم الكتابات التي أطلعت عليها لم تلتزم بالفترة الزمنية المحددة في سرد موضوعاتها ، فمثلا عندما أردت الكتابة عن طرق القوافل التجارية التي سلكها التجار أثناء فترة الدراسة ، وجدتها قد أخذت من مصادر قديمة في الوقت الذي كان العنوان معاصر لدراستي ، وبما أن المسالك التجارية غير ثابتة وتتغير من قرن إلى أخر ، فيجب على الكاتب هنا مراعاة ذلك .

2- عدم شعور بعض الكتاب المسئولين في المراكز العلمية ، والذين لديهم خبرات واسعة ، وإمكانيات هائلة ، بما يعانيه الباحث من إشكاليات ، ومساعدته في إيجاد حلول لها ، وهذا ما تسبب بعض القصور في العديد من الدراسات .

ي- الدراسات السابقة :

تعد الدراسات السابقة ذات أهمية قصوى فيما يخص البحوث الجامعية ، وخاصة في الدراسات العليا منها ، فهي توضح للباحث أهم الأحداث التي تمت الكتابة فيها ، وكيف كتبت ؟ وهل تحتاج إلى إضافات يجب مراعاتها ؟ ومعرفة الفترات الزمنية التي تمت الكتابة عنها ، لهذا اعتمدت الباحثة في دراستها على العديد منها أهمها :

1- الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الأفريقية بالقاهرة ، 1989 م ، لأحمد فتوح عابدين ، احتوت هذه الرسالة على ما يوثق العلاقات بين البلدان العربية شرق القارة وشمالها ، وأثر حضارتها الزاهرة على بلاد السودان الغربي ، فهي تعالج القرن الأخير من هذه الدراسة ، بما فيها من إشارات تدل على العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين .

2- التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد ، بيروت ، 1996 م ، لأمنير سعد غيث ، يمتاز هذا الكتاب بالدقة والشمولية وسرد الأحداث في إطار التحديد الزمني ، فهو من نوادر

المؤلفات العصرية ، استفادت الباحثة منه في مواضع مختلفة من هذه الدراسة ، وبالذات في الفصل الخامس منها.

3- أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1998 م ، لنخبة من الأساتذة ، تحتوي الندوة على العديد من المقالات القيمة ، معظم المعلومات التي تناولتها تدخل ضمن الإطار الزمني لهذه الدراسة ، لهذا اعتمدت عليها الباحثة من بداية الفصل الأول وحتى نهاية الدراسة ، وهي من الندوات القيمة الدقيقة التي يحتاج إليها الباحث والقارئ في العلاقات العربية الأفريقية بوجه عام ، وترجع أهميتها في أنها تبين مدى اهتمام الكتاب العرب بالجزء الغربي من القارة الأفريقية والتضامن الثقافي فيما بينهم ، وتوضح كيف تكون قوة المعلومات ورصانتها .

4- الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2005 م ، لامطير سعد غيث أحمد ، يشتمل هذا الكتاب على أهم المعلومات وأوثقها ، التي تعالج الأثر الثقافي ، الذي خلفته الحضارة العربية الإسلامية في المشرق الإسلامي وشمال أفريقيا على بلاد السودان الغربي ، وتكمن أهمية الدراسة في اعتماد مؤلفها على الرواية الشفوية ، حيث زار السودان الغربي، واطلع على المعلومات من مصادرها الأساسية حيث اعتمد على العديد من الوثائق والمخطوطات السودانية ، التي زادت من قيمة الدراسة ومصداقيتها ، وقد أفاد الدراسة منذ بدايتها وحتى الفصل الخامس منها .

هـ - دراسة لأهم مصادر ومراجع البحث :

استفادت الباحثة في كتابتها لهذه الدراسة بالعديد من الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع ذات الأهمية من بينها :

1- الوثائـــق :

من أهم الوثائق التي تعرضت لها الدراسة ، مراسلات بين البلدين بدل مضمونها على رسوخ العلاقات التجارية والثقافية بينهما منها :

أ- رسالة من الحاج عبد الرحمن بن الحاج علي من تنبكتو إلى عيسى بن إحميد الغدامسي ، توضح مدى أهمية الإبل كأحد وسائل المواصلات بينهما .

ب- وثيقة بمركز أحمد بابا التنبكتي تبين اكتظاظ تنبكتو بالسكان من أهالي المغرب والسودان على حدٍ سواء ، فهي تظهر مدى الاندماج الاجتماعي بين المغرب والسودان الغربي .

2- المخطوطات :

استعانت الباحثة بعدد بسيط منها ، ومن أهمها بعض مؤلفات أحمد بابا التنبكتي مثل :

أ- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء .

ب- ما رواه الرواة في مجانبة الولاة كتبها عام (997 هـ/1588 م) .

ج- درر السلوك بذكر أفاضل الخلفاء والملوك .

حيث تظهر أهميتها في أن مؤلفها من أهم الشخصيات العلمية ، التي عاصرت القرن الأخير من هذه الدراسة ، كما أنه من أبرز أعلام السودان الغربي الذين رحلوا إلى بلاد المغرب ، وربطوا العلاقة الثقافية بين البلدين .

بالإضافة إلى بعض المخطوطات الأخرى من بينها مخطوط تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان ، لمحمد عثمان بن محمد بن عثمان فودى ، يعد هذا المخطوط من ضمن أهم المخطوطات التي أفادت الدراسة في جانبها الثقافي ، وينقسم إلى سبعة فصول جميعها تتحدث عن بلاد السودان الغربي ، وشعوبها والحكام الذين مروا عليها ، إلا أن الباحثة استعانت به في الفصل الرابع ، حيث يبين الفصل السادس من المخطوط وصية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، أحد أعلام المغرب العربي إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو ، وهذا

من أفضل الأدلة التي تبين نقل المؤثرات الثقافية الإسلامية من بلاد المغرب إلى السودان الغربي .

3- المصادر المنشورة ، أهمهـــا :

أ- المصادر الجغرافية والرحلات :

ساهمت المصادر الجغرافية في إثراء هذه الدراسة ، فهي لا غنى عنها ، لسرد بعض المعلومات في الفصل التمهيدي ، ومن أهمها :

1- صورة الأرض لابن حوقل (ت 367 هـ/977 م) .

2- المسالك والممالك للاصطخرى ، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (ت 350 هـ/981 م) .

3- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقديسي ، وهو أيضاً من أعلام القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (ت 387 هـ/997 م) .

4- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب للبكرى (ت 487 هـ/1164 م) .

5- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي ، وهو من أعلام عام (393 – 460 هـ/1100 – 1164 م) .

وقد استخدمت هذه المصادر المهمة في الفترة السابقة للمدى الزمني للدراسة.

كتب الرحلات ، من أهمهـــا :

1- رحلة ابن بطوطه ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لعبد الله محمد بن بطوطه (ت 779 هـ/1377 م) ، حيث يحوي في الجزء الأخير نص الرحلة التي قام بها المؤلف لبلاد السودان الغربي عام (753 هـ /1352 م) ، وسجل أحداثها منذ دخوله إليها وحتى رجوعه إلى بلاد المغرب ، وقد بينت إشارته ربط المنطقتين بعلاقات تجارية وثقافية واجتماعية.

2- وصف أفريقيا للحسن بن محمد الوزان (ت 944 هـ/1537 م) ، يتكون من جزئين تظهر في الجزء الأول تفصيلات واضحة لبلاد المغرب العربي ، أما الجزء الثاني فقد بين فيه العديد من مناطق السودان الغربي مع ذكر بعض العادات والتقاليد العربية والسودانية ، وترجع أهميته إلى أن معظم المادة العلمية الواردة فيه كان مصدرها مشاهدته الشخصية ، حيث قام بزيارة بلاد السودان الغربي مرتين ، الأولى (919 هـ/1513 م) ، والثانية عام (921 هـ/1515 م) ، وهي الفترة التي كانت فيها دولة سنغاي الإسلامية في أزهى عصورها ، وقد استفادت الباحثة من هذا المصدر المهم في الدراسة بصفة عامة ، وخاصة في ذكر أهم المراكز التجارية والثقافية لكل من البلدين .

ب- المصادر التاريخية ، أهمهـــا :

1- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، لابن خلدون (ت 808 هـ/1405 م) ، يعد من أعلام القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، يحوي هذا الكتاب سبعة أجزاء ، الأول يسمى المقدمة وقد بين فيه تعريفات للتاريخ وأهميته من حيث أنه فرع من الحكمة ، كما تضمن العديد من المعلومات القيمة عن حضارة العرب وأنظمة حكمهم ، وقد سد جزءا قيما من هذه الدراسة ، حيث تم الاستفادة منه في بعض التعريفات الخاصة ببلاد المغرب والسودان الغربي ، ومعرفة الظروف المناخية بالمنطقة ، كما أفادني فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين سلاطين البلدين وبين أهم السفارات بينهم .

2- تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي (ت 1066هـ/1655م) ، يعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات السودانية التي تسد كافة الثغرات لدى الباحث في العلاقات العربية الأفريقية منذ بداية دولة مالي الإسلامية حتى الحكم المغربي لبلاد السودان الغربي ، وقد استخدم هذا المصدر في مواضع مختلفة من الدراسة ، من الفصل الثاني وحتى نهاية الفصل الخامس .

ج- كتب التراجـــم :

لكتب التراجم أهميتها القصوى في دراسة الأوضاع الثقافية لبعض العلماء في كل من البلدين ، وما قاموا به من إنتاج علمي رصين ، من أبرزها :

1- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت 1037 هـ/1627 م) ، يتكون من جزئين يترجم لفئة من العلماء المهتمين بالدراسات الدينية والعربية ، وتميز بدقة المعلومات ، وخاصة عن من عاشرهم ، وترجع أهميته في أن مؤلفه من أهم الشخصيات الثقافية السودانية الرابطة بين دول الساحل والصحراء ، وبالذات منطقة السودان الغربي موطنه الأصلي ، وتمت الاستفادة منه في الفصل الرابع فيما يخص بعض أعلام البلدين ومؤلفاتهم .

2- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، لمحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (ت 1219 هـ/1808 م) ، يعد هذا المصدر من بين كتب التراجم ذات الأهمية ، حيث يسد جزءا كبيرا مما يحتاجه الباحثون في الدراسات الأفريقية ، وخاصة من الجوانب الثقافية ، لاحتوائه عددا كبيرا من الشخصيات العلمية يصل عددهم إلى حوالي تسع ومائتي شخصية ، استقروا في أفريقيا فيما وراء الصحراء من (1056 - 1216 هـ/1650 - 1800 م) ، ذكر فيه تاريخ ومكان مولد هؤلاء العلماء ، بالإضافة إلى تاريخ وفاتهم وأسماء أساتذتهم ، وبعض مؤلفاتهم ورحلاتهم إذا كانوا رحالة ، وقد تم ترتيب العلماء به حسب الحروف الهجائية ، تمت الاستفادة منه في الفصل الرابع لترجمة حياة بعض العلماء ودورهم الثقافي في ربط العلاقات بين المغرب والسودان الغربي ، منهم على سبيل التمثيل أحمد الزروق الفاسي ، ومخلوف بن صالح بن علي البابلي .

4- المراجع العربية :

تعد المراجع العربية من أهم الكتابات التي تمت الاستفادة منها ، وتعود أهميتها في أن معظم مؤلفيها كان هدفهم من كتابتها هو إظهار الحقائق بعد مقارنتها والتدقيق في معلوماتها ، والاعتماد على أهم الوثائق والمخطوطات المعاصرة لها ، وإزالة ما يكتنفها من غموض :

أ- مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن (13- 15 م) للهادي المبروك الدالي ، 2001 م ، يتناول الكتاب بعض المعلومات

القيمة عن الدول السودانية والعربية مع توضيح بعض المقارنات السياسية والثقافية بينهم ، وتكمن أهميته في اعتماد مؤلفه على العديد من المخطوطات والمصادر المتنوعة وزيارته الميدانية لمنطقة الدراسة ، ووقوفه على الأحداث التاريخية ، حيث يعد من ضمن المهتمين بدراسة العلاقات العربية الأفريقية ، وقد أفاد الباحثة بكثير من المعلومات ، وسد الكثير من الثغرات في مواضيع مختلفة من البحث ، بداية من الفصل الثاني وحتى نهاية الدراسة .

ب- مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ، 1406 هـ/1986 م ، لوداد نصر محمد الطوخي ، تعد من أهم الرسائل الجامعية التي استعانت بها الباحثة في سد بعض الثغرات في الفصل الثالث فيما يخص المراكز التجارية السودانية .

كما تضمنت الدراسة العديد من المصادر والمراجع ذات الأهمية والتي لا يطول المقام لذكرها ، وتضمنتها قائمة المصادر والمراجع .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي :

- الفصل الأول : لمحة جغرافية بشرية في كل من المغرب العربي والسودان الغربي .

تضمن هذا الفصل الموقع الجغرافي لكل من البلدين مع لمحة تضاريسية ومناخية ، التي كان لها دورها الواضح في تسهيل حركة الترابط بين البلدين ، بالإضافة إلى ما ساهمت به القبائل الكبرى من دور فعال في ذلك .

- الفصل الثاني : العوامل التي ساعدت على بلورة الروابط التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي .

تطرق الفصل الثاني إلى العديد من العوامل التي وثقت العلاقات بين البلدين، ومن بينها العامل السياسي والديني والاجتماعي ، كما تطرق أيضاً إلى التجارة ووسائلها والطرق التي سلكها التجار لذلك الغرض .

- الفصل الثالث : العلاقات التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي .

- تناول هذا الفصل الجانب التجاري ، حيث درس فيه المراكز التجارية المهمة في كل من البلدين ، والتي لها دورها في عمليات الربط التجاري بين تجار المغرب وبلاد السودان متضمناً السلع التجارية المتبادلة بينهما .

- الفصل الرابع : العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي .

درس الفصل الرابع الأحداث الثقافية ، وبين مدى قوة العلاقات بين البلدين وبان هذه العلاقات أسستها نماذج من أعلام المغرب العربي والسودان الغربي ، حيث تم التركيز في هذه الدراسة على أهم الأعلام الذين ارتحلوا بين البلدين لغرض الإفادة والاستفادة ، رغم أن ذلك لا يعني أن الأعلام الذين لم يرتحلوا لم تكن لهم علاقات تربط بينهما سواء كان ذلك في بلاد المغرب ، أو السودان الغربي ، كما تضمن الفصل بعض المراكز الثقافية التي لعبت أدواراً واضحة في إثراء البلدين علمياً وثقافياً .

- الفصل الخامس : أثر الثقافة العربية الإسلامية المغربية على بلاد السودان الغربي :

لقد ظهرت في الفصل الأخير من هذه الدراسة أهم النتائج التي توصلت إليها بربط البلدين بعلاقات تجارية وثقافية ظهرت ثمارها في تطورات سياسية مغربية شملت اختيار الملوك ، وكيفية تنصيبهم ، كما انتقلت إلى بلاد السودان الغربي مظاهر الحكم المغربي المتمثل في ولاية العهد وإنشاء الأنظمة الحربية بدافع الحركة الجهادية في سبيل نشر الإسلام ، كما تضمن هذا الفصل الأنظمة المالية والإدارية ، وكيف نقلت من بلاد المغرب إلى بلاد السودان ، بالإضافة إلى الأنظمة القضائية .

كما درج تحت أثر الثقافة المغربية على بلاد السودان ، الأثر الاجتماعي من نظام أسري ، وكيف بدأت هذه النظم يعمل بها وفقاً للشريعة الإسلامية ، وهذا ما

كان له أعمق الأثر في ارتداء الزي الإسلامي السائد بالمغرب ، كما انتقلت الأطعمة المغربية إلى هناك ، وكان لها أعمق الأثر في توحيد الأنماط المعيشية بين البلدين .

وقد كان للجانب الثقافي بصماته الواضحة في نفوس أهالي السودان الغربي ، بسبب الاندماج الذي حدث بين اللغة العربية واللهجات المحلية ، وقد أضافت الباحثة هنا كتابة اللهجة الأفريقية باللغة الإنجليزية لتظهر واضحة اللفظ لمن يرغب في معرفة هذا الاندماج الثقافي طويل الأمد ، والذي ساهمت فيه الطرق التعليمية بجميع مراحلها الابتدائية والثانوية والعليا، وخاصة إن كانت المؤلفات التي تدرس مالكية .

كما تضمن هذا الفصل كيفية الاحتفال بالمناسبات الدينية ، وكيف انتقل الفن المعماري المغربي ، بالإضافة إلى الأثر التجاري وظهور أساليب جديدة في التعامل بين البلدين بطريقة أدق وشرعية أكثر .

وفي الختام أحمد الله المتفضل على جميع العباد بالتوفيق ، الميسر لهم سبل التقدم بنور العلم وهدى المعرفة ، فأساله القبول والاستحسان والسماح فيما أصاب البحث من زلات ، وما توفيقي إلا بالله .

الباحثة

الفصـــــل الأول

لمحة جغرافية بشرية في كل
من المغرب العربي والسودان الغربي

أولاً : الموقع الجغرافي .

ثانياً : تضاريس ومناخ المغرب العربي والسودان الغربي.

ثالثاً : العناصر السكانية .

لمحة جغرافية بشرية في كل
من المغرب العربي والسودان الغربي

أولاً : الموقع الجغرافي :

حدَّد العديد من جغرافي ورحالة ، ومؤرِّخي الإسلام ، قدماء ومحدثين مثل : ابن عذارى المراكشي ، المقدسي ، الأصطخري ، موقع منطقتي المغرب العربي ، والسودان الغربي ، وبينوا في ذلك عدة آراء أهمها:

أ- المغرب العربي :

اتفق بعض المؤرخين المسلمين على تسمية المنطقة الممتدة بين الإسكندرية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ببلاد المغرب العربي ، وإن ظهرت بعض الاختلافات البسيطة فيما أوردوه من تحديد .

إن حدود المغرب العربي ، كما بينها مؤرخو القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، أمثال ابن عذارى المراكشي ، الذي يرى أنها تبدأ من النيل شرقاً إلى سلا[1] غرباً[2] في حين بين ابن حوقل أنها تمتد من مصر شرقاً إلى (طنجة)[3] غرباً[4] .

بينما يرى المقدسي أن حدود المغرب من جهة الشرق برقه[5] ، وهي بين مصر وافريقية[6] في الوقت الذي اختلف فيه الأصطخرى اختلافاً واضحاً عن مؤرخي عصره ، وبين حدود المنطقة من كافة جهاتها ، فهي في رأيه تمتد من الإسكندرية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن بحر الروم شمالاً حتى العرق

1- سلا : بنيت هذه المدينة على شاطئ المحيط الأطلسي ، ليست بعيدة عن مدينة الرباط المغربية بينهما نهر يسمى نهر رقراق = الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف أفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1983 م) ، ج2 ، ص 207 .

2- البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج – س كولان وليفي بروفسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، د.ت) ، ج1 ، ص 5 .

3- طنجة : مدينة قديمة بالمغرب موقعها على ساحل البحر وتعرف باللغة البربرية (وليلى) = محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، دار هيد ليرغ ، (بيروت ، 1984 م) ، ص ص 395 ، 396 .

4- صورة الأرض في الطول والعرض ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، د.ت) ، ص 64 .

5- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، (بيروت ، 1989 م) ، ص 216 .

6- أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذري البغدادي : فتوح البلدان ، تحقيق إبراهيم بيضون ، دار اقراء ، (بيروت ، 1992 م) ، ص 32 .

الرملي جنوبا[1] ، أما حدود المغرب العربي كما بينها بعض مؤرخي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ومن بينهم ابن خلدون الذي أورد أن هذه المنطقة تمتد من (بحر القلزم)[2] شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر الرومي شمالاً إلى العرق الرملي جنوبا[3] ، أما الناصري أحد أعلام القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي ، فقد أورد أن بلاد المغرب تمتد من برقه شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر الرومي شمالاً حتى الجبال الرملية جنوباً على اعتبار أن برقه خارجة عن بلاد المغرب[4] .

وبعد عرض آراء بعض المؤرخين في تحديد بلاد المغرب العربي ، ابتداءً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وانتهاءً بالقرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي ، يتضح أنه حدثت بينهم بعض الاختلافات البسيطة من جهة الشرق ، وعليه يمكن تحديد المنطقة المراد دراستها بتحديد المؤرخين المعاصرين لفترة الدراسة ، ومن بينهم ابن خلدون الذي بين أن منطقة المغرب العربي تمتد من بحر القلزم شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر الرومي (المتوسط) شمالاً إلى العرق الرملي جنوبا ، هذا من الجهات الثلاثة الأخرى ، أما من جهة الشرق ، فالباحثة ترجح رأي المقديسي الذي يرى أن حدود المنطقة من جهة الشرق برقه ، كما سبق ذكره ، ثم تم تقسيم هذه المنطقة إلى عدة أقسام هي :

1- المغرب الأدنى :

يشتمل على أربع مناطق هي : برقه ، وطرابلس ، وتونس وشرق الجزائر[5] ، وقاعدته الأساسية في صدر الإسلام مدينة القيروان ، أما قاعدته خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي مدينة تونس[6] .

1- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، دار القلم ، (القاهرة ، 1961 م) ، ص 33 .

2- بحر القلزم : البحر الأحمر وسمي بهذا الاسم نسبة لمدينة من أعمال مصر على ساحله وسمي القلزم لأنه في مضايق بين الجبال والقلازم الدواهي والمضايف = الحميري : المصدر السابق ، ص 466 .

3- العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1992 م) ، ج6 ، ص ص 114 ، 115 .

4- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء ، 1954 م) ، ص 71 .

5- عبد الباسط دردور : أمصار المغرب العربي ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 2002 م)، ص 30.

6- الناصري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 71 .

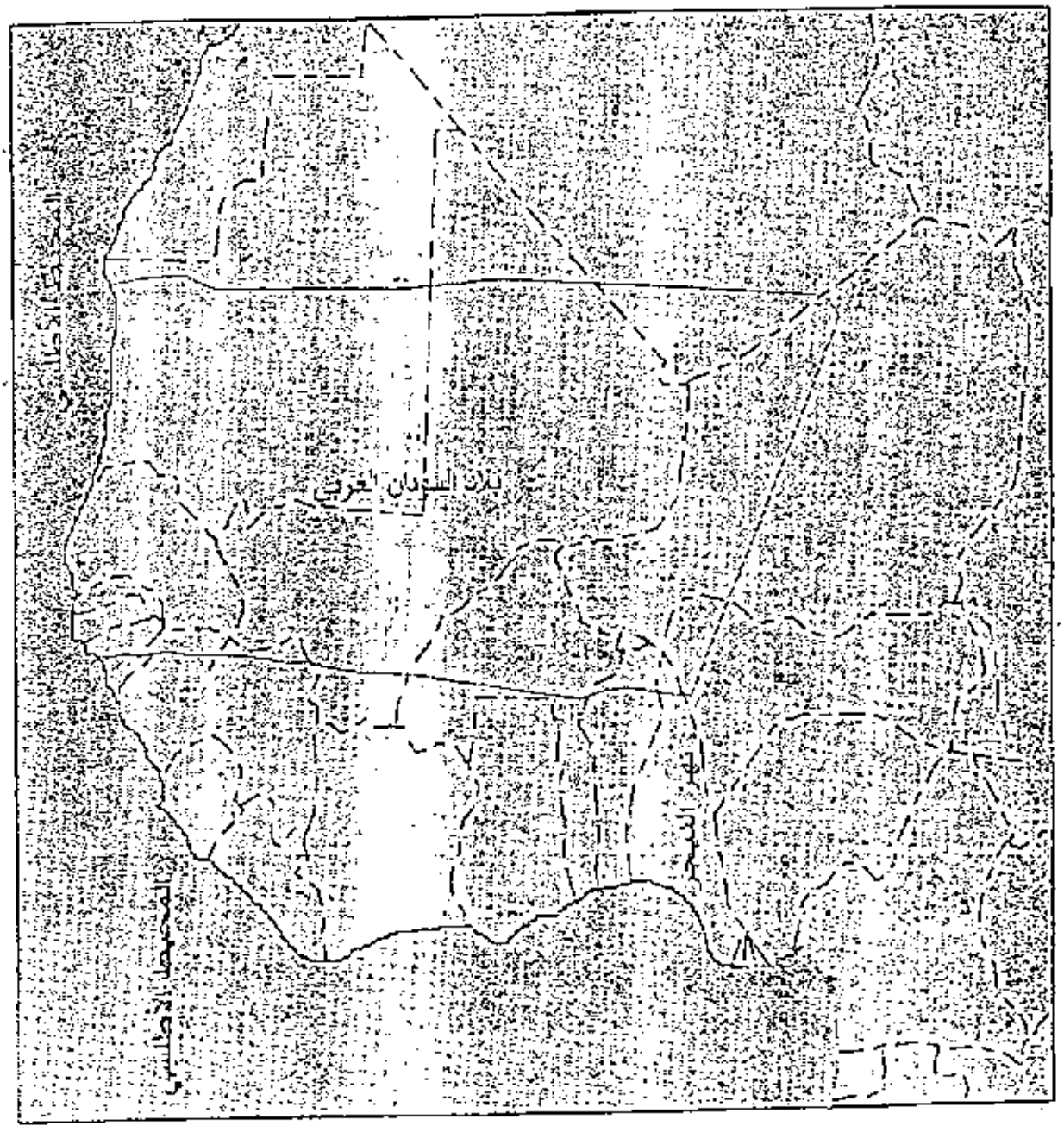

خريطة توضح الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي

نقلاً عن مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية
وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 413 .

ما يعرف بمرحلة الاستعراب ، وتبعت بلاد المغرب العربي منذ ذلك التاريخ[1]، كما تبين من آراء بعض المؤرخين السالف ذكرهم أمثال ابن حوقل ، وابن خلدون ، والناصري ، أنهم أطلقوا على بلاد المغرب العربي لفظ المغرب[2] ، وبهذا يكون التميز بين المغرب والمغرب الأقصى .

إذا منطقة المغرب العربي التي ستتم دراستها هي (ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الأقصى) .

ب- السودان الغربي :

إن مصطلح السودان الغربي ، عرفت به المنطقة عبر تاريخها رغم تسميتها بأسماء مختلفة منها على سبيل التمثيل : غانة ؛ تكرور ؛ مالي ؛ سنغاي ، ولم يتغير هذا اللفظ إلا بقدوم الاستعمار الفرنسي ، فأصبحت تسمى بأسماء أخرى كالسودان الفرنسي ، وأفريقيا الفرنسية[3] .

وكما اختلف المؤرخون في تسميتها اختلفوا أيضاً في توضيح حدودها ، ووردت في ذلك العديد من الآراء ، ومن بينها ما أورده الأصطخري الذي يصف "السودان" بأنها بلدان عريضة ، مقفرة وليس في أقاليم السودان الحبشة والنوبة و(البجة)[4] أوسع منها تمتد قرب المحيط من جهة الجنوب ، وفي جهة الشمال نجد مفاوز تنتهي إلى مفاوز مصر ، ثم مفاوز بينها وبين النوبة ، ثم مفاوز بينها وبين أرض الزنج[5].

أما ما اورده ابن حوقل فإن بلاد السودان أرض في أقصى المغرب من جهة الجنوب ، تحدها جنوباً برية لا نبات فيها ، ومن الشرق أرض تفصل بينها وبين مصر ومن الشمال أرض تفصل بينها وبين المغرب[6] ، في حين يعطي القزويني

1- مطير سعد عيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت ، 2005 م) ، ص 115 .
2- ينظر الهامش : رقم 4 ، 3 ، 4 ، ص ص 2 ، 3 .
3- أحمد آدم آدم لوح : الاستعمار الغربي وأثره على علائق التواصل بين شمال أفريقيا والسودان الغربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 2001 م) ، ص12 .
4- البجة : تقع هذه المنطقة جنوب صعيد مصر من جهة الشرق بين بحر القلزم ونهر النيل ، أهلها من أصفى السودان لوناً ، بعضهم معدلون ، والبعض الآخر من "السواري" وأصحاب أوثان = أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987 م) ، ج 5 ، ص ص 263 ، 264 .
5- المصدر السابق ، ص 34 .
6- المصدر السابق ، ص ص 24 ، 25 .

أكده الحميري حيث ذكر أن تكرور مدينة تقع على النيل ، أكبر من مدينة سلا المغربية[1] وللتمييز بين حدود السودان بصفة عامة تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي:

1- السودان الشرقي :

يحده من الشرق البحر الأحمر ، ومن الغرب إقليم دارفور ، ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل .

2- السودان الأوسط :

ويشتمل بحيرة تشاد ، ومناطقها المجاورة لها .

3- السودان الغربي :

يتمثل في المناطق الواقعة بين حوض السنغال ، وحوض النيجر الأوسط ، والمجرى الأعلى لنهر الفولتا[2] .

وبهذا تتحدد منطقة الدراسة من نهر النيجر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً إلى أرض الهمج جنوباً ، وعليه فإن مصطلح السودان الغربي هو المصطلح الذي سيتم استعماله لأن عنوان الدراسة يشمل مضمونها .

1- المصدر السابق ، ص 11 .

2- جميلة احمد التكتيك : مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا ، محمد الكبير (1493 – 1528 م) ، مركز جهاد الليبين ، (طرابلس ، 1998 م) ، ص 28 ، كذلك : مطير سعد عبث أحمد : المرجع السابق ، ص ص 31 ، 32 .

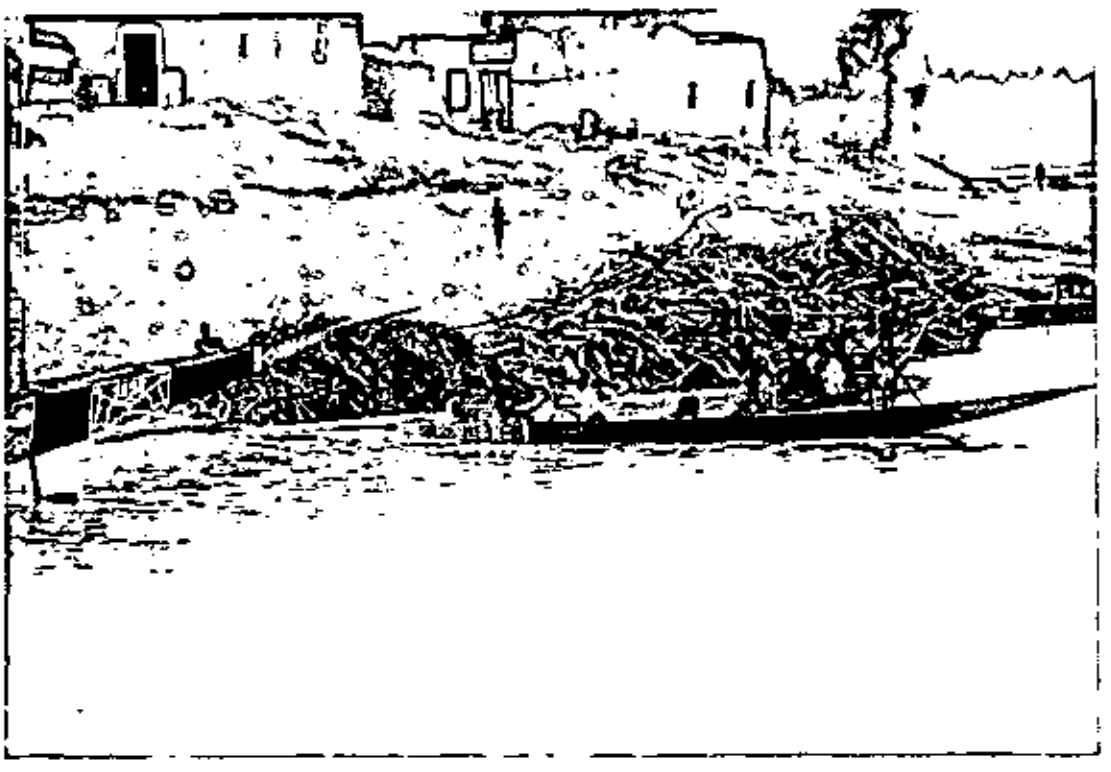

ميـــناء كـــب

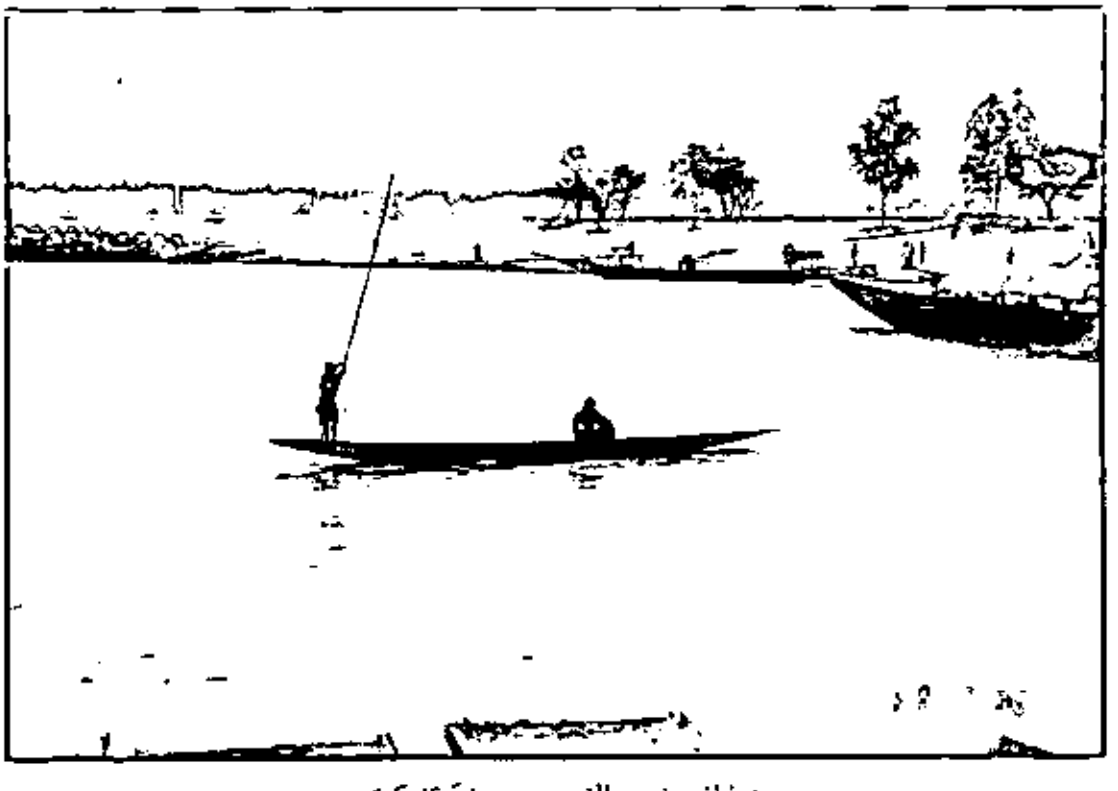

ضفاف نهر النيجر مدينة تنبكت

تصوير : أصلاح البخاري

كذلك لكان أثر الصحراء محدودا في هذا المد التجاري ، والثقافي المتواصل بين أقطارها[1] .

كما توجد العديد من العوامل الخفية التي تحتضنها الصحراء الكبرى ، وساهمت بدورها في عمليتي التواصل التجاري والثقافي ، وهي وفرة المياه الجوفية العذبة ، ويؤكد البكري ذلك حين قال : إن الماء متوفر في الصحراء ، ويوجد على مسيرة يومين أو ثلاثة من (وادي درعه)[2] إلى وادي تارجا ، وهي أول نقطة في الصحراء ، وعندما تصل إلى منطقة تسمى راس المجابة ، تجد بئرا يسمى تزامت ، وشرقها بئرا يسمى الجمالين ، وبين هذه الأبار وبلاد الإسلام مسيرة أربعة أيام[3] .

مما سبق يتضح إمكانية قوة العلاقة بين البلدين عن طريق الصحراء الكبرى، وأن هذه الصحراء كانت أحد عوامل الاتصال ، وخاصة في الفترة من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، حيث كانت في أحسن أوضاعها ، وفيها يسهل على التاجر والمتعلم والمعلم والفقيه العبور من المغرب العربي إلى السودان الغربي ، والعكس .

2- الأنهـــــار :

للأنهار دورٌ مهمٌ في ربط العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، وهي كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

- نهر النيجر :

ينبع من مرتفعات فوتاجالون يدخل إلى تنبكتو بطريقة ملتوية يسميها أهالي السّودان الغربي العكفه ثم يتجه شرقا إلى النيجر ويصب في المحيط الأطلسي[4] ، ويزيد طوله عن 4100 كيلومتر[5] . كما توجد العديد من الإشارات التي أوردوها المؤرخون القدماء ، والتي توضح وجود نهر يمر بالسودان الغربي يسمى بنهر النيل ، ومنهم على سبيل التمثيل البكري حيث قال : " ... أن كلا من مدينتي تكرور

1- إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 35 .

2- وادي درعه : يقع بالمغرب بينه وبين سجلماسة ثلاث مراحل ، وعليه الطريق من الصحراء إلى بلاد السودان وهو عبارة عن نهر كبير ، يخرج من جبال درن ، وهي مدينة عامرة بها جوامع وأسواق ، وبهذا الوادي شجر التاكوت وبه يدبغ الجلد الغدامسي = الحميري : المصدر السابق، ص ص 606 ، 235 ، 236 .

3- المصدر السابق ، ص 153 .

4- محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، دار الملتقى ، (طرابلس ، 1994 م) ، ص 17 .

5- فتحي محمد أبو عيانة : جغرافية افريقيا ، دراسة إقليمية مع التطبق على دول جنوب الصحراء ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية ، د.ت) ، ص 223 .

وسلى تقعان على شاطئ نهر النيل "[1] ، بينما يصف الحميري هذا النهر بأنه من عجائب الدنيا ، لأن كل نهر يستقبل الجنوب ، والنيل يستقبل الشمال ، ويرجع السبب في ذلك أن منبعه من الجنوب[2] .

ويتضح فيما أورده ابن خلدون ثبوت العلاقة بين مراكز المغرب العربي والسودان الغربي ، وبين أنه ينبع من (جبل القمر)[3] ، ويصب في المحيط الأطلسي ، عند جزيرة أولنك ، وعليه عدة مدن منها سلا ، وتكرور ، وغانه[4].

- نهر السنغال :

ينبع من مرتفعات فوتاجالون، عبر مملكة مالي الإسلامية ، ويفصل بين موريتانيا والسنغال ، ويصب في المحيط الأطلسي .

- نهر غامبيا :

يعد نهر غامبيا من الأنهار الصالحة للملاحة ، وأحد طرق المواصلات ، على اعتبار أنه من أهم مداخل السودان الغربي ، بسبب اقترانه بمنطقة السافانا[5] ، وبذلك يتضح أن لهذه الأنهار صفة الوصل بين المغرب العربي والسودان الغربي ، على اعتبار أنها تتصل بالمحيط الأطلسي الذي يعد حداً غربياً لكل من البلدين .

1- البكري : المصدر السابق ، ص 172 .

2- المصدر السابق ، ص ص 513 ، 586 .

3- جبل القمر : يقع هذا الجبل فوق خط الاستواء بستة عشر درجة ، وتخرج منه عشرة عيون ، تجتمع كل خمسة منها في بحيرة ، بينهما ستة أميال ، وتخرج من كل بحيرة ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في أسفلها ، والجبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها إلى قسمين فيمر الغربي منه لبلاد السودان مغرباً حتى يصب في المحيط الأطلسي ، ويخرج الشرقي منها ذاهباً إلى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة = ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 45 ، 46 .

4- المصدر نفسه ، ص 45 .

5- انتصار علي محمد بالنور : المؤثرات الإسلامية في غرب أفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المسيرة الكبرى ، (طرق ، 2001 – 2002 م) ، ص 18 .

ب- المنـــاخ :

يلعب المناخ دوراً مهماً في التأثير على العلاقات ما بين الدول والقارات ، وقد يكون أحد العوامل المساعدة على الترابط ، هذا ما يحدث بين الدول الموجودة في القارة الواحدة كالعلاقات بين المغرب العربي والسودان الغربي ، ويظهر ذلك واضحاً منذ انتشار الإسلام في تلك الربوع حيث سهلت الظروف المناخية كثيراً على التجار الذين كانوا يجوبون الأرض ما بين البلدين ، لأن مناخ القارة الأفريقية بشكل عام يكاد يكون مناخاً متشابهاً ، وخاصة في المناطق الواقعة جنوب المغرب العربي كالصحراء الليبية والجزائرية ، فهي تشبه إلى حد كبير مناخ السودان الغربي .

وبقدر ما ساعد المناخ على الاتصال ما بين المناطق الموجودة في القارة الواحدة ، قد يكون أحد عوامل الفصل ما بين الدول الموجودة في قارات مختلفة ، كعرقلة حركات التبشير والتنصير الأوروبية في غرب أفريقيا خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، وذلك بسبب اختلاف الظروف المناخية بين هذه الدول والقارة الأفريقية ، حتى أجبرت الكثير من الدول الأوروبية مثل : فرنسا ؛ وبريطانيا ؛ وهولندا ؛ أو غيرها وضع حلول لهذه المشكلة ، تمثلت في محاولة إقامة محطات تكييف للمواطنين الذين ترغب في إرسالهم لغرب أفريقيا ، حتى يتأقلموا مع المناخ الأفريقي ، فأقامت هذه المحطات في البداية في جنوب أوروبا مثل : مرسيليا ، وأشبيلية ، وصقلية ، بسبب ارتفاع الحرارة بها أكثر من شمال القارة الأوروبية ، ثم يتم نقلهم إلى سواحل شمال أفريقيا أو المشرق العربي ، ثم يتم نقلهم إلى جنوب المغرب العربي كغات ، وغدامس ، وفزان ، وجنوب الجزائر ، حتى يعتادون المناخ الصحراوي ، ويتم نقلهم بعد ذلك لغرب أفريقيا[1] .

صحيح أن درجات الحرارة تختلف بين منطقة وأخرى حتى في القارة الواحدة فالمناطق القريبة من السواحل مثل : ليبيا ؛ وتونس ؛ والجزائر ، والمغرب الأقصى تمتاز باعتدال درجة حرارتها ، فهي تابعة لمناخ البحر المتوسط[2] ، عكس المناطق البعيدة عنها ، مثل : زويلة الواقعة في الجنوب الليبـــي ، وهـذا مـا يمكـن

1- عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، جامعة قاريونس ، (بنغازي، 1998 م) ، ص ص 129 ، 134 ، 139 .

2- يسرى الجوهري :جغرافية المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية ، 2001 م)، ص 199 ، كذلك : حسنين جوده : جغرافية أفريقيا الاقليمية ، منشأة المعارف ، (الإسكندرية ، 1996 م) ، ص 293 .

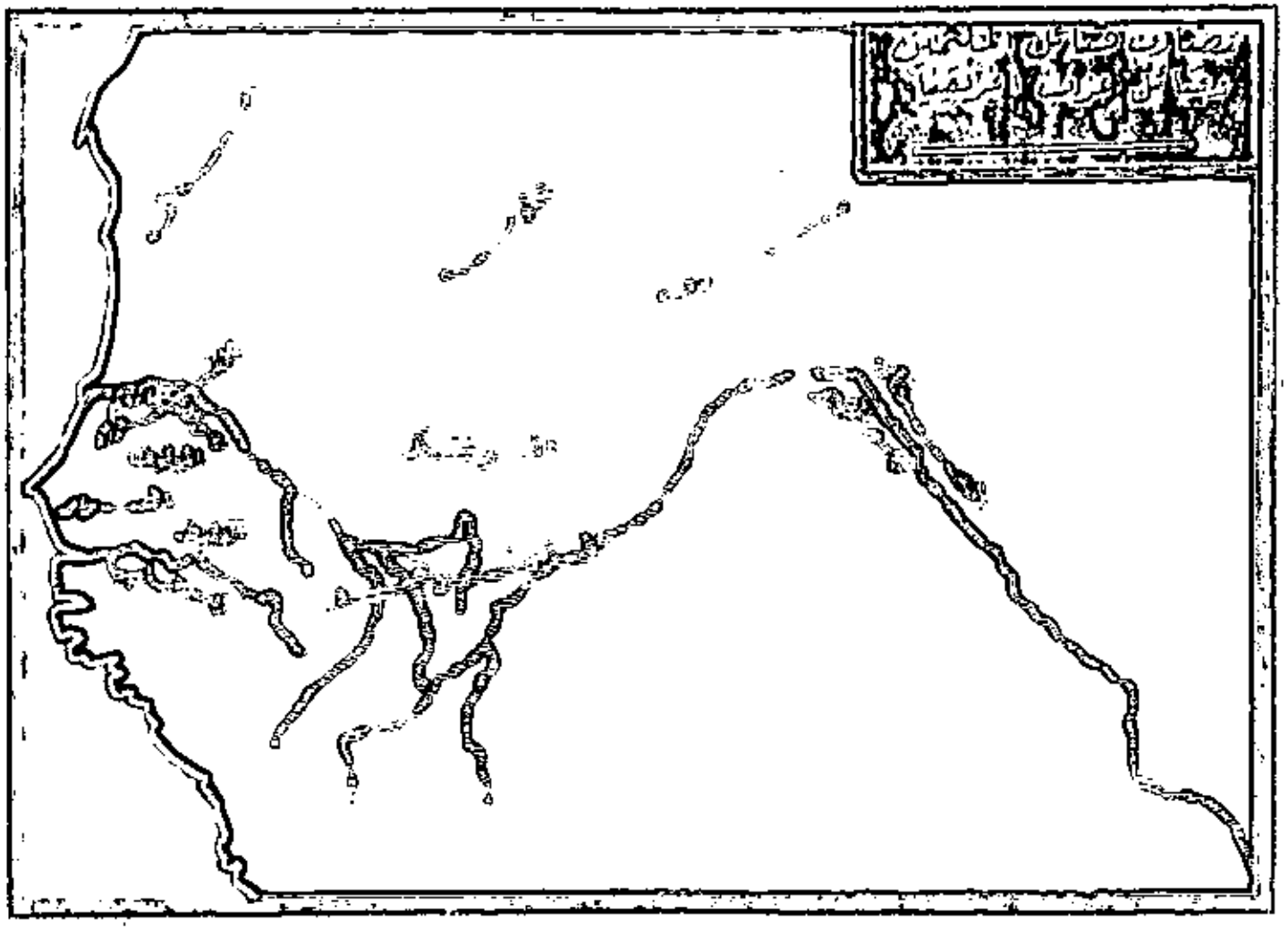

خريطة توضح قبائل الملثمون وصلاتهم بسكان غرب أفريقيا

نقلاً عن انتصار بالنور : المؤثرات الإسلامية في غرب أفريقيا

ملحق رقم (8)

ثالثاً : العناصر السكانية :

تعد العناصر السكانية من ضمن العوامل التي ساعدت على الترابط التجاري والثقافي بين منطقتي المغرب والسودان الغربي ، وخاصة وأن الهجرات أصبحت ميسورة بسبب ما توفر لها من تسهيلات ، وبهذا سيتم ذكر بعض العناصر السكانية التي هاجرت من بلاد المغرب واستقرت في بلاد السودان الغربي بالإضافة إلى القبائل السودانية الكبرى التي ساهمت بهذا الدور ومنها :

أ- الماندنجـــو :

استقرت هذه القبائل في المنطقة الممتدة من النيجر شرقاً ، حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً[1] ، وهي منطقة تتوسط بين نهري النيجر والسنغال[2] ، وتتفرع هذه القبائل لعدة فروع منها : البامبارا ، المالنكى ، غالونكى ، السامانكى[3]، وقد استقرت قبيلة البامبارا في شنقيط المعروفة حالياً (بموريتانيا) ، ثم انتقلت إلى أواسط السودان الغربي ، وعلى الرغم من تعدد هذه القبائل واستقرارها في مناطق مختلفة، فهي تتشابه إلى حد كبير في اللهجات والنظم الاجتماعية ، والثقافية ، وهذه بدورها من أهم العوامل التي ساهمت في تأسيس إمبراطورية مالي الإسلامية[4] .

ب- الفلانيون :

يعد الفلان من بين القبائل الأفريقية ذات الأهمية في بلاد السودان ، لانتشارها وقوة تأثيرها[5] ، ويرجع أصل هذه القبيلة كما تذكر بعض الروايات ، والتي من بينها رواية محمد ألفا هاشم الفلاني ، حيث بين فيها أصل الفلان واستقرارهم في بلاد السودان الغربي منذ بداية قدوم الصحابة المسلمين لغرض نشر الإسلام بها ، وبعد إتمام ذلك قرر المسلمون العودة إلى بلادهم فطلب منهم أمير تورودى أن يتركوا لهم من يعلمهم مبادئ الدين الإسلامي ، فاستقر معهم عقبة بن نافع الذي جلس ليعلمهم الدين وشرائعه فزوجه أمير تورودى ابنته فأنجب منها أربعة أولاد ، وهم رعت ، وناس ، ووى ، وعرب ، ثم رجع إلى بلاده وترك أبناءه في بلاد السودان فنشأوا هنـــاك وتكلموا بلسانهم ، ومن ثم تزوجوا وأنجبـــوا فتكونت منهـــم قبائل الفـــلان[6] ، والرواية الأخرى تذكر أن الفاتح العربي عقبة بن

1- مطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص 41 .
2- جميلة محمد التكتوك : المرجع السابق ، ص 32 ، 33 .
3- عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق ، ص 26 .
4- مطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص 41 .
5- عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق ، ص 27 .
6- تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان ، مركز جهاد الليبين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 431 ، الورقة 7 ، أنظر الملحق رقم 1 .

نـافع الفهـري[1] عنـدما فـتح أفريقيـا ، بـأمر مـن الخليفـة الأمـوي معاويـة بـن أبـي سفيان[2]، ترك ألفي عسكري على ضفاف نهر النيجر ، وبسبب تزاوج الألفين من السكان الأصـليين ، تكونـت قبائـل الفـلان ، وهـي قبائـل رعويـة ، يتكلمـون لغـة سودانية، انضموا إلى مدينة غانا ، وبعد أن سقطت على يد المرابطين[3] ، دخلوا في نطاق مملكة مالي الإسلامية ، وبسقوطها وقيام دولة السنغاى انضموا إليها ، إلا أنه باحتلال أحمد المنصور الذهبي لها عام (1000 هـ/1591 م) ، ازدادت قوتها لأن السيطرة لم يتمكن من السيطرة على كافة أنحاء الإمبراطورية ، وازدادوا قوة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وخاصة بعد استقرارهم في إمارات الهوسا[4] ، ومن أهم أعمالهم تأسيس مملكة مالي الإسلامية[5] .

من ذلك يتضح أن قبائل الفلان من بين القبائل العربية التي جاءت من المغرب العربي واستقرت في بلاد السودان الغربي سواء أكانوا من البربر الذين أتى بهم عقبة بن نافع ، أو تكونت من زواجه في تلك المناطق ، وعلى كل حال فمن المتوقع أن الرواية الأخيرة هي الأرجح للاعتبارات التالية :

1- عدم جواز وجود عقبة بن نافع في بلاد السودان الغربي بمفرده ، وهو القائد الفاتح لشمال أفريقيا وغربها .

2- الأعداد الهائلة لشعوب وقبائل الفلان وقوتها الناتجة عن كثرتها ، توحي بأنها من أصل ألفي جندى من البربر ، ومن غير المعقول أن يكونوا من اربعة أحفاد لعقبة بن نافع .

3- ما أكده مخطوط خبر السوق الذي ذكر فيه أن الصحابة المسلمين عندما نزلوا في بلاد السودان الغربي، بأمر من معاوية بن أبي سفيان ، نزلوا منطقة (السوق)[6]

1- الهادي المبروك الدالي : قبائل الفلان ، دار الكتب الوطنية ، (بنغازي ، 2003 م) ، ص 13 .
2- محمد محمد المفتى مرحبا : فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان ، مخطوط جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقة 25 ، انظر الملحق رقم 2 .
3- الهادي المبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 13 .
4- عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 28 .
5- مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 37 .
6- السوق : عاصمة تادمكت وتبعد عنها حوالي 600 كم ، وتقع جنوبها تقع مدينة كوكو = إسلاح محمد البخاري، انتشار الإسلام والثقافة في أفريقيا فيما وراء الصحراء، تنبكتو وغدامس نماذجا (7-11 هـ/13-17 م) ، ((د.م) ، 2004 م) ، ص 24 .

ونشروا فيها الإسلام ، وأقام عقبة مدة في المنطقة حتى بني فيها المساجد ، وجعل فيها المؤذنين ، وعمرها بالدين الإسلامي ، ثم خرج وترك جماعة من الصحابة – رضى الله عنهم – واستقروا هناك حتى ماتوا جميعاً ، وتؤكد ذلك أسمائهم المكتوبة على قبورهم[1] .

ج- القبائل الصنهاجية :

دخلت العديد من القبائل الصنهاجية في بلاد السودان الغربي ، وأسست بها مدينة أودغست لوفرة المياه والمراعي بأراضيها[2] .

٨ وخلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، حرف الأوروبيون اسم صنهاجة إلى السنغال ، ولهذه القبائل أهميتها ودورها السياسي في بلاد السودان الغربي ، فقد كان رجالها طيلة وجود دولة غانا هم عماد الحكم والجيش والإدارة والتجارة بها حتى اعتبرت هذه المنطقة من ممالك البيضان[3] ، وتتفرع القبائل الصنهاجية إلى قسمين :

1- صنهاجة الشمال ، ومكان استقرارهم المغربين الأدنى والأوسط .

2- صنهاجة الجنوب ، ومكان استقرارهم شنقيط ، ومن أهم قبائلها لمتونة ، وجدالة، ومسوفة ، ولمطة ، وجزولة[4] ، وقد عرفت هذه القبائل باسم البربر ، وذلك لعدة اسباب أهمها : عدم معرفتهم باللغة الإغريقية ، مما جعل الإغريق يطلقون عليهم هذه التسمية ، وقد طور الرومان اسم البربر ، وبينوا أن هذا الاسم يطلق على الشعوب الأقل منهم مرتبة وحضارة ، وبما أن العرب لا علاقة لهم بالرومان فاعتبروهم خارجين عنهم ، وأطلقوا على كافة الشعوب الخارجة عنهم اسم بار باركوم أي بلاد البربر[5] .

قد ذكر في أنفاق الميسور أنه عندما فتحت أفريقية دخلها البربر وساروا إلى المغرب ، واستوطنوا تونس ، وانتشروا منها إلى المغرب الأقصى ، ثم دخلوا الغرب الجنوبي الضارب في بلاد السودان، فاستقروا في أوجلة ، وفزان ، وغدامس

1- مجهول : خبر السوق ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقات رقم 1،2،3 ، انظر الملحق رقم 3 .

2- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، دار الرواد ، (لبنان ، 1937 م) ، ص 33 .

3- المرجع نفسه ، ص 34 .

4- احمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ، (د.ت)،ص15 .

5- مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في المجتمع العربي ، ص 45 .

وغات ، ثم هاجرت إلى بلاد السودان الغربي واستقرت بها ، كما بين أيضاً أنهم كانوا من ضمن سكان المناطق التي استقر بها البربر والفلانيون[1] ، وهما من القبائل الكبرى القادمة من بلاد المغرب العربي ، وسميت هذه القبائل أيضاً باسم صنهاجة اللثام بسبب ارتدائهم له وخاصة الشعوب التي استقرت في بلاد السودان الغربي[2] .

كما أطلق عليهم اسم الطوارق وموطنهم الأصلي صحراء الجزائر[3] ، وقد سكن هؤلاء الطوارق أروان ، واستقرت معهم بعض القبائل القادمة من بلاد المغرب الغربي ، وهم أحد فروع البرابيش من أولاد عبد الرحمن[4] ، وكان ذلك خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وهم من رحامنة بلاد مراكش ، وسبب هجرتهم الحروب التي حصلت بينهم وبين أهالي المنطقة فنزلوا على طوارق مغشرن ومكثوا معهم ثمانين عاماً أو ما يقارب ذلك[5] .

استقر بعضاً منهم في تغازا بالقرب من تنبكتو ، وهم فرع لمتونة وأخوالهم من البربر الذين أخذوا لغتهم وأصبحوا يتكلمون بها وشاركوا في نقل الحضارة العربية المغربية لبلاد السودان الغربي[6] .

د- البرابيش :

استقر البرابيش بعد رحيلهم من شبه الجزيرة العربية في بلاد المغرب العربي ، ثم انتقلوا لبلاد السودان الغربي ، وكانت أهم مناطق استيطانهم فيها هي : ولاته أروان ، تنبكتو[7] ، ولها عدة فروع أهمها :

1- محمد عثمان بيلو : أنفاق الميسور ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، مخطوطة رقم 9669 ، الورقات 14، 16 انظر الملحق رقم 4 .

2- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 45 .

3- أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 45 .

4- محمد محمود بن الشيخ سيدى بيكر ابن القاضي سيدى أحمد الأروانى : الترجمان في تاريخ الصحراء وبلاد السودان وبلد تنكبت وشنقيط وأروان ونبذة من تاريخ الزمان في جميع البلدان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس، الورقة 158 .

5- تاريخ أزواد في أخبار البرابيش وحروبهم مع الرقيبان وهكار واذنان وافوغاء وذكر بعض أكابرهم مثل سيدى محمد بن أحمد ومحمود بن دحمان ودخول النصارى في تنبكت ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، مخطوطة رقم 984 ، الورقة 4 ، أنظر الملحق رقم 5 .

6- الأروانى : المصدر السابق ، الورقة 3 .

7- الهادي المبروك الدالي : قبائل البرابيش ودورهم في منطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 289 .

- القبائل الليبية التي انتقلت لبلاد السودان الغربي ، وساهمت في نشر الإسلام وثقافته هناك ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها أسرة ضياء التي رحلت من طرابلس الغرب ، واستقرت هناك ، وساهمت في تأسيس إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد السلطان منسى موسى (738- 742 هـ/1337- 1493 م)[1]، كما انتقلت إلى هناك قبائل أخرى من فرع البرابيش ، كان مقرها الأصلي سرت ، وفزان ، وغدامس ، وبفضل الهجرات العربية المتتالية من هذه القبائل كونت ثقلا سياسيا ، واقتصاديا في بلاد السودان الغربي[2].

ومما يؤكد العلاقة الوثيقة بين أمراء البرابيش وسلاطين دولة سنغاي الإسلامية ، وجود أبناء هذه القبائل كقادة في جيش السنغاي ، بالإضافة إلى مشاركتهم في بعض الأمور الخاصة بإدارة الحكم[3] ، ولم يكتفوا بذلك بل تمكنوا من حكم منطقة (تشيت)[4] خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي[5] ، وما يؤكد المكانة المميزة التي يتمتع بها البرابيش في السودان الغربي ما حدث بعد السيطرة المراكشي للبلاد فأثناء مرور الجيش المغربي إلى دولة سنغاي الإسلامية تم التعرض لأحد قوافل البرابيش ونهب إبلهم فاشتكى للسلطان أحمد المنصور الذهبي الذي أمر برد الإبل لأصحابها[6]، أما الحادثة الأخرى عن أحد شيوخ البرابيش وهو عيسى بن سليمان البربوشي شيخ أولاد عبد الرحمن ، المقيمين في الآونة الأخيرة في قرية تغازا والذي ناصر القاضي عمر بن محمود أقيت التنبكتي ، (ت 1003 هـ/1594 م) في قضية اختلف فيها مع والي المغرب على السودان الغربي ، محمود بن زرقون بأن أدخله في حمايته حتى انتهى النزاع بينهما[7] .

1- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، دار الملتقى ، (بيروت ، 1993 م) ، ص 170 .

2- المرجع نفسه ، ص 171 .

3- الهادي المبروك الدالي : قبائل البرابيش ، ص 292 .

4- تشيت : مدينة تقع في تخوم صحراء ليبيا ، يتاجرون مع بلاد السودان ، ويغلب على سكانها السواد ، والفقر فيها يعم الجميع . الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ،ص 115 .

5- مطير سعد غدف : الثقافة العربية الاسلامية واثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 161 .

6- المرجع نفسه ، ص 161 .

7- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي : تاريخ السودان ، نشر هوداس وبنيه ، (باريس ، 1964 م) ، ص 172.

هـ - قبائل كنته أوكونتا :

ينحدر أصل هذه القبائل من نسل الفاتح عقبة بن نافع الفهرى[1] ، وقد هاجرت من منطقة توات وسط الجزائر ، خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، واستقرت في بلاد السودان الغربي ، وبالتحديد في مدينة تنبكتو[2] ، وبما أنها اشتهرت بالعلم والتقوى ساهمت في نشر الإسلام وثقافته هناك[3] ، وباكتسابها لهذه الصفات الدينية جعلت الكثير من أهالي المنطقة ينضمون إليها[4] ، وسميت باسمها هذا نسبة لجدها من جهة أمها محمد بن كنته[5] .

هـ - المرابطون :

يعود أصل هذه التسمية إلى الرباط ، وهو مكان الإقامة لجهاد العدو ، وارتباط الخيل ، والرباط مصدر رابطتُ أي لازمتُ[6] ، وقد أطلقت كلمة الرباط على كل مكان قريب من أرض العدو في بطن واد أو فرجة جبل ، ويسمى من يسكنها أو يلازمها من الناس بالمرابطين[7] ، وهذا ما ذكر في القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**)[8] ، كما ورد ذلك في الحديث الشريف حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " **رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ ، صِيامُهَا وقِيَامُهَا** "[9] ، ولم تقتصر مهمة الأربطة على الحراسة والدفاع بل كانت تؤدي إلى جانب ذلك العديد من المهام منها على سبيل التمثيل التأليف والتصنيف والتثقيف والمطالعة[10] ، ومن هنا يتضح دورها الثقافي بينها وبين المناطق المجاورة لها .

1- محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 90 .
2- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 53 .
3- محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 90 .
4- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 53 .
5- محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 90 .
6- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، 1983 م) ، ص229، كنلك الطاهر أحمد الزاوى ، مختار القاموس ، دار عالم الكتب ، (الرياض ، 1998 م) ، ص 236.
7- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ، دار الجيل ، (لبنان ، 1988 م) ، مج7 ، ص ص 302 ، 303 .
8- سورة الأنفال ، الآية 60 .
9- يحيى الدين أبو زكريا النووى : صحيح مسلم ، باب فضل الجهاد والرباط ، دار إحياء التراث العربى ، (بيروت ، د.ت) ، ج13 ، ص ص 33 ، 35 .
10- أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسى ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (الرباط ، 1936 م) ، ص 11 .

وقد كان لهذه الأربطة دورها الثقافي وخاصة في مجال تبادل الأفكار والآراء والمعارف ، وقد كان الرباط مركزاً مهماً لرجال الطرق الصوفية والزهاد وماوى يلجأ إليه طلاب العلم ، كما كان لها دورها الواضح في نشر الإسلام وثقافته ليس في بلاد المغرب العربي فحسب ، بل حتى في المناطق المجاورة لها ، وهذا ما قام به الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي المجاهد المرابط الذي رحل إلى بلاد السودان الغربي يرافقه يحيى بن إبراهيم الكدالي وكونوا رباطاً ، واستقروا فيه وأخذت الناس تفد عليهم وكثر عددهم ، وبدأ عبد الله بن ياسين يعلمهم القرآن واستمالهم إلى محبة الله ودينه ، حتى وصل عددهم إلى ألف شخص سماهم بالمرابطين[1] ، كان لهم أعمق الأثر في إثراء منطقة السودان الغربي بالعديد من المؤثرات المغربية التي تقلدها بعد أن اسقطوا غانا الوثنية ، وأقاموا مملكة مالي الإسلامية بدلاً منها ، ورغم خروج المرابطين من بلاد السودان الغربي لغرض استنجاد أهالي المغرب بما حصل لهم من ضغوط نتيجة هجرة العرب المسلمين من بلاد الأندلس ، وتخلوا عن نفوذهم السياسي في المنطقة ، إلا أن نفوذهم الثقافي هو من حدد المسار الحضاري لشعوب بلاد السودان الغربي ، فكافة المؤثرات الثقافية التي انتقلت من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي كان المرابطون هم من وضعوا لبنتها الأولى ، والتي من بينها اللغة العربية وترسيخها هناك[2] .

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ص 15 ، 158 .

2- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، ص ص 57 ، 58 .

الفصـــــل الثانـي

العوامل التي ساعدت على بلورة الروابط التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي

أولاً : العامل السياســـي .

ثانياً : دور وجهود السلاطين في نشر الثقافة وتدعيم التجارة .

ثالثاً : العامل الدينـــي .

رابعاً : العامل الاجتماعي .

خامساً : الطرق التجارية ووسائلها .

العوامل التي ساعدت على بلورة الروابط التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي

ساهمت العديد من العوامل في ربط العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، منها السياسية ، والدينية ، والاجتماعية ، فلكل منها دوره البارز في توثيق الصلات، وخاصة السياسية منها ، فما قام به حكام البلدين يعتبر أساس التبادل التجاري ، والثقافي ، وذلك بسبب إتباع هؤلاء للدين الإسلامي ، فهذا ما سبب اندماجا واضحا بين سكان المغرب العربي والسودان الغربي ، وأدى إلى الهجرة ، والمصاهرة ، واختلطت الدماء الأفريقية شمال القارة وغربها ، وبما أن الدراسة تركز على هذه العلاقات منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، فإن دور الشخصيات في هذه الفترة يعد مهما في ربط البلدين من الناحيتين التجارية والثقافية ، وما هو إلا مساهمة لتقوية جذور الروابط القديمة التي وجدت ، منذ أن انتشر الإسلام في بلاد السودان الغربي على يد المرابطين خلال القرن الحادي عشر الميلادي على أقل تقدير .

أولاً : العامل السياسي :

يتضح فيما قامت به أهم الشخصيات السياسية من دور فعال، في توثيق العلاقات التجارية الثقافية بين الطرفين ، خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، من خلال ما قام به بعض الأشخاص ، من أدوار من بينهم أبو الحسن بن عثمان المريني " الذي ولد في المغرب الأقصى ، عام (697 هـ /1297 م) ، بقرية تعرف بتفرديون " من أم حبشية تسمى " عنبر "[1] ، وقد كون علاقات سياسية واقتصادية وثقافية طيبة مع بلاد السودان الغربي ، نظرا لما امتازت به هذه المنطقة من استقرار الأمن وانتشار العلم والتجارة ، وهذا بدوره أدى إلى انتعاش الحركة التجارية بسبب توافد تجار المغرب لبلاد السودان الغربي[2] ، وخاصة في

1- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز في الشمال الأفريقي من القرن 13 – 15 ، مطابع الوحدة العربية (الزاوية ، 2001 م) ، ص 146 .

2- المرجع نفسه ، ص 29 .

عهد السلطان منسى موسى حاكم مالي (738 - 742 هـ/1337 - 1341 م)[1]، الذي حافظ على توثيق العلاقات السابقة لعصره ، ومن أهم أعماله في هذا المجال توثيق علاقاته مع أهالي المغرب العربي ، وذلك بلقائهم أثناء رحلته للأراضي المقدسة ، حيث اختار الطريق المار بمدينة (غدامس)[2] ، وهي من ضمن المراكز الثقافية في المغرب العربي[3] ، والتي تتم الاستراحة فيها لكل من أراد الذهاب إلى الأراضي المقدسة ، وهنا يحدث التواصل بين مختلف فئات المجتمع من رجال سياسة وعلم وتجارة .

وهذا ما شجع السلطان المالي منسى موسى على زيادة توثيق علاقاته مع حكام المغرب العربي ، وخاصة مع السلطان أبي الحسن المريني ، الذي عمل على نشر الأمن لغرض الرقي بدولته ، وتكوين علاقات ودية مع الدول المجاورة لها ، وما يؤكد رغبته في ذلك ما قام به بعد مقتل أخيه أبو علي صاحب سجلماسة ، حيث زحف على تلمسان ، سنة (735 هـ/1334 م)[4] وانتزعها من سطوة ابن تاشفين وابنيه عثمان ، ومسعود ، ووزيره موسى بن علي ، وليه عبد الحق بن عثمان ، الذين ماتوا جميعاً في هذه المعركة الشهيرة[5] ، وأعاد العلاقات الطيبة مع بلاد السودان الغربي ، على ما كانت عليه عام (721 هـ/1331 م) ، وكان للمساهمة التي قام بها السلطان منسى موسى في ردع الجيش المنفصل ، ومساعدة السلطان أبي الحسن المريني أثرها العميق في توثيق الصلات بين البلاطين المالي ، والمغربي[6] ، ولتهدئة الأجواء المضطربة ، أرسل السلطان منسى موسى وفداً يرافقه مترجم من الطوارق الملثمين الصنهاجيين[7]، وقد حظي هذا الوفد بمقابلة السلطان أبي الحسن المريني فاستقبلهم استقبالاً حاراً وأكرمهم ، وشملهم برعايته[8].

1- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بأهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 148 .

2- غات : من المدن التاريخية القديمة ، تقع في جنوب غرب ليبيا ، عاصمة سلطنة (أزقر) التارقية ، وهي على الطريق المؤدي إلى الجنوب الصحراوي ، القادمة من تونس وغدامس وطرابلس = محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص 29 .

3- عبد الرحمن زكي : تاريخ الدولة الإسلامية السودانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، (القاهرة ، 1971 م) ، ص 103 .

4- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب العربي ، ص 146 .

5- المرجع نفسه ، ص 147 .

6- المرجع نفسه .

7- محمد المغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، دار الرشيد ، (العراق ، 1984 م) ، ج1 ، ص 49 .

8- ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 310

ودعما لهذه الصلات أرسل أبو الحسن المريني سفارة لبلاد السودان الغربي يرأسها كاتب الديوان أبو طالب بن محمد أبي موسى ، ويرافقه مولاه عنبر[1] ، وقد حُملت السفارة بالهدايا الثمينة ، وأسندت حراستها لعرب الفلاتة من بني معقل جزار، يتقدمهم علي بن غانم حتى وصولهم إلى مالي[2] ، فاستقبلهم السلطان منسى موسى ، وأحسن استقبالهم ورعايتهم[3] ، ثم عادوا لبلاد المغرب العربي يرافقهم وفد من كبار مالي ، غرضهم من ذلك زيادة العلاقات بين البلدين مع السلطان أبي الحسن المريني ، ويشكرونه على وفادته لسلطانهم ومراضاته[4] .

لم تنقطع العلاقات السياسية بين المغرب العربي والسودان الغربي ، بل ظلت قوية ، حتىّ بعد وفاة السلطان منسى موسى ، وحدوث الاضطرابات السياسية على العرش ، وتولى ابنه مغان الأول أمور الدولة الذي لم تستقم أحوال البلاد في عصره ، نظرا لقلة حيلته وتدبيره .

اتسعت بين الطرفين هذه العلاقات بعد وصول السلطان منسى سليمان لذروة الحكم في بلاد السودان الغربي[5] ، (742 - 762 هـ/1341 - 1360 م)[6] ، ففي عصره كانت السفارة الثالثة لبلاد المغرب العربي ، حيث كانت تحمل للسلطان أبي الحسن المريني التهنئة بفتح تونس ، وبمجرد وصولها حملها السلطان المريني بهدية لسلطان مالي منسى سليمان ، وما أن وصل الوفد المالي يحمل هدية السلطان المريني حتى زودها السلطان المالي ببعض الأشياء القيمة من بلاده وأرسلها في سفارة جديدة لسلطان المغرب[7] ، وقبل وصولها للبلاد ، وهي في ولاته جاءت الأخبار بنبأ وفاة منسى سليمان فاستقرت في هذه المدينة[8] ، لأن أهالي مالي افترقوا في أمرهم، وقاتل بعضهم بعضاً، رغبة في الوصول إلى الحكم ، واستمروا الوضع على هـذا الحال إلى أن جمع الله كلمتهـم على يد السلطان منسى زاطة[9] ،

1- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 49 .
2- ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 316 .
3- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 50 .
4- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 93 .
5- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 50 .
6- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 94 .
7- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 50 .
8- ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 368 .
9- الناصري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 34 .

الذي تمكن من القضاء على الاضطرابات ، وحسم الصراع لمصلحته ، وانتهج سياسة أسلافه في ربط صلاته مع بلاد المغرب العربي[1] ، ويتضح ذلك من موقفه عندما علم بأمر السفارة التي أرسلها السلطان منسى سليمان إلى بلاد المغرب بأنها مازالت في ولاته فأمر بنفاذها إليه ، وضم إليها الزرافة وانطلقوا بها إلى بلاد المغرب ، وكان وصولها في صفر عام (762 هـ/1360م)[2] .

كان يوم وفادتهم يوما مشهودا ، نظرا لاهتمام السلطان المغربي أبو سالم المريني باستقبالهم ، فقد جلس لهم في مجلسه ببرج الذهب ، ونودي في الناس ، بأن يخرجوا إلى الصحراء ، فخرجوا حتى امتلأ بهم الفضاء لرؤية هذا الحيوان الغريب، الذي لم يعتادوه ببلادهم[3] ،واستقبلهم السلطان المغربي باحترام وتقدير كبيرين ، وتقبل هديتهم وأحسن مضافتهم[4].

كانت رحلة ابن بطوطة أيضا لبلاد السودان الغربي ، من ضمن السفارات السياسية التي بعث بها السلطان المراكشي أبو عنان فارس المتوكل ، في عهد السلطان منسى سليمان ، عام (749 - 759 هـ/1348 - 1358 م) ، وكان الهدف منها معرفة الطرق التجارية ، والوقوف على حجم الرحلات التجارية ، التي تتم ما بين السودان الغربي ومصر ، ورغبته في توثيق علاقاته التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي[5] .

ازدهرت العلاقات السياسية بين المغرب العربي والسودان الغربي ، فترة طويلة تقدر بحوالي ثمانين عاما ، امتازت بالسفارات المتبادلة بينهما ، كما احترمت كل دولة حدود الدولة الأخرى وسيادتها ، واتفقتا معا على تأمين طرق القوافل بينهما ، وذلك لتسهيل العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين[6] .

وهذا ما ربط أفراد البلدين ببعضهما ، وشجع على الحركة التجارية بين أهم المراكز ، خاصة وأن التجارة في تلك الفترة كانت تجارة كتب ، وهذا بدوره أدى

1- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 148 .
2- الناصري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 34 .
3- المصدر نفسه ، ج4 ، ص 34 .
4- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 149 .
5- إبراهيم علي ملرخان : المرجع السابق ، ص 96 .
6- محمد المغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 51 .

إلى الترابط الثقافي بين مجتمعات القارة الأفريقية شمالها وجنوبها .

وما يدلل على قوة هذا الترابط ، تفنن المهندسين المغاربة ، بالإضافة إلي من جاء من بلاد الأندلس ، في بناء أروع القصور في بلاد السودان الغربي ، والتي من بينها قصر الملك منسى موسى ، وداره ، ومسجد مدينة جاو ، التي قام بتشييدها المهندس الأندلسي أبو إسحق الطويجن على الطراز المغربي مع تأثيرات سودانية ، لذا نعمت مالي بالاستقرار لولا الثورات التي قام بها المطالبون بالعرش، مما أدى إلى سقوط مالي ، وظهور مملكة السنغاي محلها[1] ، وكانت بداية دولة جديدة ، وسلاطين جدد أولهم السلطان سني علي الذي استولى على تنبكتو عام (873 هـ/1468 م) ، وطرد أهلها الطوارق ، كما استولى على جنى عام (882هـ /1477 م)[2] ، وأصبحت مالي تدفع الجزية لدولة السنغاي ، ولم تحصل إلا على استقلالها الأسمي ، لذلك عرف سني علي بأنه أقوى ملك في بلاد السودان[3] .

أصاب العلاقات السياسية بين المغرب العربي والسودان الغربي ، القليل من التوتر ، وخاصة في فترة دولة سنغاي الإسلامية ، وذلك لعدة أسباب أهمها :

1- اهتمام بعض سلاطين السودان الغربي بالعلاقات التجارية ، لغرض الرفع من مستوى دولتهم الاقتصادي ، وهذا ما حدث في دولة السنغاي في عهد سلطانها سني علي ، الذي اشتهر بكرهه للطبقات المثقفة ، وأجبر فئاتهم على الهجرة إلى عدة مناطق من بينها بلاد المغرب ، وتكده ، في الوقت الذي جامل فيه التجار ، وعمل على سير العلاقات التجارية بين البلدين[4] ، وربما يرجع سبب ذلك لخوفه من الطبقات المتعلمة أن تتدخل في شؤون إدارته .

2- سقوط غرناطة عام (898 هـ/1492 م) ، واستمرار الحروب بين الصليبين والمسلمين على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، أدى ذلك إلى انشغال سكان المغرب العربي بها ، وصرف النظر عن إقامة علاقات سياسية مع السودان الغربي .

1- محمد الفزيي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 52 .
2- السعدي : المصدر السابق ، ص 15 .
3- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 110 .
4- محمد الفزيي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 55 .

3- الاضطرابات السياسية التي شملت بلاد المغرب ، والتي لم تسمح للاسكيا محمد الكبير بتوثيق علاقاته السياسية بشكل واضح مع بلاد المغرب العربي ، فكانت هذه المنطقة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، تعاني من الآتي :

أ- المغرب الأقصى :

أدى ضعف السلطة المركزية للدولة الوطاسية ، التي جاءت بعد بني مرين ، إلى انقسام هذا الجزء من بلاد المغرب إلى وحدات سياسية صغيرة ، سهلت لأسبانيا والبرتغال الدخول إليها ، ومما زاد الأمر توترا ، اتساع دولة سنغاي في عهد الاسكيا محمد الكبير في شمال مملكته على حساب أرض المغرب العربي ، حتى احتلت مناجم الملح في تغازا[1] .

أما باقي أقاليم المغرب العربي ليبيا ، وتونس ، والجزائر كانت جميعها تحت السيطرة العثماني ، وذلك خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي[2] ، وهذا لا يعني أن الاستعمار قطع العلاقات بين البلدين ، وإنما عرقلها بشكل أو بآخر، إلا أنه بمجيء السعديين للحكم في بلاد المغرب الأقصى ، والذي يعد البوابة الرئيسية التي تربط بين المغرب العربي والسودان الغربي ، أدى إلى ازدهار العلاقات السياسية ، وخاصة في عهد القائم بأمر الله ، وأحمد الأعرج ، الذي طالب الحكام السنغيين عام (933 هـ/1526 م) ، باسترجاع منجم تغازا وازدادت رغبتهم في الحصول عليه منذ عهد الاسكيا إسحاق الأول من (446 - 956 هـ /1539 - 1549 م) ، إلا أن رغبتهم هذه لم تتضح تماما إلا في عهد أحمد المنصور الذهبي ، والتي أدت بعد ذلك لدخول السودان الغربي واحتلال دولة السنغاي الإسلامية عام (1000 هـ/1591 م)[3] للأغراض الآتية :

1- امتلاك مناجم الذهب والرقيق في السودان الغربي .

2- ردا على الإغارة التي أعد لها إسحاق ، والتي تتكون من ألفين من الطوارق للسيطرة على الأراضي المغربية التي تقع بين جبال أطلس ، وغرب سجلماسة ،

1- جميلة إمحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص ص 78 – 79 .
2- محمد حجي : جولات تاريخية ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1995 م) ، ج2 ، ص 523 .
3- جميلة إمحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص ص 78 – 79 .

ولم يكتف بذلك ، بل أمرهم أن يسلبوا البلاد حتى أسوار مراكش ، إن سمحت لهم الظروف بذلك[1] .

3- تردي الأوضاع السياسية في سنغاي ، بسبب الصراع على الحكم ، وفساد الأخلاق ، وترك تعاليم الإسلام[2] .

4- الوجود الأجنبي على سواحل بلاد المغرب ، ورغبة الأوربيين في الانتقال إلى بلاد السودان الغربي ، لغرض استنزاف ثرواته .

5- سقوط الأندلس ، وما حدث بالمسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية ، كان دافعا قويا لتحرك السعديين ، للمحافظة على ما تبقى منهم في بلاد السودان ؛ وترسيخ الإسلام بينهم[3] .

6- رفض أسكيا إسحاق الثاني ، طلب أحمد المنصور الذهبي في تسليم مناجم تغازا[4] .

7- قضية الإمامة في بلاد المغرب ، التي وجدت بها منذ عهد الموحدين ، وأصبح سلطان المغرب منذ ذلك الحين يلقب بأمير المؤمنين ، لهذا انفرد سلاطين المغرب بهذا اللقب ، واتبع الاشراف السعديون طريقة أسلافهم في المحافظة على اللقب[5] ، واكتساب الحاج الاسكيا محمد الكبير ملك السنغاي عام (898 - 935 هـ/1493 - 1528 م) ، لقب خليفة بلاد التكرور ، والتي منحت له أثناء أدائه فريضة الحج والتقائه بالخليفة العباسي المتوكل ، الذي ألبسه[6] القلنسوة ، والعمامة[7] ، وبين أنه أحد الخلفاء الاثنى عشر ، وعينه خليفة على بلاد السودان الغربي ، ولم يكتف الخليفة العباسي بذلك ، بل أرسل إليه ابن أخيه المدعو الصقلي الذي وصل بلاد السودان الغربي عام (925 هـ/1519 م)[8] .

كان ذلك بداية المنافسة على المنصب الروحي لملك المغرب ، وهذا ما أدى إلى غضب السعديين ، منذ بداية الدولة السعدية على يد مؤسسها محمد الشيخ ،

1- بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، (بنغازي ، 1988 م) ، ص 272 .

2- قمر الدين فضل الله : لمحة تاريخية عن مملكة السنغاي الإسلامية (1468 – 1591) ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الرابع ، (طرابلس ، 1987 م) ، ص 225 .

3- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 108 .

4- نقولا زيادة : دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ، ((د.م) ، 1991 م) ، ص 375 .

5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص ص 103 ، 104 .

6- السعدي : المصدر السابق ، ص 73 ، كذلك : مرحبا ، المصدر السابق ، الورقة 70 .

7- نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص 375 .

8- مرحبا : المصدر السابق ، الورقة 70 .

إلا أن انشغاله بالحروب أخره عن ذلك ، وظلت هذه القضية في نفوسهم حتى أيام أحمد المنصور الذهبي ، الذي عزم على احتلال سنغاي[1] .

ومن ذلك يتضح أن كافة الدوافع التي ذكرت ، ربما كانت من أهم الأسباب التي أدت بالسعديين إلى احتلال دولة السنغاي الإسلامية خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، باستثناء قضية الإمامة في بلاد السودان ، ويمكننا استبعاد هذا السبب للعوامل الآتية :

أ- إن المتتبع لحركة أحمد المنصور الذهبي أثناء رحلته لبلاد السودان الغربي ، يلاحظ أنه من غير الممكن أن يغامر المنصور بجيش من المسلمين ، يهلك معظمه خلال هذه الرحلة قبل أن يصل إلى هدفه رفضاً للقب أمير المؤمنين.

ب- أن لقب أمير المؤمنين لم يطلق على ملك السنغاي فحسب ، وإنما أطلق على العديد من الأمراء في الدول الإسلامية الأولى مثل : العباسية في بغداد ، والأموية في الأندلس .

1- نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص 375 .

ثانياً : دور وجهود السلاطين في نشر الثقافة وتدعيم التجارة :

يعد السلطان منسى موسى أول حكام السودان الغربي ، الذين كونوا علاقات ثقافية مع بلاد المغرب العربي والمشرق الإسلامي ، فهو أول من حطم حاجز اللون والتفرقة العنصرية ، وهذا ما يعرف بالتميز العنصري ، حسب التسميات الحديثة ، لهذا سمي بصديق البيض[1] ، وما يؤكد ذلك استجلابه لعدد كبير من العلماء ، وخاصة من مصر ، والمغرب ، والأندلس ، فازدحمت بلاده بالعلماء من السود والبيض على حد سواء[2] ، وقد أثبتت بعض الوثائق التاريخية ، أن أهل تنبكتو هم خليط من البيضان والسودان من أهل توات وأروان ومراكش[3] ، كما أرسل طلاب العلم من بلاده إلى فاس لتلقي العلوم المختلفة على نفقة الدولة ، حتى يحملون فيما بعد مسئولية التعليم في بلادهم ، فكان منهم الأئمة ، والقضاة ، والمعلمون ، داخل المدارس والمساجد التي قام سلطان مالي بفتحها لغرض تعليم القرآن الكريم في كل من تنبكتو ؛ وجنى ، وغيرها من حواضر السودان الغربي[4].

ومن بين الصفات التي اشتهر بها السلطان منسى موسى الكرم والعطاء للعلماء المسلمين تشجيعاً لهم على توثيق علاقتهم الثقافية بينهم وبين أعلام بلاده ، فقد كافأ رجلاً من أهل تلمسان بسبعين مثقال من الذهب مقابل سبعة مثاقيل وثلث ، كان قد أعطاها لمنسى موسى أيام صباه ، فقالوا : " الحسنة بعشرة أمثالها "[5].

كما جلب إلى بلاده عدداً من الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه[6] وتوجد بعض الروايات التاريخية التي تبين بأن السلطان منسى موسى مالكي المذهب ، وهذا ما يتضح من حادثة حجه للأراضي المقدسة ، كما ذكرها المقريزي والقلقشندي من بعده، أنه ثالث من حج من ملوك مالي، وكان ذلك في عام (724 هـ /1323 م)[7] ، فأثناء مروره بمصر أرسل له سلطانهم الناصر محمد بن قلاوون

1- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 165 .
2- المرجع نفسه ، ص 151 .
3- مجهول : مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم التصنيف 93 ، انظر الملحق رقم 6 .
4- عطية مخزوم الفيتوري : مملكة مالي الإسلامية ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين ، (طرابلس ، 1993 م) ، ص ص 92 ، 93 .
5- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 73 .
6- سلاح الدين المنجد : مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت ، 1953 م) ، ص 43 .
7- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة المثنى (بغداد ، 1955 م) ، ص 10 ، كذلك : المصدر السابق ، ج5 ، ص 283 .

لاستقباله ، فرفض حتى لا يقبل الأرض[1] ، ورغم ذلك ذهب للحضرة السلطانية ، وطلب منه أن يقبل الأرض ، فتوقف ورفض رفضا ظاهرا ، وقال : للترجمان : " أنا مالكي ، المذهب ولا أسجد لغير الله " ، فعفاه السلطان من ذلك وأجلسه إلى جانبه وأكرمه ، ثم سأله عن سبب قدومه فقال : " أردت الحج " ، فطلب من الوزير تجهيزه بما يحتاج لهذا الغرض[2] .

يناظر السلطان المالي منسى موسى خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، السلطان المغربي أبي الحسن المريني ، الذي ساهم مساهمة واضحة في إثراء الحياة الثقافية ببلاد المغرب العربي ، فهو من أمضى شبابه في تطوير العلوم، وخاصة الدينية منها ، وأكثر من انشأ دوائرها من مدارس وزوايا[3] .

قد ترسخت في عهده مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في كافة المناطق المجاورة لدولته ، والتي تعد بلاد السودان الغربي أولها ، لما كان يشعر به السلطان المريني تجاه أهلها ، فهو لا يرى فيهم جيران أو اصدقاء ، بل اقوى من ذلك ، فهي علاقة قوية نتجت عن المصاهرة بينهما ، لذلك شملهم برعايته وتقديره[4] .

إن العلاقة بين البلدين بكافة جوانبها ، قد وثق جذورها الأولى سلاطين بني مرين من المغرب ، وسلاطين دولة مالي الإسلامية ، وخاصة في عهد السلطان منسى موسى ، إلا أن هذا لا يعني ركود العلاقات في عهد الاسكين ، في دولة سنغاي الإسلامية ، بل على العكس من ذلك ، فقد قامت علاقات وثيقة بين البلدين رغم عرقلة الظروف لها ، استطاع الاسكيا محمد الكبير ، إنعاش الحركة العلمية في بلاده ، فهو من مهد الطريق نحو التقدم والازدهار ، ومن اختار قضاة دولته من العلماء حتى يحافظ على إدارته بشكل عادل ، وخصص جزءا من أملاكه في بناء المدارس والمساجد ، لتعليم القرآن الكريم ، وحفظ للعلماء مكانتهم داخل مجتمع دولته ، ومن أمثلة ذلك علاقته مع محمد بن عبد الكريم المغيلي[5] .

1- المقريزي : المصدر السابق ، ص 10 ، كذلك : القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 283 .
2- المصدر نفسه ، ص 12 .
3- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع اهم المركز في الشمال الأفريقي ، ص 146 .
4- المرجع نفسه ، ص 147 .
5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 94 .

كما كان لأحمد المنصور الذهبي دوره البارز في تشجيع العلماء على التطور الثقافي داخل بلاد المغرب وخارجه ، كعلاقته بعلماء السودان الغربي مثل الإمام أحمد بابا التنبكتي ودوره الثقافي بالمغرب .

إن من أهم مظاهر تشجع المنصور على العلم توجيه العلماء للتأليف في كافة فروع المعرفة ، وما شجعهم على ذلك دخوله في مضمار تأليف الكتب ، ومن بين مؤلفاته كتاب في علم السياسة الذي يسمى المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائق ، وأخذت هذه السياسة تظهر نتائجها على بلاده ، بأن ظهرت مهنة احتراف العلم بسبب اعتزاز أهله وكثرة أرزاقهم ، فكثر المشايخ والتلاميذ وتنوعت العلوم بفروعها المختلفة ، من حديث ولغة وطب وهندسة وحساب وتنجيم ، والكثير من علوم الأدب والمعرفة[1] .

1- عبد الكريم كريم : المغرب في عهد الدولة السعدية، الرباط ، (المغرب ، 1977 م)، ص ص 316 ،617.

ثانياً : العامل الديني :

كان للإسلام أكبر الأثر في توثيق العلاقات بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وقد برز هذا الأثر في عدة جوانب أهمها :

أ- صفات التجار :

تحلى التاجر المسلم بصفات إسلامية أخذت من مبادئ الدين الإسلامي ، ومنها على سبيل التمثيل الصدق ، والأمانة ، والشجاعة في إظهار الحقائق[1] ، ولهذا فإن هؤلاء التجار من عرب وبربر حملوا تجارتهم ، وثقافتهم إلى السودان الغربي ، وعكس ذلك ارتبطت التجارة والإسلام ارتباطا ارتباطا وثيقا في غرب أفريقيا ، وكان لابد للتاجر أن يتحلى بالخصال الإسلامية[2] السالفة الذكر ، وكانت للصلاة أثرها لما يقوم به التاجر المسلم من وضوء وطهارة خارجية تمثلت في نظافة الملبس والبدن ، وداخلية حضور القلب أثناء طهارة الأعضاء ، بالإضافة إلى ذلك كيفية الصلاة وما فيها من أحكام كاستقبال القبلة ، وما فيها من إشارة إلى طلب الحق[3] ، ففي ذلك اجتذاب لأهالي السودان الغربي ، واستمالتهم للدخول في الإسلام بكل سهولة ويسر .

لذلك اعتبرت التجارة ، هي المقياس الحقيقي ، لتقييم الإنسان المسلم ، وهذا ما كان يفعله تجار المغرب العربي ، الذين تسافر قوافلهم إلى السودان الغربي ، ويتضح ذلك من الاختبار الذي قام به عبد الوهاب ، في مجال الفقه الإسلامي لابنه أفلح ، الذي أراد مرافقته في إحدى أسفاره التجارية ، للتأكد من حسن نواياه في مسألة الربا ، فكان من أصلح الشخصيات الذين لهم علاقات سياسية وثقافية طيبة مع بلاد السودان الغربي ، وخاصة في منطقة كوكو[4].

1- مصطفى بن شقرون : دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب أفريقيا في العصر الوسيط ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 61 .

2- Spencer Trimingham, A History of Islam in west Africa, London : Oxford University press, 1962, pp.31,32 .

3- عبد المنعم الحنفي : معجم مصطلحات الصوفية . دار المسيرة ، (بيـــروت ، 1988 م) ، ص ص 154، 267 .

4- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 174 .

ب- الحج وأثره :

يعد الحج أحد مناسك الإسلام ، لذلك حرص أهالي البلدين حرصا شديدا للذهاب للأراضي المقدسة ، فرحلة الحج سواء كانت بحرا ، أو برا تتيح للمسلمين المرور بالعديد من البلدان الإسلامية ، لتحقيق عدة أغراض أهمها :

1- اكتساب العلم والمعرفة ، وعقد الندوات العلمية ، واجتماع عدد كبير من المسلمين[1] في أحد مراكز العلم التي تمر بها قوافلهم كفزان التي كانت منطلقا لقوافل الحج ، الذي يعبره أهالي السودان الغربي ، والمغاربة سنوياً ، وبزيادة عددهم أصبحت قوافل حجاج فاس ، وسجلماسة ، ومراكش ، والساقية الحمراء ، وأجزاء أخرى من صحراء المغرب العربي ، بالإضافة إلى أهالي السودان الغربي تنطلق جميعها من فزان[2] ، وربما يكون مصدر ذلك التطور الثقافي الذي وصلت إليه هذه المنطقة ، لوقوعها على طرق القوافل التي تؤدي إلى الأراضي المقدسة .

2- رغبة الملوك ، والأمراء ، ورؤساء الدول الالتقاء مع نظرائهم في المراكز التي يمرون بها ، وإقامة علاقات طيبة بينهم ، فملوك وأمراء السودان الغربي على اختلاف عصورهم أتاحت لهم رحلات الحج الاحتكاك بزعماء الدول الإسلامية المعاصرة لهم ، وخاصة مع مصر والحجاز والمغرب العربي[3] .

ومما يؤكد ذلك أن السلطان منسى موسى عندما أراد الحج ، وجه رسالة للسلطان المريني أبو سعيد عثمان بن يعقوب يعلمه فيها ، بأن قافلته ستمر عبر الطريق الإمبراطوري المحاذي للبحر المتوسط[4] ، وعندما وصل للأراضي المصرية قابل حاجب السلطان المريني هلال ، واتفقا على تأمين طرق القوافل التجارية المارة بين البلدين[5] .

3- جذب السلاطين للعلماء ، والفقهاء، والتجار[6] لبلادهم لغرض تقدمها الاقتصادي

1- حبيب اوداعة الحسناوي : الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 84 .

2- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 48 .

3- حبيب اوداعة الحسناوي : المرجع السابق ، ص 88 .

4- السعدي : المصدر السابق ، ص 7 ، كذلك : محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 48 .

5- المرجع نفسه .

6- حبيب اوداعة الحسناوي : المرجع السابق ، ص 88 .

والثقافي ، ومنسى موسى من أفضل الأدلة التي تبين ذلك[1]، ويظهر دوره هنا جليا أثناء نزوله بمصر عام (724 هـ/1323 م) بهدايا كثيرة وذهب أكثر[2] .

ورغم أنها لم تكن الرحلة الأولى بالنسبة لحكام مالي ، وفي ذلك يقول : المقريزي : " ... حج منسا ولى بن مارى جاطه في أيام الملك الظاهر بيبرس ، ثم حج ساكورة ، ... ثم حج منسا موسى ... "[3] ، إلا أن رحلته هي من أعطت للسودان الغربي الانتماء للعالم الإسلامي والسير في منهاجه[4] .

يتضح من ذلك أن أي علاقة بين دولة وأخرى ، سواء كانت تجارية أو سياسية أو ثقافية لا تتطلب قدوم أهالي البلدين ، وإنما تتحقق بمرور أعلام البلدين بالمناطق المجاورة لها والالتقاء بأعلامها .

ج- انتشار الطرق الصوفية :

ادت الطرق الصوفية دورا بارزا في نشر الإسلام وثقافته في بلاد السودان الغربي ، وذلك بتوافد العديد من الشخصيات[5] ، التي تميزت بالتقوى والورع[6] إلى تلك البقاع ، لتوثيق الإسلام بها عن طريق الإرشاد والتوجيه ، فعملوا على تأسيس المدارس الدينية ، وفتحوا الزوايا ، وصاهروا أهالي البلاد الأصليين ، لربط البلدين عرقيا[7] .

ساعد على انتشار الطرق الصوفية في بلاد السودان الغربي ، العديد من عوامل الاتفاق بين أهالي البلدين ، وما تميز به رجال الطرق من ميل إلى سكن القرى ، والنجوع ، وعدم اهتمامهم بجمع الأموال إلا ما يكفي حاجتهم الأساسية ، لذلك لقبوا بالفقراء[8] ، وربما يعود ذلك إلى الاسم الذي أطلق على بعض الفقراء في صدر الإسلام الذين استقروا في مكان بناء الرسول – صلى الله عليه وسلم – خارج المسجد[9] ، وهنا يأتي الاتفاق بين أهالي رجال الطرق الصوفيـــة ، وأهالـــي

1- حبيب اوداعة الحسناوي : المرجع السابق ، ص 88 .
2- المقريزي : المصدر السابق ، ص 111 .
3- المصدر نفسه .
4- حبيب اوداعة الحسناوي : المرجع السابق ، ص 86 .
5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 72 .
6- الحنفي : المصدر السابق ، ص 266 .
7- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، د.ت) ، ص 155 .
8- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 170 .
9- أبو نصر عبد الله على السراج الطوسي : ضبطه وصححه كامل مصطفى الهنداوي ، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، دار الكتب الوطنية ، (بيروت ، 2001 م) ، ص 12 .

السودان ساكني القرى الذين أقبلوا على هذه الطرق ، وانضموا إليها لدخولهم في الإسلام ، ومعرفة ثقافته .

كان الاتفاق بين الطرفين واضحاً ، من خلال بعض العادات والتقاليد، أهمها الطقوس الدينية ، واستعمال الدفوف ، والطبول في حلقات الذكر ، ووجدت كافة هذه الأمور التي جاءتْ بها الطرق الإسلامية قبول لدى الأفارقة[1] ، وللجاحظ إشارته في هذا المجال حيث يقول أن : " ... أطبع الخلق على الرقص الموقع الموزون ، والضرب بالطبل على الإيقاع الموزون ، ومن غير تأديب ولا تعليم "[2] وأشار ابن خلدون من بعده إلى ذلك ، حيث قال : " ... رأينا من خلـــق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فنجدهم مولعين بالرقـــص ... "[3] .

كان لكل شيخ من شيوخ الطرق الصوفية مريدين وأتباع ، يعملون على طاعته ، ويقدرونه كل تقدير واحترام ، ويدعمونه من الناحية المادية حتى أصبحت لهم قدرة كبيرة على توسيع دائرة نفوذهم ، بتأسيس المساجد ، والزوايا ، والمـــدارس ، وأدوا أدواراً مهمة ، في توجيه الأهالي وإرشادهم إلى أمور الدين ومبادئه[4] ، وسنكتفي بذكر أهم الطرق الصوفية التي ساعدت على توثيق العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي :

1- الطريقة القادرية :

تأسست خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، على يد عبد القادر الجيلاني ، وهي أوسع الطرق الصوفية انتشاراً ، دخلت إلى السودان الغربي خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، وتزعمت هذه الحركة جماعة خرجت من توات ، واتخذت ولاته مركزاً لها، ثم استقرت فيما بعد بمدينة تنبكتو[5]، وفي ذلك يقول السعدي أحد أبنائها : "... مألف الأولياء والزاهدين ..."[6]، كما يبدو من إشارته استقرار الطـــرق الصوفية في مدينة جنى أيضـــاً ، وفي ذلك يقـــول : " ... وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكـــان من العلماء والصالحيـــن مـــن

1- مطير سعد عيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 171 .
2- رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل (بيروت ، 1991 م) ، ج1 ، ص 195 .
3- المقدمة ، ص 63 .
4- مطير سعد عيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 171 .
5- حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص 43 .
6- المصدر السابق ، ص 21 .

غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى ... "[1] ، ولم يمض زمن على دخول الطريقة القادرية لبلاد السودان الغربي ، حتى انتشر الدعاة من الفقهاء والمعلمين في كافة أنحاء المنطقة[2] ، يعود معظمهم إلى قبيلة كنته المغربية[3] ، وربما كانوا هم أول من نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي[4] ، كما أن هناك رأي آخر يذكر أن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، ربما يكون هو أول من نشرها[5] ، وهو ما رجحه (مطير) نقلاً عن سلسلة الذهب في الورد القادري ، لعدة اعتبارات أهمها :

أ- ورود اسم المغيلي في صدد السند القادري ، ضمن سلسلة الذهب في الورد القادري .

ب- إن خروج المغيلي من توات تجاه السودان الغربي ، في ظروف سياسية غير مستقرة في بلاده ونتيجة لصراعه مع اليهود ، الذي أدى إلى مقتل ابنه ، فهذا في حد ذاته من أهم الأسباب التي تبين حاجته للظهور ومحاربة يهود توات ، وربما تكون الطريقة القادرية مؤهلة للقيام بهذا الدور .

ج- الاتفاق الذي حدث في الفترة الزمنية التي جاءت فيها قبائل كنته إلى بلاد السودان الغربي ، وبهذا تكون قد تزامنت مع قدوم المغيلي إلى تلك الديار ، خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، وهي نفس الفترة التي انتشرت فيها الطريقة القادرية داخل السودان الغربي[6] ، كما يعد الشيخ محمد أحمد، من الذين ساهموا في نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي ، في الفترة من (865 - 961 هـ/1460 - 1553 م)[7] .

2- الطريقة العروسية :

تعد من الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في كل من المغرب العربي والسودان الغربي ، حيث انتقلت إليه خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، بفضل جهود بعض رجالها مثل الشيخ الليبي عبد السلام الأسمر ، وما

1- السعدي : المصدر السابق ، ص 16 .
2- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 172 .
3- الطيب الوزاني : مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب افريقيا والمغرب الأقصى ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1999 م) ، ص 480 .
4- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 172 .
5- الطيب الوزاني : المرجع السابق ، ص 491 .
6- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص ص 172 ، 173 .
7- الطيب الوزاني : المرجع السابق ، ص 491 .

له من مراسلات مع سكان تلك البلاد بواسطة صبيانه ، حيث ينصحهم بأن لا يكونوا مبدلين ولا مغيرين ولا معاندين ولا مجادلين[1] ، ومن ذلك الحين نشطت الحركة العلمية بين الفرق الإسلامية وازدادت البعثات والمراسلات الثقافية بين البلدين ، وخلاصة القول أن هذه الطرق وغيرها كثيرة ، انتشرت في بداية أمرها بالمغرب ثم انتقلت إلى بلاد السودان الغربي ، حتى سيراليون ومصب نهر النيجر ، ونتج عن انتشارها رسوخ الدين الإسلامي ، ولغتـــه ، ووصل نتيجة لذلك أبناء المناطق السودانية إلى الدراسة في الجامعات المغربية ، ومنها على سبيل التمثيل طرابلس والقيروان ، وجامع القرويين بفاس ، وتخرجوا أساتذة رفعوا لواء الإسلام داخل بلادهم[2] .

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي ، ص 174 .
2- الطيب الوزاني : المرجع السابق ، ص 491 .

رابعاً : العامل الاجتماعـــي :

أ- الأنماط المعيشية :

يُظهر ما أورده ابن بطوطه عن نمط حياة أهالي السودان الغربي ، أثناء زيارته إليها عام (753 هـ/1352 م) ، مدى الترابط الإنساني ، والاتفاق الديني والثقافي بين البلدين ، ويظهر ذلك جلياً من خلال بعض المعاملات التي أوصلها إلينا ابن بطوطه ، والتي بينت إشاراته أنها مأخوذة من أنماط الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب .

وبما أن لسلاطين السودان الغربي دورهم الواضح في توثيق العلاقات بين البلدين بكافة جوانبها ، ظهرت مشاركتهم بينة في الاندماج داخل أفراد المجتمع ، وهذا يدل على ما امتازوا به من صفات مردها الأساسي رفضهم للظلم ، بكافة أشكاله ، وعدم مسامحة أي شخص يظلم الآخر[1] ، ويشير ابن بطوطه إلى ذلك بقوله : " وحضرت الجمعة يوماً فقام أحد التجار ... من مسوفه ، ويسمى بأبي حفص ، فقال : يا أهل المسجد أشهدكم أن منسى سليمان في دعوتـــي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما قال ذلك خرج إليه جماعة ... من مقصورة السلطان فقالوا له : من ظلمك . من أخذ لك شيئاً ؟ فقال : منشاجو ايوالاتن ، يعني مشرفها ، أخذ مني ما قيمته ستمائة مثقال ، وأراد أن يعطني في مقابله مائة مثقال ... فبعث السلطان إليه للحين ، فحضر بعد أيام وصرفها للقاضي ، فثبت للتاجر حقه فأخذه ، وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله "[2] .

بهذا حدث اتفاق واضح بين نمط الحياة في السودان الغربي ، وبلاد المغرب ومرد ذلك إلى علماء بلاد المغرب وسلاطينها ، وخاصة في مسألة المساواة بين الناس ، ففي بلاد المغرب تكون العلاقة بين العبد وسيده علاقة إنسانية ، ويعد المولى جزء من العائلة ، حتى يرفض الرقيق التحرر ، كما كان بإمكانه الوصول إلى أعلى درجات التعلم ، وربما يتفوق على سيده في بعض الأحيان ، وهذا ما فعله الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في مسألة اليهود " ولما اختلف الفقهاء عليه قدم على فاس لأجل المناظرة بحضرة السلطان الشيخ ابن أبي زكريا الوطاسي ، ... فلما نزل بحاضـــرة فاس ، خرج الفقهاء إلى لقائه والسلام عليه ، وكـــان له ستـــة

1- رحلة ابن بطوطه ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار : دار صادر ، (بيروت ، 2001 م) ، ص ص 400 ، 401 .
2- المصدر نفسه ، ص 400 .

مماليك من السودان كلهم يحفظون مدونة البرادعي عن ظواهر قلوبهم ، وكلهم فقهاء ، فلما استقر الجلوس بفقهاء فاس عنده ، قال لأحد المماليك ، واسمه الفقيه ميمون ، تكلم مع الفقهاء في نازلة اليهود "[1] .

يعد ما قام به الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في هذه المناظرة العلمية الدينية التي ساوى فيها ما بين العبد وسيده ، من أفضل الأدلة التي تبين إزالة الفوارق اللونية التي نبذها القرآن الكريم ، فالبشر سواسية على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ، وهذا ما ساعد الدعاة المسلمين بأن يندمجوا في حياة سكان بلاد السودان الغربي ، وأصبحوا أعضاء متميزين في المنطقة ، منهم القضاة، والقادة ، والحكام ، كما أن الإسلام لم يؤثر على التركيبات الطبقية في بلاد السودان الغربي ، ولم يسلبهم سلطتهم بل شرط شرطاً واحداً ينطبق على حاكم الدولة الإسلامية ، وهو دخوله الإسلام[2] ، ونظراً لما وجدهُ أهالي تلك البلاد ، من معاملات حسنة من سكان المغرب العربي كانت رغبتهم قوية في ارتباطهم تجارياً وثقافياً بهم ، وهذا لن يكون إلا باتباع المبادئ الإسلامية .

اهتم مجتمع السودان الغربي لذلك بمحاولة نبذ كافة الخرافات اللاإسلامية وتربية أبنائهم على القواعد الأساسية للإسلام ، والتي أولها حفظ القرآن الكريم ، وضربهم وتقييدهم إن خالفوا ذلك ، وهذا ما وضحه ابن بطوطه حين قال : "... دخلت على القاضي يوم العيد ، وأولاده مقيدون فقلت له : ألا تسرحهم ؟ فقال: (لا أفعل حتى يحفظوه القرآن) ، ومررت يوماً بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي : ما فعل هذا ، أقتل ؟ ففهم عني الشاب وضحك ، وقيل لي : إنما قيد حتى يحفظ القرآن "[3] .

وفي هذا يكون الترابط الاجتماعي جلياً بين البلدين ، وخاصة وإن أهالي المغرب العربي يقتصرون في تربية أبنائهم على تحفيظ القرآن الكريم ، ولا يخلطون بينه وبين العلوم الأخرى ، لذلك ظهرت قدرتهم واضحة في رسم القرآن وحفظه[4] ، كما لاحظ ابن بطوطه أن أساس الترابط الاجتماعي انتشار الأمن ، وما

1- محمد رزوق : قضية الرق في تاريخ المغرب ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز الجهاد ، (طرابلس ، 1986 م) ، ص 270 .
2- المرجع نفسه ، ص 270 .
3- المصدر السابق ، ص 402 .
4- محمد محمود : العلاقة الثقافية بين السكن في شمال وجنوب الصحراء الكبرى ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص ص 61 ، 62 .

العائلة الغدامسية

تابع ـ العائلة الغدامسية

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية
في أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 319

ب- الهجرة والمصاهرة :

قبل التحدث عن هجرة بعض أهالي المغرب العربي لبلاد السودان الغربي ، نود أن نبين أن العنصر الأساسي الذي أثر في التطور الاجتماعي والحضاري في بلاد السودان الغربي يتمثل في العامل التجاري ، وما أتاحته القوافل التجارية من فرص الاطلاع على العادات الاجتماعية ، والأحوال الثقافية الموجودة لدى أهالي بلاد المغرب ، إلا أن الباحثة ترى أن في هجرة العنصر البشري من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي عمل على توسيع العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، وخاصة عندما تكونت الجاليات المغربية ، وما قامت به من أدوار مهمة هناك ، وبالذات في فترة الدراسة التي تميزت بالتواجد المغربي الكثيف ، والذي سبب في تطور العلاقات بينهما ، وكانت المبادرات الأولى للتجار المغاربة .

ولم يبدأ التبادل التجاري بين البلدين واضحاً إلا في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وهذا ما بين أن السبب الأول للهجرة هو التجارة ، فالتاجر عند قدومه إلى بلاد السودان يقوم بكراء منزل يسكنه ، وكمقر لتخزين بضاعته حسب المدة التي يقضيها هناك ، وربما يستقر فيها بشكل دائم ، مثلما حدث مع ابي بكر أحمد بن مخلوف الفاسي ، واستقراره بغانه ، وإخوان المقري ، (عبد الواحد وعلي) اللذين كونا أسرا لهم في بلاد السودان الغربي ، كما أن هذه الهجرات لم تكن تجارية فحسب ، بل هاجرت إلى تلك المناطق بعض الأسر العلمية مثل الفقهاء ، والقضاة ، والمدرسين[1] ، وهذا بدوره أدى إلى حدوث المصاهرات بين أبناء البلدين ، واختلطت الدماء الأفريقية شمال القارة وجنوبها ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : التصاهر بين محمد بن الفقيه الجزولى كبير جماعة أهالي المغرب، الذي كان متزوجا بابنة عم السلطان منسى سليمان[2] ، كما زوج الأخير ابنتيه من أخوين تاجرين بسبب غناهما[3] ، كما تزوج الاسكيا الحاج محمد وابنه الذي تولى أمور دولته من بعده ، من نساء بربرشيات ، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر طويلا وانتهت بقدوم أحمد المنصور الذهبي لدولة السنغاي ، وانضمام البرابيش إليه ، وخاصة الفرع القادم من المغرب الأقصى[4] .

1- محمد الشريف : الجاليات المغربية ببلاد السودان الغربي من (8 هـ/14 م) ملاحظات حول دورها في التفاعل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، ص ص 434 ، 435 .

2- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 397 .

3- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 166 .

4- الهادي المبروك الدالي : قبائل البرابيش ، ص 292 .

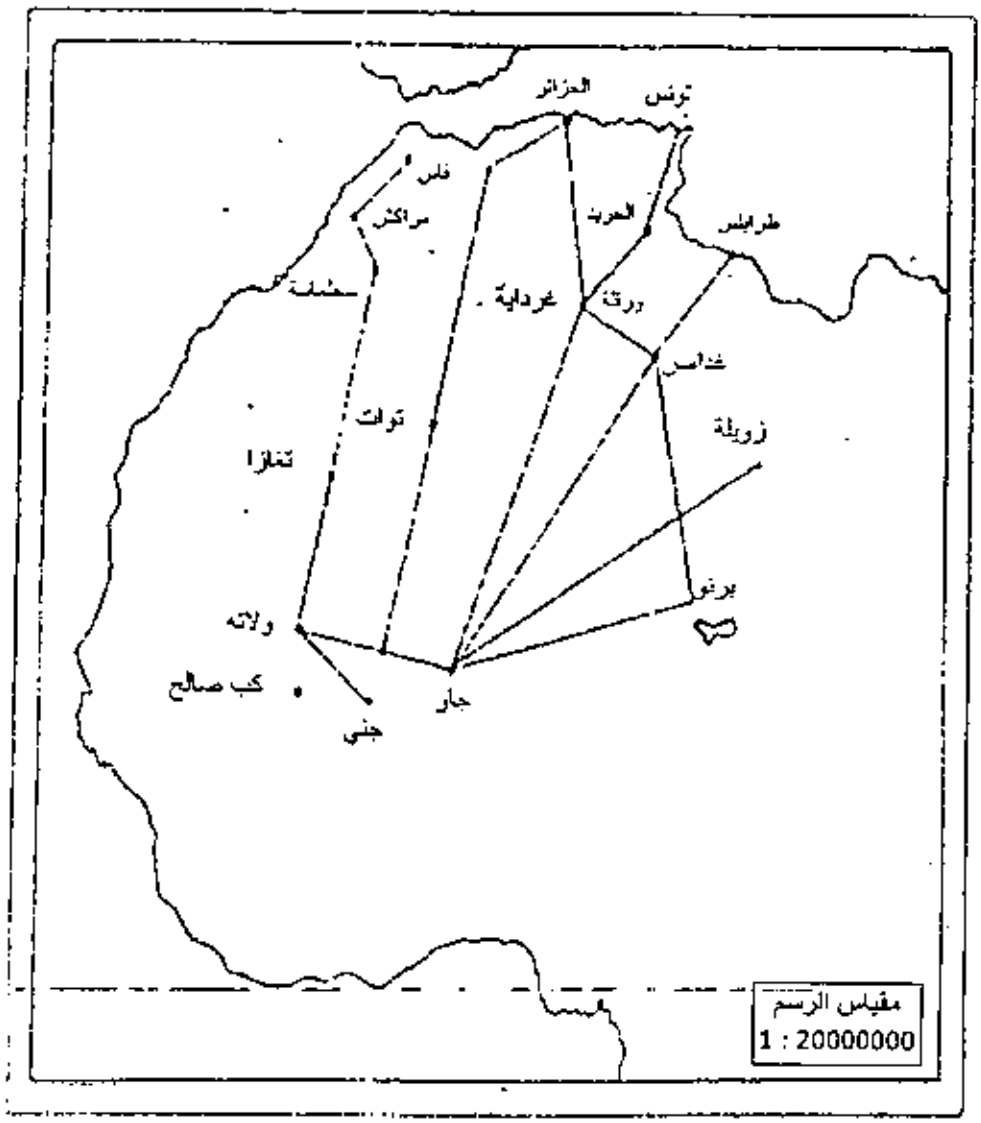

مخطط لطرق القوافل التجارية بين بلاد المغرب والسودان في القرن السادس عشر نقلاً عن جميلة إمحمد التكتيك ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1493 – 1528 م ، ص 240 مع التعديل في مقياس الرسم .

خامساً : الطرق التجارية ووسائلها :

أ- طرق التواصل بين المغرب العربي والسودان الغربي :

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

1- طرق القوافل :

تعددت الطرق التجارية التي تربط بين البلدين ، حيث أنها تعد من أهم وسائل الاتصال التي بواسطتها تمكن التاجر والمعلم والفقيه من اجتياز الصحراء الكبرى وصولا إلى مراكز العلم والتجارة بالسودان الغربي ، وبما أن الخطوط الرئيسية ثابتة ما بين البلدين ، إلا أن بعض الطرق قد تتعرض للتغير ويضطر التجار إلى اجتياز طرق أخرى ، وهذا ما يحدث بين الفترات الزمنية المختلفة ، وربما يعود ذلك لعدة أسباب هي :

أ) الظروف المناخية مثل التغيرات الجوية كعوامل التعرية ، التي تعمل عل ردم الآبار ، وطمس معالم الطرق ، فيصبح خوضها أمرا مستحيلا ، يجبر التاجر إلى اختراق طرق جديدة .

ب) تعد الظروف الأمنية من ضمن أهم الأسباب التي تعرقل سير القوافل التجارية كاعتداء اللصوص مثلا .

ج) الظروف السياسية لها دورها في تسهيل سير القوافل من منطقة إلى أخرى ، كما تكون من ضمن أسباب عرقلة سيرها في حالة حدوث نزاع بين دولة وأخرى .

د) الازدهار في بعض المراكز التجارية والثقافية جعل التجار ، والعلماء يرغبون في الوصول إليها من أقصر الطرق .

كما كان للقبائل دورها المهم في تسهيل عمليات الترابط التجاري ، وما قامت به بعض القبائل الصنهاجية المسوفية في تذليل الصعوبات التي واجهت الحركة التجارية أثناء مرورها في الطريق ما بين سجلماسة وأودغست ، التي كانت تسيطر عليه هذه القبائل[1] ، والذين اعتادوا على تزويد التجار المتنقلين بين البلدين ، بالطعام والماء العذب[2] ، على أن تدفع رسوما مقابل تقديم خدماتها لهم[3] ، ومن ضمن العوامل الخفية التي ساعدت على سير الحركة التجارية الأدلاء ، وقد ذكرهم ابن بطوطه، أثناء زيارته لتلك البلاد ، وفي ذلك بين أهميتهم في تسهيل سير

1- الشيخ لامين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب العربي والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد البحوث للدراسات الأفريقية ، (بغداد ، 1984 م) ، ص 37 .

2- المرجع نفسه .

3- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 393 .

القوافل فبين أنه لولا وجود رجال أغلبهم من الصحراء ، لهم دراية تامة بمسالكها ، لكثرة ترددهم عليها ، لهلكت معظم القوافل التجارية[1] ، كما كان للشخصيات السياسية في بلاد السودان الغربي دورها الواضح في تذليل معظم الصعوبات التي تواجه التاجر المسلم كانتشار الأمن وتأمين نقاط الحراسة[2] ، وخاصة في عهد الاسكيا محمد الكبير[3] ، وقد كان لتجار غدامس دورهم في تذليل بعض صعوبات طرق القوافل ، وذلك بإشراف ممثليهم على سلامتها وتوجيهها ، وتنظيم أمورها من حيث عمليتي التصدير والاستيراد في كل من الاتجاهين[4] .

ورغم ثبوت الاتجاهات الرئيسية يمكن مراعاة كافة الاعتبارات السالفة الذكر ، أثناء التحدث عن المسالك التجارية التي تربط بين البلدين والتي من أهمها :

أ- المسالك الغربية : تربط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي .

ب- المسالك الوسطى : تربط منطقة المغرب الأوسط والسودان الغربي .

ج- المسالك الشرقية : تربط بين ليبيا وبين مناطق جنوب الصحراء الكبرى .

كما برزت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، خلال عهد الاسكيا محمد الكبير ، الطريق المار بتوات ، الذي يربط بين الجزائر والسودان الغربي ، ويؤكد ذلك وجود الجالية التواتية في مدن سنغاي ، وجاو ، وتنبكتو ، الذين التقى بهم الإمام محمد عبد الكريم المغيلي أثناء زيارته لدولة السنغاي الإسلامية ، عام (908 هـ/1502 م)[5] ، وربما تكون قد سلكت هذا الطريق وصولاً إلى تلك المناطق .

وتفرعت عن تلك المسالك عدة طرق تجارية أهمها :

أ- سجلماسة 25 يوماً تغازا .

ب- تغازا 35 يوماً ايولاتن .

ج- ايولاتن 24 يوماً مالي[6] .

1- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 393 .

2- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 272 .

3- جميلة إبحمد التكتيك : المرجع السابق ، 118 .

4- منصور محمد البابور : غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية ، جامعة قاريونس ، (بنغازي ، 1995 م) ، ص 30 .

5- جميلة إبحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص 117 .

6- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص ص 392 ، 393 ، 395 .

د- من تلمسان حتى توات وصولاً إلى تنبكتو .
هـ- من طرابلس ليبيا حتى غدامس وفزان وصولاً إلى برنو وجاو[1] .

ومن مصراتة إلى واحة سيويه ، ثم زويلة وتادمكه ، ثم جاو وتنبكتو ، إلا أن أهم الطرق التجارية التي في شمال ووسط أفريقيا الطريق المار بين تغازا وتنبكتو المعروف بطريق الذهب[2] ، بالإضافة إلى الطريق الموازي لنهر النيجر ، ويتم عن هذا الطريق نقل السلع من مناطق مختلفة إلى السودان الغربي والطريق القادم من بلاد المغرب الأقصى ، والطريق الرابط بين غدامس وبلاد السودان الغربي[3] .

2- النقل النهري :

كان لوجود الأنهار في بلاد السودان الغربي ، أثرها الواضح في عمليات الترابط التجاري بين البلدين ، حتى وأن قامت بحركات وصل داخلية ، فهي تعمل على تقريب المسافات بين أهم المراكز الداخلية ، وطرق القوافل التجارية ، وما قام به نهر النيجر من تسهيل لعمليات التواصل في مملكة مالي الإسلامية من أفضل الأدلة على أهميتها ، كما استخدم السلطان المالي منسى موسى القوارب ، والسفن أثناء عودته من الأراضي المقدسة لنقل أمتعته ، وأهله من تنبكتو حتى أواسط السودان الغربي[4] ، كما استخدمت في دولة سنغاي الإسلامية ، وما يدل على ذلك ركوب الاسكيا إسحاق قارباً من ميناء كبرى إلى مدينة كاغ[5] ، ويعد ميناء كبرى أوكبر أوكب ، من ضمن أهم الموانى في السودان الغربي[6] ، كما يعد ميناء جنى من ضمن الموانى ذات الأهمية بسبب تواجد التجار به ، وفيه يلتقي تجار الملح والذهب ، والرقيق ، وازدادت أهميته بعد السيطرة المغربي للسودان الغربي ، حيث تم تنظيمه من الناحية التجارية ، وعين له حاكما وقاضياً لغرض الفصل في المنازعات التي قد تحدث هناك[7] .

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا ، سلطنة البورنو ، مكتبة مدبولى ، (القاهرة ، 1996 م) ، ص 70 .

2- Barth H. Travels and Discoveries in North and Central Africa , Vol.3, London, Frankcass , LT, 1965, pp.358 – 359 .

3- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 70 .

4- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة ، 1999 م) ، ص 335 .

5- السعدي : المصدر السابق ، ص 87 .

6- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 419 .

7- المرجع نفسه .

3- النقل البحري (المحيط الأطلسي) :

يعد المحيط الأطلسي حدا غربيا لكل من المغرب العربي والسودان الغربي ، ومن هذا يمكن أن نستنتج أنه بإمكان السفن التجارية أن تنتقل على طول السواحل الغربية ، ويتضح ذلك من إشارات البكري حيث قال : " وساحل غمات رباط قوز على البحر المحيط ... "[1] ، ومن المحتمل هنا أن تكون بعض المنتجات تنتقل من غمات ببلاد المغرب عن طريق المحيط الأطلسي ، وتنزل في ميناء قوز ، كما أشار إلى وجود بعض الصادرات والواردات في الميناء ، وذلك حسب الظروف المناخية للبحر المحيط[2] ، ومن ذلك يتبين أن النشاط التجاري عبر المحيط الأطلسي لم يتوقف نهائيا ، بل أصيب بالقليل من الركود ، في بعض الأحيان حيث لم تعد الإمدادات الخارجية للأسواق متوفرة عبر الموانئ ، بسبب الصدام المستمر بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية ، ولهذا كان التواصل عبر الصحراء أسلم وأكثر اطمئنانا[3] .

ب- وسائل المواصلات :

1- الإبـل :

تعد رائدة النقل في التجارة الصحراوية ، ولولا وجودها لما استطاعت القوافل التجارية اختراق الحاجز الصحراوي وصولا إلى بلاد السودان الغربي ، وبفضله تحولت الصحراء إلى ساحة تعبرها طرق القوافل التجارية[4] .

وقد أثبتت بعض الوثائق التاريخية بتنبكتو ، أن الإبل من أهم وسائل المواصلات بين تنبكتو وغدامس ، لهذا امتلك التجار أعدادا هائلة منها ، فقد كان لابن سليمان أحد التجار الذين يجوبون الصحراء ما بين البلدين ، خمسة عشر ناقة وللحاج بلقاسم ثمانية عشر[5] ، وهذا ما شجع عمليات الهجرة بين البلدين[6] ، ونشطت حركة تجارة الإبل ، ووجدت لها أسواقا رائجة ، وخاصة لدى أهالي المغرب في الفترة من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي[7] .

1- المصدر السابق ، ص 153 .
2- المصدر نفسه .
3- إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 36 .
4- الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للعلوم والثقافة، (تونس ، 1987 م)، ص94.
5- رسالة من الحاج عبد الرحمن بن الحاج علي إلى عيسى بن احميد الغدامسي : مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم التصنيف 9060 ، انظر الملحق رقم 7 .
6- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 138 .
7- ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 33 .

إلى أن سيطر المغاربة على بلاد السودان الغربي ، حيث ازدادت القوافل التجارية عبورا بين شمال القارة وغربها ، وارتفع عدد الإبل في القافلة الواحدة إلى 5000 جملا حاملة معها 260 طنا من البضائع[1] .

2- محطات تجارية :

وجدت على معظم هذه الطرق العديد من المحطات لغرض إقامة واستراحة التجار المتنقلين ما بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وبرز البعض منها خلال الحكم المغربي ، وكان ذلك خلال السنوات الأخيرة من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أهمها ما يلي :

أ- تزناخت :

تقع على السفوح الجنوبية لجبال سيروه ، في مدخل وادي يسمى الكوبيتة ، حيث ينحدر تدريجيا حتى يصل إلى درعه ، وهي منطقة امتازت بخصوبة أراضيها، فانتشرت فيها الفواكه والخضروات ، كما كانت تضم بعض الأحياء الخاصة بأصحاب الخدمات مثل الحدادين ، والنجارين ، الذين يقومون بتقديم بعض التسهيلات لتجار القوافل مقابل ما يأخذونه من تكاليف يحددها عامل الناحية[2] .

ب- آقـا :

أخذت هذه المنطقة مكان سجلماسة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، كأهم المراكز للمواصلات الصحراوية التي تربط بين المغرب والسودان الغربي ، لذا وجد فيها كل ما يحتاج إليه المسافرون من طعام وشراب ومأوى لهم ولحيواناتهم[3] .

ج- المحمدية :

قام أحمد المنصور الذهبي بإنشاء هذه المحطة لغرض تقديم بعض التسهيلات للمسافرين على الطريق الساحلي المار بولاته (موريتانيا الحالية) ، كما أن موقعها

1- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 411 .
2- المرجع نفسه ، ص 421 .
3- المرجع نفسه .

في وسط سهل السوس[1] الذي يمتاز بخصوبته[2] مما زاد من أهميتها ، وأصبحت ملتقى للعديد من الطرق ، فالمسافر عليه أن يصل إليها من تندوف عن طريق مركالا ، أو من الساحل عبر مدينة كولميين ، و بوركارن ، ويعد هذا الطريق من أقصر الطرق المؤدية لميناء الصويرة[3] .

1- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 422 .
2- أحمد بن ابي يعقوب : كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (لبنان ، 1998 م) ، ص 115 .
3- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 422 .

الفصـــل الثالث

العلاقات التجارية بين
المغرب العربي والسودان الغربي

أولا : المراكز التجارية بالمغرب العربي .

ثانياً : المراكز التجارية بالسودان الغربي .

ثالثاً : السلع التجارية .

العلاقات التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي

اجتمعت كافة العوامل السابقة من موقع ومناخ وسكان وعلاقات سياسية واجتماعية ومواصلات ، لتكوين ما يعرف بالمراكز التجارية التي أدت بدورها إلى دعم الروابط التجارية والثقافية بين البلدين ، ومن أهم تلك المراكز ما يلي :

أولاً : المراكز التجارية بالمغرب العربي :

أ- سجلماسة :

تقع جنوب شرق المغرب الأقصى[1] على نهر يسمى زيز ، يعتمد أهلها على مياه الأمطار لعدم وفرة المياه الجوفية بها ، وأكثرهم من البربر ، وأهم ما تمتاز به قربها من معدني الذهب [2] ، تأسست في عام (140 هـ /857 م)[3] ، وبدأت حركتها التجارية في أوائل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأصبحت من ضمن المراكز التجارية التي تربط بين المغرب والسودان الغربي[4] ، واستمرت على هذا الحال حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، ويتضح ذلك فيما أورده ابن بطوطه عنها ، حين قال " ... وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان الغربي ، فدخلت إلى مدينة سلجماسة ، وهي من أحسن المدن ، وفيها التمر الكثير الطيب ، ... ثم سافرت ... سنة 1352 في رفقة ، مقدمها أبو محمد بندكان المسوفي رحمه الله وفيها جماعة من تجار سلجماسة وغيرهم "[5] .

حافظت المدينة على مركزها حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وللوزان إشارات تبين أنها من ضمن أهم المفاوز التي يستقر فيها التجار حتى مواصلة السير إلى بلاد السودان الغربي والعكس[6] ، لهذا ارتبطت بعلاقات طيبة مع بلاد السودان الغربي ، فأخذت القوافل تحمل البضائع المغربية ، ويتم استبدالها بالذهب والعبيد ، وهذا ما أدى إلى ثراء سكانها

1- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما ،
2- اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 114 .
3- البكري : المصدر السابق ، ص 148 .
4- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما
5- المصدر السابق ، ص 392 .
6- المصدر السابق ، ج2 ، ص 125 .
7- المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 126 ، 127 .

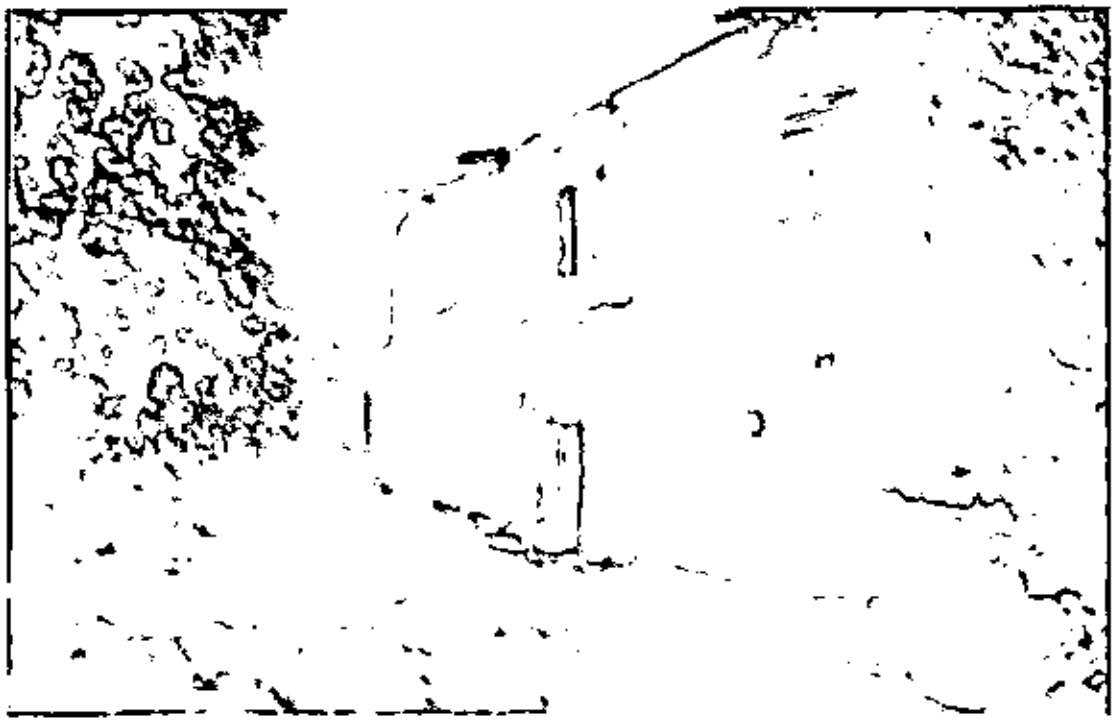

حـي الغـدامسـية تنـبكت

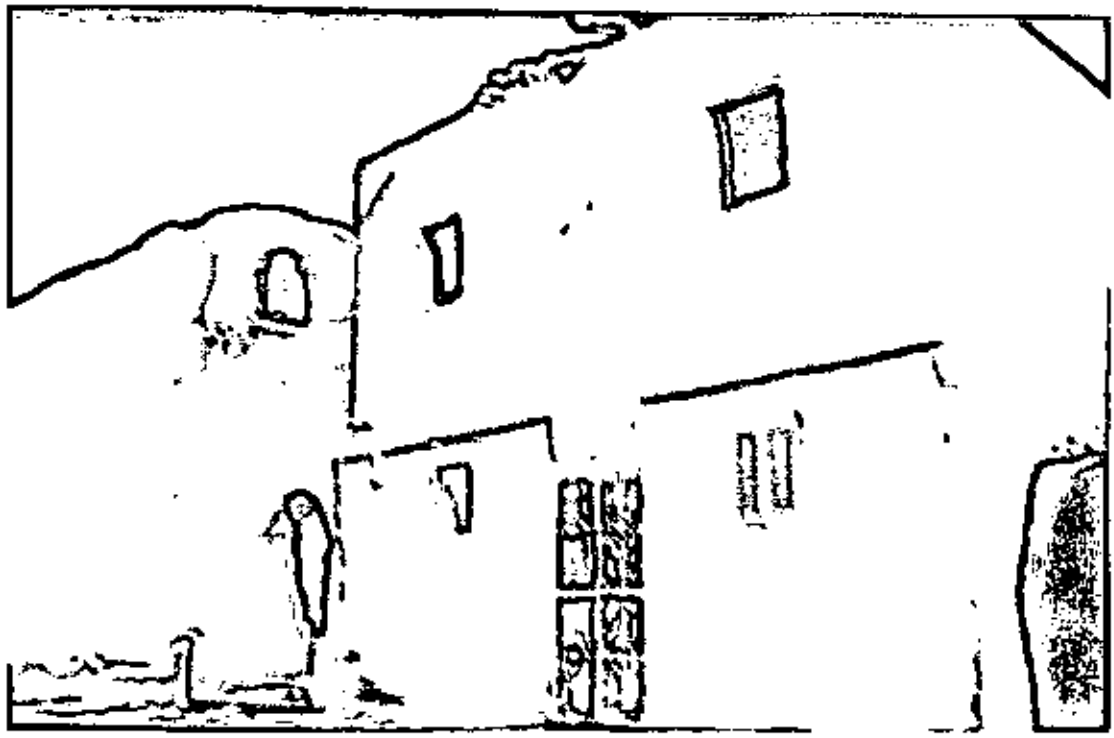

شارع أولاد باليل ـ غدامس

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية
في أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 332

بحوالي سبعة أيام[1] ، ومنها يدخل إلى تادمكه في السودان الغربي[2] ، وقد وصف الوزان هذه المنطقة أثناء القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، بأنها : "منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط سكانها أغنياء لهم بساتين نخيل وأموال ، لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان ... "[3] ، يتبين أن مدينة غدامس من ضمن المراكز التجارية المهمة ، والتي ربطتها علاقات قوية مع بلاد السودان الغربي ، نظرا لما تمتعت به من ثروات هائلة ساهمت في ثراء أهلها وشهرتها ، كما أنها تعد سوقا تجاريا يتم فيها تنظيم المعاملات التجارية بين البلدين[4] ، ونظرا لما تمتاز بها أسواقها من وفرة الذهب فكان تجارها يكيلون الذهب كيلا لا وزنا ، ولعل ذلك ما يدل على ثراء أهالي غدامس ، ومناطق السودان الغربي[5] .

لعل ما يبين قوة العلاقة التجارية بين البلدين ، ما كان عليه تجار المغرب العربي في غدامس وطرابلس الغرب من علاقات تجارية مع تنبكتو ، التي تعد أهم مركز تجاري وثقافي في بلاد السودان الغربي ، حيث جلبوا إليها العديد من المنتجات الليبية المتمثلة في المنسوجات والأحذية والملح ، التي تتم مقايضته بالذهب ، والصمغ والبخور والعاج ، كما كان يتم نقل البضائع الأوروبية عن طريق طرابلس وفزان وبرقة إلى بلاد السودان الغربي[6] ، ومما زاد في ازدهار هذه الحركة التجارية بين غدامس ومالي ما امتازت به الجلود الغدامسية من جودة وحاجتهم لذلك ، وهذا ما ذكره الحميري حين قال : " ... وهي مدينة لطيفة قديمة أزلية ينسب إليها الجلد الغدامسي ... "[7] .

يجب على الباحث في تاريخ العلاقات ما بين المغرب العربي والسودان ، وهو يذكر غدامس كمركز تجاري له أهميته وعلاقته التجارية بدول جنوب الصحراء الكبرى ، لا يغفل عن ذكر حي الغدامسية ، وهو أفضل الأدلة التي تؤكد العلاقات التجارية والثقافية الطيبة بين البلدين .

1- البكري : المصدر السابق ، ص 182 ، كذلك الحميري : المصدر السابق ، ص 427 .
2- المصدر نفسه ، كذلك : البكري : المصدر السابق ، ص 182 .
3- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 146 .
4- منصور محمد البنور : المرجع السابق ، ص 30 .
5- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، ص 182 .
6- المرجع نفسه ، ص 182 .
7- المصدر السابق ، ص 427 .

فقد أورد بعض المؤرخين أمثال البكرى والحميري والوزان قوة العلاقة التجارية بين غدامس والسودان الغربي[1] ، والتي تمثلت في قدوم أعداد هائلة من التجار الأمر الذي أدى إلى إقامة[2] حي يأوون إليه يعرف بحي الغدامسية[3] ، وذلك لتحقيق عدة أغراض أهمها :

1- تخزين البضائع التي تحملها قوافلهم ويرجع السبب في ذلك إلى تأخر بيعها لعدة شهور .

2- هناك من يطيب لهم المقام في السودان الغربي ، فيتحولون إلى تجار محليين أو دعاة للدين الإسلامي ، ويدوم استقرارهم ، وخاصة إذا ما تم لهم الزواج من أهل البلاد الأصليين[4] .

لقد امتاز حي الغدامسية بموقع استراتيجي مهم ، فهو يقع جنوب شرق مدينة تنبكتو[5] ، وتكمن أهميته في اختيار الحملة المغربية عند قدومها لبلاد السودان الغربي ، في أوائل القرن العاشر الهجزي/السادس الميلادي ، لحي الغدامسي بأن يكون موضعاً لإقامة قصبة الحكم[6] ، وهذا ما أكده السعدي حين قال : " ... دخلوا في داخل المدينة الخميس السادس من شعبان ... وطافوا في المدينة ... ووجدوا أكبرها حومة الغدامسين فاختاروها للقصبة ... "[7] ، كما بين ابن بطوطه ، وهو من مؤرخي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي الشواهد على مدى عمق العلاقات التجارية بين غدامس والسودان الغربي فقال : " ... ثم سافرت منها برسم تكدا في السير مع قافلة كبيرة للغدامسين ، دليلهم ومقدمتهم الحاج وجين ... "[8].

استمرت العلاقات التجارية بين البلدين لعدة قرون وازدادت شهرتها في عهد السلطان المالي منسي علي ، عام (873 هـ/1468 م)[9] بفضل تشجيعه للتجار ، وخاصة اللمتونيين حيث رفع عنهم بعض الإجراءات المتبعة في الحركة التجارية ، وفتح أمامهم أرض السودان الغربي ، يرجع ذلك لسببين هما :

1- أنظر الهامش رقم 1،2 ، ص 52 .
2- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، ص 187 .
3- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 189 .
4- المرجع نفسه .
5- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، ص 187 .
6- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 101 .
7- المصدر السابق ، ص 142 .
8- المصدر السابق ، ص 405 .
9- المصدر نفسه ، ص 405 .

إن منسي علي ربما كان من أصل ليبي ، ولهذا اعتبر تجار ليبيا من بني جلده ، وأخذ يعمل لتكوين علاقات طيبة معهم[1] .

وربما يرجع ذلك إلى رغبته في رفع اقتصاد بلاده ، وهذا ما جعله يقضي على العلماء لرفضه تدخلهم في شؤون إدارته[2] .

ويتضح من ذلك مدى قوة العلاقة التجارية بين غدامس والسودان الغربي بسبب انتشار الأمن والنظام ورغبة أهالي السودان الغربي في الاستفادة من البضائع القادمة من بلاد المغرب العربي لحاجتهم الملحة لها ، ورغبة أهالي غدامس في الحصول على موارد السودان ، ومن بينها الذهب التي يحقق فوائد جمة في اقتصاد البلاد .

د- درعـه :

تقع شرق مدينة سجلماسة[3] ، وقد ساهمت بدورها الواضح في ربط العلاقات التجارية بين البلدين لما امتازت به من تقديم المساعدات في إنعاش القوافل التجارية[4] ، ويتمثل دورها في عدة أسباب من بينها .

أ- وجود العديد من الصناعات المختلفة بها .

ب- إقامة صائغي الذهب ، وهم طائفة من اليهود على طرف الإقليم المقابل لموريتانيا ، وبالتحديد في الطريق الرابط بين فاس وتنبكتو .

ج- احتواؤها على عدد من القرى ، يقيم بها التجار الغرب والدرعيون على حد سواء ، كما بها العديد من المساجد والدكاكين التي تحتوي على مختلف البضائع[5] .

د- ما يمتاز به سكانها من كرم ضيافة للغرباء على حسابهم لمدة سنة كاملة ، أو يزيد لا يطلبون منهم شيئاً إلا ما يتركونه عن طيب خاطر[6] .

1- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، ص 185 .
2- السعدي : المصدر السابق ، ص 64 .
3- الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 304 .
4- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 199 .
5- المصدر نفسه .
6- المصدر نفسه ، ص 120 .

هـ - فـــزان :

تقع جنوب غرب ليبيا[1] ، وقاعدتها مدينة زويلة[2] ، لها علاقات تجارية مع بلاد السودان الغربي ، ويتضح ذلك من خلال إشارات الوزان أثناء زيارته لها خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، حيث يبين أنها متسعة كثيرا تحوي عدة قصور ، يقطنها عدد كبير من السكان الأثرياء ، ربما يرجع ذلك إلى علاقاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي ، خاصة وأنها تعد أحد المراكز التي تقع على أهم مفترق طرق القوافل التجارية ، وساهمت في حمل العديد من البضائع من شمال المغرب العربي والآتية من أوروبا إلى بلاد السودان الغربي[3] .

و- تيكو رارين :

تقع في نطاق صحراء نوميديا ، وهي من ضمن المدن التي تمتاز بكثرة سكانها ، وقصورها حيث تصل إلى حوالي خمسين قصرا ، وهذا ما سمح للتجار الوافدين إليها بالإقامة فيها ، رغم الجفاف الذي تعانيه[4] ، وهذا من ضمن الأسباب التي ساعدت على التواصل ما بين التجار في هذا الإقليم ، نظرا لاستضافة أهلها لهم مقابل الاستفادة من روث حيواناتهم التي تمد المنطقة بالسماد اللازم لأرضها[5]، وهذا ما أشار إليه الوزان حيث قال : " واللحم مرتفع الثمن ، لعدم إمكانية وجود الماشية من جراء جفاف البلاد ، فليس بتيكو رارين سوى بعض الماعز الذي يربى من أجل اللبن ، ويؤكل لحم الجمال التي تشتري من الأعراب الواردين على الأسواق التي تقام بهذه المنطقة ، ... ويستعمل أيضا في هذا الغذاء البائس الشحم المالح ، الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان ويجنون منه أرباحا طائلة "[6] .

ز- تغـــازا :

تقع جنوب المغرب الأقصى ، قريبة من المحيط الأطلسي على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكتو ، وهو الطريق المعروف بطريق الذهـب[7] ، وأهم ما تميزت به المنطقة وجود معدنين كانا عماد الحركة التجارية بيـن المغـرب

1- حبيب وداعة الحسناوي : المرجع السابق ، ص 90 .
2- محمد يوسف نجم وإحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا (بنغازي ، د.ت)، ص 80.
3- المصدر السابق ، ج2 ، ص 146 .
4- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 133 .
5- المصدر نفسه .
6- المصدر نفسه ، ص 134 .
7- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، ص 114 .

العربي والسودان الغربي ، وهما الملح والذهب حيث يصف ابن بطوطه الملح في هذه المنطقة التي زارها في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، وهو في طريقه لبلاد السودان الغربي بقوله : " ... ومن عجائبها أن بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر بها إنما هي رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه في الأرض ، فيوجد منه ألواح ضخام ... يحمل الجمل منه لوحين ... "[1] ، ولم تدخل تغازا في هذه الفترة تحت سيطرة أحد ، بل كانت السيطرة فيها لقبائل مسوفة الصنهاجية التي استقرت بها وعملت على حفر الملح واستخراجه[2] ، بواسطة الرقيق التابعين لها[3] ، كما كانت أيضا من أهم المناطق في تجارة الذهب ، وقد بين ابن بطوطه ذلك حين قال : " وقرية تغازى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر "[4] .

وقد أكد الحسن الوزان ، الذي زار السودان الغربي خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، العلاقات التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي عن طريق منجم تغازا فقال : عندما يتم استخراج الملح من مناجم تغازا يتم الاحتفاظ به إلى حين قدوم القوافل التجارية التي تشتريه ، ويتم نقله إلى تنبكتو التي ينقصها الملح كثيرا[5] ، ومعنى ذلك أن تغازا لم تقع تحت أي سيطرة لا مغربية ولا سودانية ، رغم قرب هذه المنطقة من المغرب العربي ، ومرد ذلك للعديد من الأسباب من بينها المشاكل السياسية التي قد تحدث بين المغرب وقبائل مسوفة المقيمة بها ، وهذا ما يؤثر على العلاقات التجارية بينهما ، ويجعلها تخسر معدن الملح أهم السلع التجارية التي يتم تصديرها إلى بلاد السودان الغربي ، وما تحققه من أرباح نتيجة لذلك ، فليس من الصعب أن تفرض عليها بعض الإجراءات التي تعطل حركتها التجارية مثل دفع الضرائب التي تفرضها قبائل الصحراء على القوافل المارة ببلادهم ، وخاصة بعد أن أصبحت تغازا تابعة لدولة السنغاي الإسلامية[6] في عهد الاسكيا محمد الكبير[7] .

1- المصدر السابق ، ص 392 .
2- المصدر نفسه .
3- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، ص 125 .
4- المصدر السابق ، ص 392 .
5- المصدر السابق ، ج2 ، ص 108 .
6- زاهر رياض : الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، مكتبة الأنجلو (القاهرة ، 1968 م) ، ص 183 .
7- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، ص 125 .

وبسبب المنازعات على العرش والصراع الذي حدث بين الاسكيين ، وما قاموا به من أعمال تتسم بالعنف والمؤامرات والاغتيالات وخوف دائم من المنافسين على العرش جاءت جيوش المغرب العربي ، وتقدمت لفتح السودان عام (1000هـ /1591 م) ، وأدى ذلك إلى حدوث نزاع مسلح بين السلاطين في كل من المغرب العربي والسودان الغربي ، والذي سببه المباشر الوصول إلى مناجم الملح والذهب بتغازا ، والتي وصلت نتائجه إلى وصول السعديين لذروة الحكم في دولة السنغاي الإسلامية وامتلاكهم لمناجمها[1] .

1- مرجعا : المصدر السابق ، الورقة 38 .

ثانياً : المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي :

أ- تكـــدا :

تقع جنوب غرب تنبكتو ، وتعد من بين أشهر المراكز التجارية بالسودان الغربي ، وقد زادت شهرتها بعد اكتشاف معدن النحاس بها[1] ، لاستخراجه منها بكميات هائلة[2] ، وانتقال القوافل التجارية إليها[3] ، وينقل بعد ذلك إلى مناطق استقرارهم ، حيث يتم سبكه ويوزع في بلاد السودان الغربي ، كما ينقل عبر التجار لبلاد المغرب ، وقاموا أيضاً بتعدين الملح ، وهذا ما أدى إلى ثراء أهالي المنطقة ومساهماتهم في ربط المناطق الجنوبية بالمناطق الشمالية للصحراء الكبرى[4] .

ب- تنبكتو :

تقع مدينة تنبكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بمنطقة نهر النيجر ، ومن الناحية الجنوبية لطرق القوافل التجارية القادمة من المغرب إلى السودان الغربي[5] ، أما عن تأسيسها فقد اختلف بعض المؤرخين في تعيين تاريخه، وأوردوا في ذلك العديد من الأراء ، حيث يرى السعدي : أنها نشأت على أيدي طوارق (امقشرن)[6]، في أواخر القرن الخامس الهجري[7]/الحادي عشر الميلادي، وأول من مكث فيها أمة من الطوارق أسمها تنبكت ، لذلك نسبت المنطقة إليها وسميت باسمها[8] .

ويرى الوزان أن السلطان منسى سليمان هو من أسس مدينة تنبكتو عام (610 هـ/1213 م) ، على بعد اثنتي عشر ميلاً من نهر النيجر[9] ، ونظراً للاختلاف الذي حدث في تحديد تأسيسها أرجح الرأي الأول الذي يبين أنها تأسست في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد طوارق امقشرن ، وهم

1- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 385 .
2- القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 279 .
3- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 406 .
4- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 311 .
5- مطير سعد محيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 188 .
6- امقشرن : هي طبقة من النبلاء والأعيان والسادة في الطوارق = إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 27 .
7- المصدر السابق ، ص 20 .
8- المصدر نفسه ، ص 21 .
9- المصدر السابق ، ج2 ، ص 165 .

أول من سكنوا فيها للاعتبارات الآتية :

1- يعد السعدي أحد أبنائها الذين هم أولى بكتابة تاريخ تأسيسها ، ومعرفته بها أقدم من غيره .

2- أن تاريخ تأسيسها حسب الرواية الثانية عام (610 هـ/1213 م) في عهد السلطان منسى سليمان غير صحيح لسببين :

- في هذه الفترة لم تتأسس دولة مالي ، والأرجح أن يكون تأسيسها عام (627 هـ /1230 م) .

- تولى منسى سليمان عرش مالي عام (742 هـ/1341 م) بعد فترة حكم منسى موسى ، الذي استمرت من عام (738 - 742 هـ/1337 - 1341 م) .

وما أن نشأت مدينة تنبكتو ، حتى أصبحت تعج بالوفود التي تأتي إليها من شمال القارة وشرقها وغربها ، فأدى ذلك إلى شهرتها ، وذيوع صيتها ليس في العالم العربي فحسب بل وصلت أخبارها الدول الأوروبية[1] ، فطغت بذلك على العديد من المراكز التجارية المعاصرة لها ومن بينها أروان بير ، أحد أهم المحطات التي تعمل على إنعاش القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب ، وهذا ما بينه السعدي حين قال : " عمارة تنبكت خراب بير "[2] .

بالإضافة إلى تفضيل تنبكتو عن مدينة جني ، رغم أهميتها لوجود أهم معدنين بها هما الذهب والملح[3] ، وبهذا أصبح نطاق الحركة التجارية يتسع بين المغرب العربي والسودان الغربي بسبب تنوع المنتجات بمدينة تنبكتو[4] ، وهذا ما جعل صادراتها ووارداتها بكميات هائلة ، وأصبحت الدول العربية والأوربية تنظر إليها بأنها من ضمن المراكز العالمية ، فازداد التعامل التجاري بينها وبين بلاد المغرب ، وأصبحت المنتجات الأوربية تصل إليها فارتفعت مكانتها التجارية ، بين دول العالم[5] ، وذلك لعدة أسباب أهمها :

1- موقعها على نهر النيجر ، جعل منها أقرب محطة للقوافل أثناء مرورها بين البلدين ، فهي حلقة وصل بين التجارة المغربية والسودانية[6] .

1- السعدي : المصدر السابق ، ص 21 .
2- المصدر نفسه .
3- المصدر نفسه ، ص 11 .
4- وداد نصر محمد الطوخي : مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، (القاهرة ، 1986 م) ، ص 74 .
5- نوري محمد الأمين الأنصاري : المرجع السابق ، ص 14 .
6- الشيخ لامين عوض الله : المرجع السابق ، ص 82 .

2- انتشار الأمن والاستقرار في الفترات الأولى من ازدهارها[1] .
3- كثرة الفنادق والحوانيت التي أقيمت للتجار على اختلاف جنسياتهم[2] ، للاستراحة والاستقرار لمن لا توجد لهم منازل دائمة[3] .

وهذا ما دفع تجار المغرب العربي للاتجاه نحو تنبكتو ، حيث نشطت تجارتهم وطاب مقامهم ، وخاصة من ليبيا والمغرب الأقصى ، فكان تجار سجلماسة وفاس وغدامس وفزان والسوس وطرابلس في حركة مستمرة معها يحملون معهم البضائع العربية والأوروبية ، ويعودون محملين بالذهب والرقيق وريش النعام وناب الفيل[4]، هذا ما بينه السعدي حين قال : " ... أخذ الناس يسكنون فيه ويزداد بقدرة الله تعالى وإرادته في العمارة ، ويأتيه الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقا للتجارة "[5] ، وخاصة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، والذي سماه المؤرخون بالعصر الذهبي لهذه المدينة ، وتتضح بوادر الحركة التجارية وازدهارها منذ منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، حيث بلغت فيه القوافل القادمة من المغرب لهذه المدينة اثنتي عشر ألف جمل[6] .

وهكذا وثقت العلاقات التجارية بين البلدين ، وخاصة وأن علاقتهما فرضتها ظروف مكانية بسبب اشتراك حدودهما[7] ، والتي كانت من أقوى العوامل المساعدة في الاندماج التجاري الثقافي العربي الأفريقي .

ج- جـــاو :

تقع جنوب شرق تنبكتو تبعد عنها بحوالي أربعمائة وخمسين كيلومترا[8] ، وهي عاصمة دولة سنغاي الإسلامية[9]، لها العديد من الأسماء مثل كوكو ، وكاغو، وجاغ[10]، وتدل الإشارات المصدرية للبكري على أنها أنشئت قبل القرن الخامـــس

1- وداد نصر محمد الطوخي : المرجع السابق ، ص 78 .
2- المرجع نفسه .
3- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 104 .
4- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 308 .
5- المصدر السابق ، ص 21 .
6- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 308 .
7- وداد نصر محمد الطوخي : المرجع السابق ، ص 78 .
8- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 201 .
9- الشيخ لامين عوض الله : المرجع السابق ، ص 82 .
10- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 201 .

الهجـري/الحـادي عشر الميلادي على أقل تقدير ، وفي ذلك قال : " ... أهلها مسلمون وحواليها المشركون ... "[1] ، ففي هذه الفترة اعتنقت لمته الإسلام ، وأغلب من حولها كانوا وثنيين ، فانقسمت جاو إلى مدينتين إحداهما للمسلمين والأخرى للوثنيين ، وظلت لفترة طويلة من أهم أسواق السودان الغربي ، حيث يفد إليها تجار بلاد المغرب[2] ، وهذا ما بينه البكري حين قال : " ... وأكثر ما يتجهز إليها بالملح والودع والنحاس... وحواليها من معادن التبر كثير وهي أكثر بلاد السودان ذهبا "[3]، وهذا ما جعل منها أهم المراكز التجارية ، وخاصة وأنها تتحكم في بعض الطرق التجارية ، وتأتيها القوافل من فاس ومراكش والقيروان وليبيا[4] .

إلا أن هذه المدينة لم تصل إلى قمة ازدهارها إلا خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وهذا ما أكده الوزان ، الذي زارها في الفترة ذاتها ، وبين أن سبب ازدهارها يرجع إلى موقعها الرابط بين المغرب والسودان الغربي ، حيث كان التجار يتاجرون منها بألوان مختلفة من البضائع ، من بينها الأقمشة التي يأتون بها تجار المغرب وأوروبا ، وهذا يدل على مدى التنظيم التي وصلت إليه جاو وكثرة عائداتها[5] .

د- جنـــى :

تقع جنوب غرب تنبكتو على نهر النيجر[6] ، وتبعد عنه بحوالي تسعمائة كيلومتر[7] ، وقد تأسست هذه المدينة في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، فلم تكن مسلمة التأسيس ، وإنما دخل إليها الإسلام أثناء القرن السادس الهجري[8]/الثاني عشر الميلادي ، وأطلقت عليها العديد من التسميات منها على سبيل التمثيل كناوة لدى التجار الأفارقة ، وجيني حسب تسمية أهلها الأصليين ، وغينيا لدى الأوروبيون[9] ، وهي من أهم المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي ،

1- المصدر السابق ، ص 179 .
2- عبد الله محمد الحواسي : التجارة بين شمال افريقيا وبلاد جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام ، (185 – 989 هـ/801 – 1578 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، (طرابلس ،2004 - 2005م)، ص 106 .
3- المصدر السابق ، ص 179 .
4- عبد الله محمد الحواسي : المرجع السابق ، ص 107 .
5- المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 543 – 544 .
6- المصدر نفسه ، ص 163 .
7- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 198 .
8- السعدي : المصدر السابق ، ص 12 .
9- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 162 .

وترجع اهميتها لوجود أهم معدنين بها الذهب والملح ، اللذين يعتبران من أهم السلع التجارية في أسواق السودان الغربي في تلك الآونة[1] .

وهذا ما بينه السعدي أثناء حديثه عنها حين قال : إنها من أسواق المسلمين في السودان الغربي ، يلتقي فيها أرباب الملح من تغازا و أرباب الذهب من (بيـط)[2] ،[3] وقد شهدت هذه المنطقة ازدهارا منقطع النظير في عهد مملكتي مالي وسنغاي[4] الإسلاميتين ، ولاسيما في عهد الاسكيا محمد الكبير ، الذي اشتهر عصره بالازدهار والتطور وتوثيق الصلات بين الدول المجاورة ، كبلاد المغرب العربي[5] .

1- السعدي : المصدر السابق ، ص ص 11 ، 12 .
2- بيط : منجم من مناجم الذهب يقع ضمن نطاق دولة مالي الإسلامية ، ص 35 .
3- المصدر السابق ، ص ص 11 ، 12 .
4- احمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 389 .
5- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 307 .

ثالثا : السلـــع التجاريـــــة :

أ- السلع المغربية :

1- الملـــح :

يأتي الملح كثاني سلعة للتجارة ما بين المغرب العربي والسودان الغربي بعد الذهب ، وربما تفوق عليه[1] ، ومرجع ذلك للأسباب الآتية :

- ندرته في تلك المناطق جعلتهم يتسابقون على استبداله بالذهب ، لعدم وفرته بكميات كبيرة تسد حاجات أهالي البلاد[2] .

- استعماله بكميات وافرة ، ليتجنب سكان السودان جفاف أجسامهم[3] ، لذلك فهو ثاني السلع التجارية بعد الذهب ، وربما يكون أهم منه[4] ، لأن الذهب تتحدد إهميته بمقدار قوته الشرائية للملح من بلاد المغرب العربي ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، لأنه اساسي في بقاء آدمية الإنسان[5] ، كما يحافظ على الطعام ويعطيه مذاقاً خاصاً، ولم يكن بالإمكان الحصول عليه في جنوب الصحراء ، باستثناء بعض المراكز البسيطة لإنتاجه ، مثل إقليم دندى ، وتاودني ، اللذين يعدا المصدر الأساسي لإنتاج الملح لبلاد السودان الغربي ، كما كانت سبخه ديجيل شمال غرب تاودينى وغرب تغازا مصدراً للملح ، إلا أن إنتاج هذه المراكز لا يكفي الاستهلاك المحلي ، ولهذا كان يستورد من بلاد المغرب[6] .

2- الأقمشـة :

تنوعت الأقمشة في بلاد المغرب من قطنية إلى حريرية ، والتي يتم استيرادها من أوروبا وصولاً إلى بلاد المغرب العربي ، ثم تنتقل للاتجار بها مع بلاد السودان الغربي[7] ، رغم وجود صناعة الأقمشة بها ، إلا أنه يغلب عليها الطابع البدوي[8] ، وهذا ما أكده الوزان ، الذي زار تلك البقاع خلال القرن العاشـر

1- محمد عبد الغني سعودي : أفريقية دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم ، دار الزائر للطباعة ، (د.م ، د.ت) ، ص 226 .

2- البكري : المصدر السابق ، ص 171 .

3- إدريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية الثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام هناك ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين ، (طرابلس ، 1983 م) ، ص 80 .

4- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 428 .

5- بوفيل : المرجع السابق ، ص 389 .

6- محمد عبد الغني سعودي : المرجع السابق ، ص 226 .

7- الشيخ لامين عوض الله : المرجع السابق ، ص 86 .

8- فاي منصور علي : اسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية (889 - 935 هـ/1493 - 1529م) ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1987 م) ، ص 136 .

الهجري/السادس عشر الميلادي بقوله : يوجد في مدينة تنبكتو عدة دكاكين خاصة بتصنيع الأقمشة ، ورغم ذلك تصل إلى بلاد السودان الغربي أقمشة أوروبية يحملها إليها تجار بلاد المغرب[1] ، وبهذا يمكن القول بأن تنبكتو تمتاز بصناعة الأقمشة القطنية والصوفية ، والتي لا تكفي لحاجات سكان السودان الغربي ، لذا يقومون باستيراد الأنواع الجيدة من المغرب الأقصى ، وتسمى بالأقمشة السوسية نسبة لمدينة سوسة ، وتتميز بألوان مختلفة خاصة الألوان البيضاء منها ، التي يستخدمها الباشاوات والعلماء كعمائم ، كما يستخدمها الأثرياء في تكفين موتاهم[2] .

3- الكتـــب :

لاقت تجارة الكتب رواجاً لا نظيرَ له في بلاد السودان الغربي ، وربما يرجع السبب في ذلك رغبة سكان تلك البلاد بمعرفة تعاليم الإسلام وثقافته ، وأدى ذلك إلى اهتمام سلاطين مالي وسنغاي بإنشاء ما يسمى بالوراقين لنسخ أعداد هائلة من المصادر التي تأتي إليهم من بلاد المغرب ، فنشطت تجارة الكتب ، وتحصلت المغرب على أرباح طائلة منها[3] .

وهذا في حد ذاته دفع أهالي السودان الغربي للاتجاه لتأليف الكتب باعتمادهم على المصادر المغربية[4] ، وما أن جاء القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، حتى توفرت المصادر والمراجع في تلك المنطقة بشكل يكفي سكانها ويقضي على الأمية فيها[5] ، وربما يكون للقوافل التجارية التي عملت على نقل المصادر والمراجع إلى السودان الغربي ، الفضل في انتشار الإسلام ولغته العربية ومبادئه الإسلامية ، وفي قبول أهالي السودان الغربي لهذه الكتب ، لهذا يمكن الربط هنا ما بين التجارة والثقافة والدين ، باعتبارها مكملة لبعضها البعض ، فكانت من أقوى الدوافع التي جذبت الإنسان الأفريقي لاقتناء أعداد هائلة من الكتب لمعرفة تعاليم دينهم الجديد .

4- المصنوعات النحاسية :

تصنع الأدوات النحاسية في كل من فاس ومراكش ، فبعضها منزلية والبعض الأخر ذو أشكال زخرفية ، بالإضافة إلى لوازم سروج الخيـــل ، وحلـــق

1- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 165 – 166 .
2- الشيخ لامين عوض الله : المرجع السابق : ص 86 .
3- المرجع نفسه ، ص 87
4- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص ص 90 ، 404 .
5- عثمان برايما بارى : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي ، دار الأمين ، (القاهرة ، 2000 م) ، ص 29 .

الأبواب وغيرها من المصنوعات الأخرى ، التي يتم تصديرها لبلاد السودان الغربي .

5- الحلى الزجاجية والعطور :

تعد من ضمن المصنوعات البسيطة التي يتم نقلها لبلاد السودان الغربي ، والتي من بينها الكؤوس ، وعقود الزينة ، والقناديل ، وقوارير العطور ، وقد برع سكان بلاد المغرب في صناعة هذه المستلزمات في مدينة المحمدية ، التي اشتهرت بصناعة الحلى المطعم بالذهب[1] ، والفضة والنحاس والزجاج الملون مثل الخواتم والقلائد[2] ، وقد بين ابن بطوطه أهمية هذه المصنوعات في بلاد السودان الغربي ، وخاصة لأهالي المغرب المتجولين هناك ، وفي ذلك قال : " والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ... ، ولا دينارا ولا درهما ، إنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج ... وبعض السلع العصرية ، وأكثر ما يعجبهم فيها القرنفل ، والمصطكى ... "[3] .

ب- السلع السودانية :

1- الذهب :

يعد الذهب من أهم الواردات القادمة من بلاد السودان الغربي إلى المغرب الغربي ، والتي يتم استبدالها بالملح ، وقد كان ذلك منذ فترات طويلة الأمد ، بينها الإدريسي حين قال : " ... وتجارتهم بالتبر "[4] ، كما بين الحميري من بعده وجود الذهب في مناجم ونقاره بالسودان الغربي ، وهي جزيرة يحيط بها النيل من كافة جهاتها ، فإذا ارتفعت درجات الحرارة حمى النيل وفاض وغطى الجزيرة بكاملها ، وعندما يأخذ النيل في الرجوع يأتي أهالي السودان لغرض جمعه ، وتتم به المتاجرة مع بلاد المغرب[5] .

لهذا لعب الذهب دورا مهما في تجارة إمبراطوريتي مالي وسنغاي الإسلاميتين، وخاصة في عهد كل من منسى موسى، والاسكيا محمد الكبير[6]، وهذا ما أكده ابن بطوطه ، الذي زار تلك المنطقة خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، ووصف وجود الذهب في منجم تغازا بكميات هائلة فقال : " وقرية تغازى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر "[7] ، وهذا ما لفت

1- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص ص 400 ، 402 .
2- المرجع نفسه ، ص 402 .
3- المصدر السابق ، ص 392 .
4- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، (د.م ، 1989م) ، مج1 ، ص 25 .
5- المصدر السابق ، ص 611 .
6- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 95 .
7- المصدر السابق ، ص 392 .

أنظار العالم العربي والأوروبي ، وخاصة بعدما قام به السلطان المالي منسى موسى أثناء أدائه لفريضة الحج عام (724 هـ/1323 م)[1] ، من حملة للقناطر المقنطرة من التبر ، والتي وضحها ابن خلدون بقوله : " وجاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملاً من التبر كل حمل ثلاثة قناطير "[2]. الأمر الذي أدى إلى انخفاض سعر الذهب في مصر أثناء إقامته بها[3] ، كما كان من ضمن الدوافع الأوروبية للسيطرة عليها والاستفادة من كميات الذهب ، وربما يكون من ضمن أهم الأسباب المباشرة للاحتلال المراكشي لدولة سنغاي الإسلامية .

لم تقف الأمور عند رحلة منسى موسى فحسب ، وإنما حذا حذوه في هذا الشياق الاسكيا محمد الكبير ، وما امتازت به دولة السنغاي في عهده من ازدهار ، أظهر للعالم أثناء رحلته للأراضي المقدسة عام (902 هـ/1496 م) ، وما أنفقه من ذهب في تلك المناطق[4] ، إن ما أورده المؤرخون السالفو الذكر يؤكد على وجود الذهب بكميات هائلة ببلاد السودان ، وهو كاف لجذب المغاربة وقيام حركة تجارية مبنية على التبادل التجاري بينهما ، والذي يتم شحنه بعدد من الأكياس صغيرة الحجم على شكل مسحوق أو أوراق تم طرقها[5] ، وينقل من مناجم الإنتاج في ونقاره مثلاً إلى جني على رؤوس الرجال ، ويحمل بعدها بالقوارب إلى تنبكتو ، ومنها لبلاد المغرب العربي عن طريق القوافل التجارية[6] ، ويصل إلى سجلماسة التي تعد من أهم مراكز تجارة الذهب ببلاد المغرب[7] ، وقد ساهمت هذه التجارة في توطيد العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين البلدين لعدة قرون[8] .

إلا أن كميات الذهب تضاءلت كثيراً ، بعد الاحتلال المراكشي لدولة السنغاي ، ولعل ذلك يعد من أهم الأسباب التي دعمت العلاقات الاقتصادية بين الدول الأوروبية ، وبلاد المغرب لغرض وصول كميات الذهب المطلوبة إلى بلادهم ، وما يؤكد كثرة الذهب في بلاد المغرب ، إسقاط الضرائب عن الشعب المغربي في عهد أحمد المنصور الذهبي ، نظراً لسيطرته على مناجم الذهب في كل

1- المقريزي : المصدر السابق ، ص 111 .
2- العبر ، ج6 ، ص238 .
3- المقريزي : المصدر السابق ، ص 112 ، كذلك: أحمد الفيتوري : الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان الغربي ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين ، (طرابلس ، 1981 م) ، ص 248 .
4- السعدي : المصدر السابق ، ص 72 .
5- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 392 .
6- أحمد نوح عابدين : المرجع السابق ، ص 98 .
7- المرجع نفسه ، ص 98 .
8- المرجع نفسه .

من تغازا وبامبوك وجني على اعتبار أن الملك هو المالك لخيرات البلاد ، والبعض الآخر استثمر في سير الحركة التجارية بين البلدين .

وخلاصة القول معرفة أهالي المغرب الذين وصلوا لبلاد السودان الغربي قبل الاحتلال المراكشي وبعده لأهم مناجم الذهب واستخراجه منها بكميات وافرة ، ثم نقلوه إلى بلادهم بعد الاحتلال ، وسيطروا عليه مثلما سيطروا على مناجم الملح وتجارته[1] .

2- الرقيـــق :

لعبت تجارة الرقيق دورها الواضح ما بين المغرب العربي والسودان الغربي، فهي تأتي من حيث الأهمية بعد الذهب مباشرة ، ويتم تصديرها إلى بلاد المغرب والتي بدورها تصدره إلى أوروبا ، وقد ازداد إقبال الدول الأوروبية على طلب تجارة الرقيق بعد اكتشاف الأمريكتين لغرض استخدامهم في الزراعة والتعدين[2] .

تختلف أسعار الرقيق في بلاد السودان الغربي حسب الجمال والقوة والعلم ، وهذا ما بينه ابن بطوطه أثناء زيارته لتكدا حين قال : " أردت لما دخلت تكدا شراء خادم معلمه ، فلم أجدها ، ثم بعث لي القاضي ابو إبراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالاً "[3] .

وربما يرجع سبب أهميته وارتفاع أسعاره ، أن وجوده أصبح سمة بارزة في المجتمع ، سواء في المغرب العربي أو في أوروبا ، ومظهر من مظاهر الترف والثراء لاستخدامه في كافة المجالات ، وفي الأعمال الدولية كالجيش مثلاً ، ويرجع ذلك إلى أعدادهم الهائلة ، التي أدت بالتجار إلى شرائهم في أغلب الأحيان عن طريق المقايضة[4] .

كما أشار الحسن الوزان إلى هذه الأسعار ، وفصل في ذلك حيث بين أن جاو تعـــد من أهم المراكز في السودان الغربي في تجـارة الرقيـــق ، وقد خصصت لذلك

1- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 426 .
2- الشيخ لامين عودي الله : المرجع السابق ، ص 88 .
3- المصدر السابق ، ص 405 .
4- R.Lopez, Medivel Trade in The Mediterranean world .P43 .

ساحة امتلأت بالذكور والإناث ، ولكل سعره الذي يختلف عن الآخر ، فتساوي الفتاة بنت خمسة عشرة سنة حوالي ستة مثاقيل ، ومثلها الفتى تقريبا ، أما الأطفال فلا يساوي إلا نصف هذا الثمن ، بالإضافة إلى العبيد المسنين[1] .

وربما يقوم السلطان بعتق ما لديه من عبيد تحسبا لوجه الله تعالى ، مثلما قام به السلطان الاسكيا داوود ، الذي كان يمتلك عدداً من الإخوة كرقيق ، فرغبت والدتهم أن يتم بيعهم لشخص واحد حتى لا يفترقوا ، فأعطاهم حريتهم رأفة بها[2] .

3- التبـــغ :

يعد التبغ من ضمن السلع التجارية الرائجة بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وكانت بداية ظهوره بسبب العلاقات السياسية الطيبة بين سلاطين البلدين ، وقد انتقلت إلى بلاد المغرب عن طريق تلك السفارة التي وصلت إلى أحمد المنصور الذهبي ، عام (1006 هـ/1598 م) ، وهي عبارة عن مجموعة من الفيلة تم نقلها من شمال النيجر إلى مراكش عبر الصحراء ، يقودها جماعة من أهل السودان الغربي ، اعتادوا شرب دخان التبغ ، بسبب إقامتهم سنة كاملة في بلاد المغرب اكتفى أهلها بمعرفة نشوة التدخين ، وخاصة بعد أن بعث أحمد المنصور بهدية لخليفته بفاس محمد الشيخ المامون مع الفيلة التي جاءت من بلاد السودان الغربي برفقة أهلها المدخنين ، وهذا ما جعل ظاهرة التدخين تنتشر عندهم[3] ، فعرف المغاربة التبغ وانتشرت عادة تدخينه ، وخاصة وأن الاتجار مع بلاد السودان الغربي لم يكن بالأمر الصعب ، بسبب انتظام القوافل التجارية بين البلدين، والتي بإمكانها قطع تلك المسافات الشاسعة في عدة أسابيع ، رغم معارضة أهل الورع وبعض العلماء الذين رأوا فيها بدعة سيئة دخلت لبلادهم ، إلا أنه لم تمض على تلك الظاهرة خمس سنوات حتى أصبحت بضاعة رائجة بين البلدين[4] ، وانتشرت حتى بين العلماء والباشاوات أمثال أحمد بابا التنبكتي ، الذي كان مدمناً عليه[5] .

1- المصدر السابق ، ج2 ، ص 169 .
2- محمد رزوق : المرجع السابق . مجلة البحوث التاريخية ، ص 275 .
3- محمد حجي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 581 .
4- المرجع نفسه ، ص 582 .
5- أحمد فتوح علاين : المرجع السابق ، ص 403 .

الفصـــــل الرابـع

العلاقات الثقافية بين
المغرب العربي والسودان الغربي

أولاً : الأعـــــلام .

ثانياً : المراكـــز .

العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي

لم تكون العلاقات الثقافية ما بين البلدين حديثة العهد ، بل بدأت جذورها الأولى منذ انتشار الإسلام ، والثقافة العربية الإسلامية ، في بلاد السودان الغربي أثناء الفتح الإسلامي لها ، وتوسعت خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، حيث بدأت الثقافة العربية تتدفق إلى بلاد السودان الغربي ، حتى وصفت الثقافة السودانية بأنها ثقافة مغربية في أرض سودانية[1] .

ولهذا لعبت الجوانب الثقافية أدواراً واضحة في علميات الترابط بين البلدين ، فقد كان للعديد من الشخصيات ، الأثر الأوفر في زرع البذور الأولى لهذا الترابط ، وكل أسهم حسب ظروفه وإمكانياته العلمية ، كما ساهمت المراكز الثقافية بشكل فعال في إثراء هذين البلدين ثقافياً وعلمياً ، إذاً للشخصيات والمراكز العلمية والثقافية أدواراً مهمة ومتكاملة في ربط الصلات التجارية والثقافية بين البلدين ، وهذه الأدوار كثيرة ومتنوعة ، إلا أن لبعضها النصيب الأوفر في التواصل ، ولذا سيقتصر حديثنا عن أهم الجوانب التي تبرز وجود العلاقات الثقافية بأهم المراكز العلمية ببلاد المغرب والسودان الغربي .

ويتضح ما للعلماء من مكانة في المجتمع الإسلامي ، فيما ذكر من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، ومن ذلك قوله عز وجل : " **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** "[2] ، وقوله تعالى : " **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** "[3] ، كما وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ، والتي دفعت بالعلماء المسلمين إلى التطور الثقافي وطلب العلم ، من بينها قوله – صلى الله عليه وسلم : " **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** "[4] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ**

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص ص 116 ، 117 .
2- سورة المجادلة : الآية 11 .
3- سورة فاطر : الآية 28 .
4- الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، رقم الحديث 224 ، ضبط نصه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1423 هـ/2002م) ، ص 49 .

الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإنّ العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف الماء ، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[1] ، ومن أبرز الشخصيات العلمية في كل من البلدين ما يلي :

أولاً : الأعـــلام :

أ- نماذج من أعلام المغرب العربي :

1- أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب البرنسي المغربي الفاسـي (المعروف بالزروق) .

ولد هذا العالم في الثامن عشر من محرم عام (848 هـ/1442 م)[2] ، عاش الزروق يتيما[3] ، فقد والدته وعمره ثلاثة أيام ، وتوفى والده قبل إتمام أسبوعه[4] وتوفى عمه في الفترة ذاتها[5] ، فتولت تربيته جدته الفقيهة أم البنين حتى بلغ العاشرة من عمره ، وبدأ بالاتجاه إلى حفظ القرآن ، وتعلم صناعة الخرز والعلوم المختلفة بعد أن بلغ السادسة عشر ، تتلمذ على أيدي العديد من الأعلام ، ودرس الرسالة القدسية وعقائد الإمام الطوسي على يد شيخه عبد الرحمن المجدولي[6] ، كما ذكر السخاوي بأنه أخذ العلم عن محمد بن القسم أحمد الغدري[7] ، كما سمع للبخاري وتمكن من كافة أحكام عبد الحق الصغير ، وجامع الترميذى ، وعبد- الرحمن الثعالبى ، وإبراهيم التازى ، والشيخ حلولو[8] ، وغيرهم كثير .

1- الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن ابي داود ، باب الحث على طلب العلم ، رقم الحديث 3641 ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1422 هـ/2001 م) ، ص 578 .

2- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت ، ج1، ص 24 ، كذلك : أبو العباس احمد بن أحمد التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، (طرابلس الغرب ، 2000 م) ، ج1 ، ص 130 ، علي فهمي خشيم : أحمد زروق والزروقية ، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، (ليبيا ، 1980 م) ، ص 21 .

3- Alif, Khushaim . Zarruq The Sufi, Libya , Tripoli, 1976 , pp.9,10 .

4- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 130

5- علي فهمي خشيم : المرجع السابق ، ص 21 .

6- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 130 .

7- المصدر السابق ، ج1 ، ص 222 .

8- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 130 .

ونظراً لبراعته في العلم أثنى عليه العديد من العلماء من بينهم أحمد بابا التنبكتي ، الذي قال عنه : بأنه " الإمام العالم الفقيه المحدث الصوفي الولي الصالح الزاهد القطب الغوث العارف بالله الحاج الرحلة [الرحالة] المشهور شرقاً وغرباً ذو التصانيف العديدة والمناقب الحميدة والفوائد العتيدة "[1] .

- **رحلاتـــه :**

قام أحمد الزروق بالعديد من الرحلات لغرض طلب العلم والمعرفة ، حيث طاف الكثير من البلدان في كل من المشرق الإسلامي والمغرب العربي ، بعد أن خرج من فاس موطنه الأصلي ، ووصل إلى القاهرة أم العلوم في تلك الآونة ، ومنها واصل مسيرته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، هذا ما أكده السخاوي، الذي التقى به هناك ، ثم رجع إلى القاهرة مرة أخرى واستقر بها سنة كاملة ، واكتسب أثناء هذه الإقامة الكثير من العلوم المختلفة من رجال العلم والمعرفة فيها كالنجوجري ، الذي أخذ عنه العربية وأصول الفقه[2] .

إلا أن ما يهمنا هنا هي رحلته لبلاد السودان الغربي ، والتي توضح مدى عمق العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وهذا ما يمكن استخلاصه من كتابات الدكتور الدالي الذي زار تلك البقاع ، وبين مدى عمق هذه العلاقات الثقافية ، التي كان مردها للإشارات الآتية :

أولاً : عثور الباحث على إجازة علمية بأهم مركز ثقافي في بلاد السودان الغربي تنبكتو ، تؤكد مدى الترابط الثقافي بين البلدين ، ويستنتج ذلك من خلال مضمونها الذي يقول : " الحمد لله على ما ألهمني لذكره تزداد نعمته بشكره .. أما بعد فهذه طريقة أشياخ شيخنا السيد عبد القادر بن عبد الوهاب عن شيخه ... أحمد الزروق البرنوسي الفاسي دفين مسراته "[3] .

ثانيا : إن المتتبع لحياة أحمد الزروق العلمية ، والدارس لرحلاته ومعرفته للشخصيات التي قابلها في بلاد المشرق الإسلامي ، كمكة والقاهرة ومكوثه بمصر لغـــرض اكتساب العديد من المعارف ، كل هذه الأمور تبين رغبتـــه الشديـــدة في

1- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 130 .
2- المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 222 ، 223 .
3- مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بأهم المراكز بشمال الأفريقي ، ص 182 .

الترحال ، لغرض طلب العلوم المختلفة ، ومخالطة العديد من العلماء ، وبهذا يمكن القول أنه خلال تلك الفترة ، وبالتحديد أثناء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، وجدت في بلاد السودان الغربي العديد من المراكز الثقافية التي أصبحت تزداد علما وثقافة ، وكانت أفضل الدوافع لتشجيع الأعلام في الترحال إليها للنهل من ثقافتها وعلومها ، وكان أحمد الزروق من بين الأعلام الراغبين في ذلك ، كما أكد الدالي قوة العلاقة الثقافية بين الإمام الزروق وأعلام السودان الغربي أثناء زيارته لمدينة تنبكتو ، وإطلاعه على أرشيف المخطوطات بمركز أحمد بابا التنبكتي ، حيث وجد العديد من المخطوطات تحمل اسم أحمد الزروق ، فرغب في الاستعلام عن ذلك ، فتبين له أنه من يرزق بطفل في تنبكتو ويريده صالحا ، يطلق عليه اسم أحمد الزروق تباركا به[1] .

أفلا يعد هذا من أقوى الأدلة التي تبين ترحال أحمد الزروق لبلاد السودان الغربي ، واندماجه ثقافيا واجتماعيا بسكان تلك البلاد .

- **آثاره العلمية :**

جمع هذا العالم ما بين الفقه والتصوف ، وأظهر في ذلك العديد من المؤلفات[2] ، تخصص في كتابتها بأسلوب يبين أنه من البارزين في عصره ، فهو من القلائل الذين يستخدمون هذا الأسلوب في كتاباتهم ، فقد تميز بالصدق مع ميله للاختصار ، بالإضافة إلى التحرير والتحقيق من صحة المعلومات خاصة في مجال التصوف ، الذي انفرد بمعرفته من كافة جوانبه ، لذلك امتازت مؤلفاته بالجودة وأطلق عليه محتسب العلماء والأولياء ، لبعده عن الحشو واهتمامه بالجوهر ، ولم يكتف بذلك فحسب ، بل كان يصل إلى حقائق الأمور عن طريق المعرفة واليقين ، ويحكم الشرع الإسلامي في كافة كتاباته ، وهذا ما دفعه لمعارضة كافة البدع التي وجدت في عصره ، ومحاولة القضاء عليها ، فظهر له العديد من الأعداء ، الذين صوروا أنه خرج من فاس مسقط رأسه طريدا لا لطلب العلم[3] ، وهذه بعض أبياته الشعرية التي تدل على منهجيته وترحاله شرقا وغربا :

أَلاَ قَدْ هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً بِأَسْرِهِمْ لَعَلِّي أَرَى مَحْبُوبَ قَلْبِي بِمُقْلَتِي

1- مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بأهم المراكز بالشمال الافريقي ، ص 162 .
2- جمعة محمد الزريقي : تراجم ليبية ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت ، 2005 م) ، ص 463 .
3- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 131 ، 132 .

وَخَلَفْتُ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَجِيرَتِـي ... وَيَتَمْتُ نَجْلِي وَاعْتَزَلْتُ عَشِيرَتِـي
وَوَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَـرَ السَّمَا ... وَأَعْرَضْتُ عَنْ أَفْلَاكِهَا الْمُسْتَنِيرَةِ
وَعَلَّقْتُ قَلْبِي بِالْمَعَالِـي تَهَمُّمَـاً ... وَكَشَفْتُ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
وَقَلَّدْتُ سَيْفَ الْعِزِّ فِي مَجْمَعِ الْوَغَى ... وَصِرْتُ إِمَامَ الْوَقْفِ صَاحِبَ رِفْعَةِ
وَمَلَكْتُ أَرْضَ الْغَرْبِ طُـرّاً بِأَسْرِهَا ... وَكُلُّ بِلَادِ الشَّرْقِ فِي طَيِّ قَبْضَتِي[1]

وللزروق أعماله العلمية المتنوعة ، والتي أكبر من أن تسطر في بعض الصفحات ، كما أن دراسة أي مؤلفات تحتاج إلى أن تتوفر أمام الباحث ، ويكون متخصصاً فيها ، أما هنا فسنكتفي بذكر بعض منها :

لقد بدأ أحمد الزروق التأليف منذ صغر سنه ، وأهم أعماله شرح زروق ، وشرح في الحقائق والدقائق للمقري ، وشرح في الأسماء الحسنى ، والمراصد في التصوف بشخصية ابن عقبة ، أضف إليها كتاب القواعد في التصوف ، كما له رسائل كثيرة لأصحابه تحتوي على حكم ومواعظ وآداب ، امتاز بها عن غيره من المؤلفين[2] ، كما قام بشرح القرطبية في الفقه ، وشرح الحكمة للترميـــذي ، كمـــا شرح رسائل القيرواني ، وبين شرح وتفاصيل سورة الفاتحة ، ووضع تفسيراً للقرآن الكريم[3] .

ومما سبق نستنتج أن العالم أحمد الزروق أحد أعلام المغرب العربي ، الذين لهم علاقات ثقافية قوية مع أعلام السودان الغربي ، وهذا ما تم إثباته من خلال الكتابات التي اطلعت عليها ، ولعل ثناء أحمد بابا عليه يعد من أقوى الأدلة التي تؤكد ذلك ، وحتى وإن لم يرحل أحمد الزروق إلى بلاد السودان الغربي ، فالعلاقات الثقافية بين أي منطقة ومنطقة أخرى لا تشترط الرحيل بمقدار ما تشترط الالتقاء والتبادل الثقافي والعلمي بين الأعلام ، حتى لو كان هذا اللقاء خارج البلدين ، توفي أحمد الزروق عام (899 هـ/1493 م)[4] .

1- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 132 ، كذلك : محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي : تراجم أعلام افريقيا فيما وراء الصحراء فتح الشكور في تراجم علماء التكرور ، تحقيق الهادي المبروك الدالي ، مطابع الوحدة العربية ، (الزاوية ، 2002 م) ، ص 24 .
2- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 131 ، 132 ، كذلك : البرتلي ، المصدر السابق ، ص 24 .
3- السخاوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 223 ، كذلك : Ali, Khushaim, Op. cit, pp 50, 51 .
4- نعيمة محمد خليفة : المعرفة الصوفية عند الغزالي والزروق في البرهان والفرقان ، دراسة تحليلية نقدية مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة التحدي ، (سرت ، 2008 م) ، ص 70 .

2- محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني : (790-909هـ/1388-1503م)[1].

ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي في مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط[2] (الجزائر حاليا) ، ويرجع نسبه إلى قبيلة مغيلة إحدى القبائل العربية ببلاد المغرب العربي[3] ، وصف بخاتم المحققين ، وأثنى عليه الإمام أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج ، حين قال : " ... الإمام العلامة الفهامة القدوة الصالح السني ، أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم ... "[4] ، كما يعد الإمام المغيلي من ذوي الخبرات الواسعة في عصره ، بسبب مواظبته منذ بداية شبابه على اكتساب العلم والتحصيل ، وخاصة في مبادئ القرآن الكريم ، حتى أصبح أقدر علماء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، وقد تلقى علومه الأولى على يد شيخين هما: عبد الرحمن الثعالبي (ت 875 هـ/1470 م)[5] في مدينة تونس ، ويحيى بن بدير (ت 877 هـ /1472 م)[6] ، فكيفما كان له شيوخ أخذ عنهم المبادئ العلمية ، كان له مريدون ينهلون من علمه ، نذكر منهم على سبيل التمثيل الفقيه محمد بن أحمد ، والعاقب الأنصمني ، ومحمد عبد الجبار الفجيجي ، وعمر الشيخ الكنتي[7] .

وهذا يبين المكانة العلمية التي يتمتع بها الإمام المغيلي في بلاد المغرب العربي والسودان الغربي على حدٍ سواء ، وخاصة بعد رحيله إليها ، بسبب تغير الظروف السياسية التي حدثت في بلاده ، وخاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس بيد الأسبان عام (898 هـ/1492 م) ، والتي أدت إلى هجرة أعداد هائلة من المسلمين واليهود إلى بلاد المغرب ، وبما أن لليهود رغبات كثيرة من بينها تكديس الأموال ، اتجهوا للاشتغال بالتجارة وضرب العملة واحتكار السلع[8] ، بالإضافة إلى احتلال البرتغاليين لمدينة سبتة سنة (818 هـ/1415 م)، وبعض الموانئ المغربية المطلة على المحيط الأطلسي وصولا إلى ساحل غينيا بغرب أفريقيا، كما كانت ممالك بني وطاس وبني عبد الواد والحفصيين في المغرب

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 267 .
2- امين توفيق الطيبي ، مراجعة كتاب أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير الحاج محمد أسكيا ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الثالث ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، د.ت) ، ص 370 .
3- خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين (بيروت ، 2005 م) ، ج6 ، ص 216 .
4- ج1 ، ص 576 .
5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 267 .
6- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص ص 370 ، 371 .
7- التنبكتي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 578 .
8- جميلة إمحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص 185 .

العربي ، تعاني من الضعف والتفكك فهي لا تقوى على حماية العرب المسلمين ، ليس من أسبانيا فحسب ، بل أنها لا تستطيع الدفاع عن موانى المغرب العربي[1] ، ففي هذا الوضع الذي تشوبه العديد من الأخطاء الغير شرعية ، والتي لم ترض الإمام المغيلي ذو الأفكار النقدية النيرة ، كما انتقد أيضا خروج الحكام المسلمين عن التقاليد الإسلامية في حكم الرعايا، وربما تكون هذه الحادثة هي السبب الرئيسي في خروجه من تلمسان إلى توات ، ثم إلى بلاد السودان الغربي[2] ، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، يرجع سبب تأخره في توات إلى وجود سنى علي حاكم دولة سنغاي ، الذي كان يضطهد العلماء والفقهاء ، فكانت زيارته لكانو عام (897 هـ/1492 م) ، وبعد وفاة سنى علي في العام نفسه توجه المغيلي لـ كوكو عاصمة السنغاي في عهد الاسكيا محمد الكبير[3] .

- **آثاره العلمية :**

للإمام المغيلي آثاره العلمية الواضحة في بلاد السودان الغربي ، وخير ما نبتدئ به ، ما ذكره الإمام أحمد بابا التنبكتي ، حين قال : " ... ثم دخل كنو وكثن من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو ، واستفاد عليه ، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على إتباع الشرع وقواعده . "[4] ، كما كان لإقامته في بلاد الهوسا آثاره المهمة من كافة الجوانب ، سواء السياسية أو الثقافية والاجتماعية ، تمثلت في رسالة وضعها المغيلي لأمير كانو محمد رونفا حول معرفة الشؤون السياسية في حكم الرعايا ، اسماها تاج الدين في ما يجب على الملوك ، احتوت على العديد من النصائح المطابقة لما جاءت به الشريعة الإسلامية من بينها :

يجب على الحكام محاسبة أفراد المجتمع محاسبة دينية ودنياوية ، وأن لا يترك المفسدون داخل المجتمعات الإسلامية ، وخاصة وإن كانت توجد إمكانية ردعهم إلى الصواب[5] ، كما أعاد تنظيم أمور الدولة على الطريقة الإسلامية حتى يسهل له تيسير أمور دولته من بينها أن يكون للأمير بيت مال ، وكتبة ومحاسبون حتى تتم المحافظة على سجلات الدولة[6] ، وما يؤكد قوة العلاقة استجابة الأمير

1- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 371 .
2- مطير سعد عيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 267 .
3- أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق ، ص 371 .
4- المصدر السابق ، ج2 ، ص 577 .
5- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص : 371 .
6- محمد عثمان بن محمد بن عثمان فودى : تنبيه الأخوان على احوال ارض السودان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 2469 ، الورقة 8 . انظر الملحق رقم 8 .

محمد رونقا لكافة التوصيات والعمل بها داخل بلاده ، فكانت من ضمن الأسباب التي أدت إلى الازدهار الثقافي خلال القرن العاشر الهجري/الرابع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي[1] ، وبعد بلاد الهوسا رحل لبلاد التكرور ، حيث وصل جاو عاصمة دولة السنغاي الإسلامي ، وحدث الاتصال بينه وبين الاسكيا محمد الكبير حاكم الدولة الذي جعله مستشاراً في الفقه والسياسة في بلاده ، كما كانت له تآليف في هذا المجال[2] ، والتي من بينها أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة الاسكيا محمد الكبير ، والتي جاءت هي الأخرى على شكل نصائح اسماها الوصية[3] ، تضمنت التمسك بالشريعة الإسلامية أول طريق الصلاح لما لها من أثر عميق في نفوس المسلمين ، وخاصة إذا كانت تحث على الجهاد والتحرر في غرب افريقيا[4] ، كما أضاف المغيلي إلى نصائحه شروط الخلافة الإسلامية وبيّن أنه يستوجب أن يكون صاحبها ذو دراية كاملة بالمجتمع الذي يعيش فيه ، حتى يتمكن من معاملتهم وفقاً للمبادئ والنظم الإسلامية .

كما اشتملت نصائحه للاسكيا أن يهتم بإصلاح الأحوال الثقافية ، ولا يتم هذا إلا بالاهتمام بالعلماء والفقهاء لما لهم من فوائد جمة على المجتمع فاعتداله باعتدالهم ، ويفسد إذ فسدوا وأهملوا[5] .

هذا بعض ما اشتملت عليه الوصية التي كتبها الإمام المغيلي ، للاسكيا محمد الكبير ، والتي حددت بتاريخ (908 - 909 هـ/1502 - 1503 م)[6] ، كما كان للمغيلي العديد من المؤلفات التي جذبت اهتمام بعض المؤرخين والعلماء ، من بينهم الإمام أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج والتي من بينها : البدر المنير في علوم التفسير ، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح ، بالإضافة إلى مختصر خليل الذي سماه مغني النبيل ، كما ألف تنبيه الفاضلين عن حكم الملبسين بدعوى مقامات العارفين ، كما له أيضاً أصول الفلاح ، وهي رسالته حول قضية توات[7] ،

1- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 373 .
2- التنبكتي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 577 .
3- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 371 .
4- المرجع نفسه ، ص 373 .
5- جميلة أحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص 186 .
6- مختار سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 272 .
7- ج1 ، ص ص 577 ، 578 .

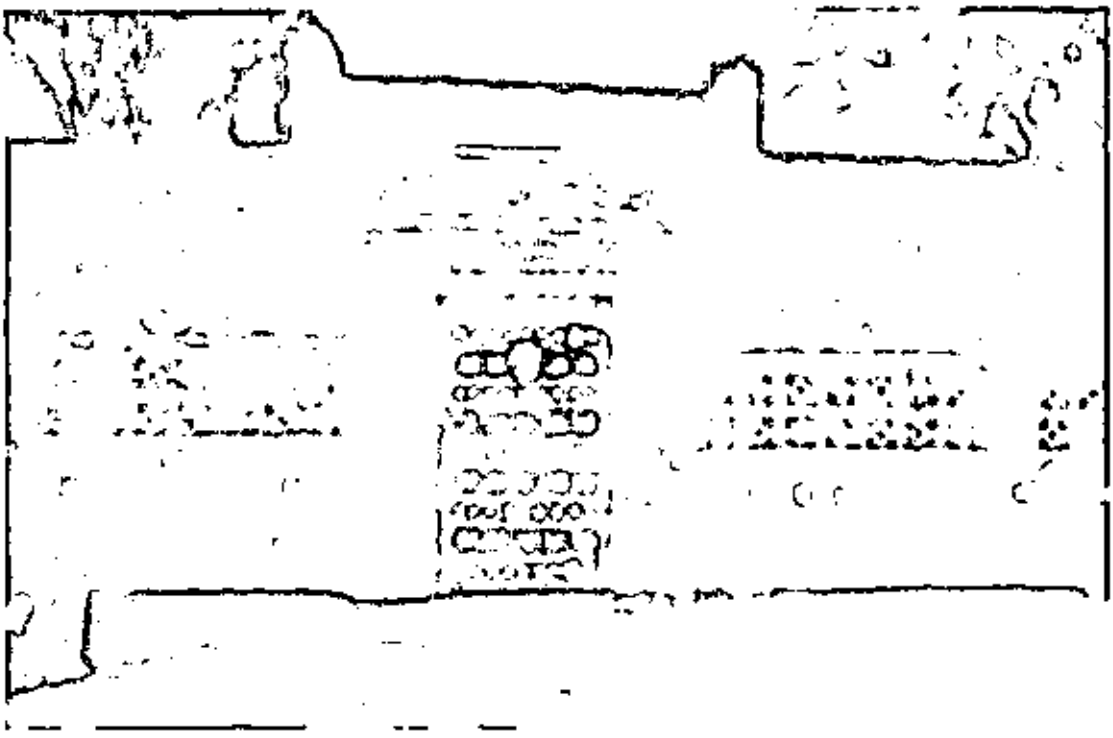

مركز أحمد بابا التنبكتي

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية في افريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 313

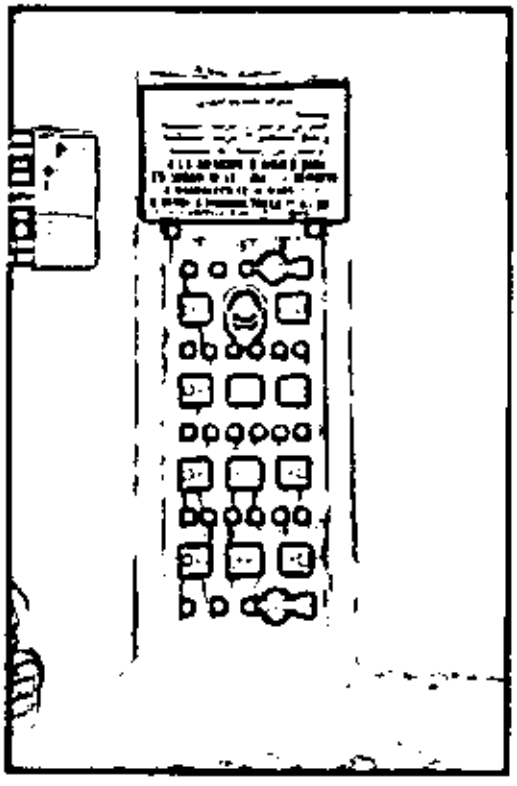

بيت العالم أحمد بابا – تنبكت

ب- نماذج من أعلام السودان الغربي :

1- أحمد بابا التنبكتي :

ولد أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر الماسني ، الصنهاجي ، المسوفي ، التنبكتي ، السوداني ، (963 - 1036 هـ /1556 - 1627 م) بمدينة تنبكتو[1] ، ويذكر المفتي مرحبا أنه ولد بمنطقة تعرف بوهراى ، ثم رحل إلى تنبكتو[2] ، أما عن توضيح معاني اسمه ، فسمي بالتنبكتي نسبة لمدينة تنبكتو التي نشأ فيها ، بدلا من أبي العباس كنيته الأصلية ، والسودان نسبة إلى موطنه بلاد السودان الغربي ، والماسني نسبة إلى ماسنه مكان أجداده الأول قبل رحيلهم خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي إلى ولاته ، ثم إلى تنبكتو ، واستقرارهم فيها ، والمسوفي نسبة إلى مسوفة أحد فروع صنهاجة[3] ، وقد اشتهرت أسرته آل أقيت من أيام جده الحاج أحمد بن عمر ، عام (864 - 943 هـ/1459 - 1536م) ، بالعلم والصلاح وانفردت بالقضاء والإمامة في مدينة تنبكتو ، وكانت في تلك الآونة تحت حكم اسكيا دواود ، عام (956 - 990 هـ /1549 - 1582 م) حيث يعد عهده عهد سلم وازدهار ثقافي وتجاري[4]

إن الإمام أحمد بابا التنبكتي من الأعلام الذين ذاعت شهرتهم الواسعة فعمت المغرب الغربي والسودان الغربي ، وذلك بما خلفه الإمام من معلومات جمة في مجالات متعددة ، تبين نسبه لأسرة أقيت التي تميزت بالعلم والمكانة الاجتماعية العالية في بلاد السواد الغربي[5] ، حيث كان من أهم فقهاء أقيت العلامة أبي حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمر أقيت[6] ، كافة هذه الظروف التي عاش فيها إمامنا أحمد بابا كانت من ضمن الأسباب التي أدت إلى شهرته الواسعة ، فالازدهار الثقافي الذي عم تنبكتو في تلك الأونة كان من أهم الدوافع التي ساعدت على اكتسابه علومه المتنوعة[7] ، والتي كانت بذورها الأولى داخل أسرته الفاضلة ووالده فيها المعلم الأول، الذي حفظ على يديه القرآن الكريم ، وباقي العلوم الأخرى

1- التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 13 ، كذلك : الزركلي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 102 .
2- مرحبا : المصدر السابق ، الورقة 257 .
3- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 284 .
4- التنبكتي : كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج ، تحقيق محمد مطيع ، (د.م ، 2000 م) ، ج1 ، ص 21 .
5- المصدر نفسه ، من ص 13 ، 14 .
6- الناصري : المصدر السابق ، ج5 ، ص 126 .
7- السعدي : المصدر السابق ، ص 35 .

كالنحو والحديث والتاريخ ، وأصول القراءة والكتابة وعلم المنطق[1] ، كما تتلمذ أيضاً على يد عمه أبو بكر بن أحمد أقيت ، وخاصة في علم النحو ، إلا أن أبرز أساتذته الذين تأثر بهم (محمد بغيغ) فهو من قرأ على يديه العديد من العلوم منها على سبيل التمثيل التفسير ، والحديث ، والفقه ، والبيان ، والتصوف ، والتنجيم وكلها من أمهات الكتب[2] ، أهمها مختصر خليل وصحيح البخاري ، وصحيح الإمام مسلم ، وموطأ الإمام مالك ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض[3] ، كما استفاد كثيراً من بعض أعلام المغرب العربي ، ومنهم عبد الواحد السجلماسي ، وقياض المكناسي ، وأبو العباس ابن النسيم الفاسي قاضي الجماعة بفاس[4] ، وباكتسابه للعلوم المختلفة على أيدي العديد من علماء المغرب العربي والسودان الغربي ، الذين اشتهروا بالعلم والتقوى والصلاح ، أصبح الإمام أحمد بابا من بين الأعلام القلائل الذين عمت شهرتهم شرق البلاد وغربها ، وهذا ما أكده السعدي حين قال : " ... اجتهد في بداية أمره بخدمة العلم حتى برع جميع معاصريه وفاق عليهم جداً ، ولا يناظره في العلم إلا أشياخه وشهدوا بالعلم ، وفي الغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره ، وسلم له علماء الأمصار في الفتوى ، وكان واقفاً عند الحق ، ولو كان من أدنى الناس ، ولا يداهن فيه ولو للأمراء والسلاطين ... "[5] ، هذا ما جعل أعداداً هائلة من أهالي المغرب العربي تثق في فتواه ، وخاصة في المنطقة الممتدة من السوس الأقصى حتى الجزائر[6] ، وذلك يبين قوة العلاقة الثقافية بين أعلام المغرب العربي والسودان الغربي ، حيث تمثل شخصية الإمام أحمد بابا من أهم الشخصيات الرابطة بينهما ، وهذه العلاقة لم تكن بوجوده في بلاد المغرب فحسب ، بل استمرت حتى بعد عودته لبلاد السودان الغربي[7] .

لقد عاش أحمد بابا التنبكتي في أوائل العقد الثالث من عمره ، في أسرة آل أقيت ، وهي الأسرة التي تتمتع بالعلم والرئاسة ، ثم حلت به العديد من المحن طبعت بقية حياته بطابع الحزن ، من بينها وفاة والده ، وهو في السابعة والعشريـــن

1- أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر الزلفين من أهل الصحراء وأهل شنقيط ، تحقيق الهادي المبروك الدالي ، (د.م ، د.ت) ، ص 86 .
2- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 14 .
3- جمعة محمد الزريقي : المرجع السابق ، ص 303 .
4- التكني : المصدر السابق ، ص 86 .
5- السعدي : المصدر السابق ، ص 35 .
6- التكني : المصدر السابق ، ص 86 .
7- البرناني : المصدر السابق ، ص 31 .

من عمره ، وفي التاسعة والثلاثين من عمره حاصر القائد المغربي محمد بن زرقون أسرة آل أقيت ، وتم نفيهم إلى مراكش بسبب معارضتهم للاحتلال المغربي[1] ، وحدثت العديد من الاختلافات الزمنية في فترة ذهابه إلى المغرب ، وعودته لبلاد السودان الغربي من بينها : ما أورده محمد بيلو في أنفاق الميسور ، حيث بين ذلك بقوله : " ... في محرم عام أثنين وألف على يد محمود زرقون ، لما استولى على بلادهم ، وجاء بهم فساروا في قيودهم ، فوصلوا مراكش أول رمضـان .. فسرحوا يوم الأحد الحادي والعشرين لرمضان عام أربعة وألف ، ففرحت قلوب المؤمنين بذلك ... "[2] ، أما في نيل الابتهاج ، فقد ذكر أنهم " ... إذ سيقوا موثقين بالقيود إلى مراكش ... في أول رمضان عام 1002 هـ ، حتى يوم الأحد الحادي عشر من رمضان سنة 1004 هـ ... "[3] ، وأورد التنبكتي في كفاية المحتاج ، ما يبين ذلك فقال : " ... وفي يوم السبت 25 جمادي الثاني 1002/ 18 مارس 1593 ، نفي من تنبكتو إلى مراكش بأمر من الباشا محمد زرقون ، وعمره يناهز 40 عاما ، وأجبر على الإقامة بمراكش أربعة عشر عاما ... "[4] .

كما أورد أحمد بلعراف التكني أحد أعلام القرن الثاني عشر الهجري/الثالث عشر الميلادي ، أن الإمام أحمد بابا استقر في بلاد المغرب العربي لمدة سنتين فقـط ، وعاد بعدها لبلاد السودان الغربي ، عندما تغير نظام الحكم ، واعتلى عرش الدولة السعدية الملك زيدان بن أحمد المنصور ، الذي أمر بمغادرته يوم الأحد 21 رمضان (1004 هـ/1595 م)[5] .

كما بين الخليل النحوي رأيه ، الذي نقله عن السعدي حيث قال : " ... ونقله إلى مراكش لرفضه التسليم بسيطرتهم على تنبكتو ، وأفرج عنه 1002هـ/1593م وأقبل عليه العلماء وطلبة العلم ، فكان يدرس بمراكش نحو " 11 سنة ... "[6] .

وقد ذكر الزريقي نقلا عن روضة الأسى للمقري ، بأن الإمام أحمد بابا قد رحل لبلاد المغرب بعد الاحتلال المراكشي ، وكان ذلك في عام (1002هـ /1593م)، واستقر به المقام في تلك البلاد أربعة عشر عاما، عمل خلالها بالتدريس

1- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 15 .
2- ص 200 .
3- التنبكتي : ج1 ، ص 15 .
4- ج1 ، ص 22 .
5- المصدر السابق ، ص 86 .
6- المرجع السابق ، ص 503 .

والإفتاء ، وتأليف الكتب ، واختلط مع العديد من العلماء ، ثم رجع لبلاد السودان الغربي يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة (1016 هـ/1608 م)[1] .

وبعد عرض آراء بعض المؤرخين ، الذين ترجموا لحياة الإمام أحمد بابا التنبكتي ، يتضح الآتي :

أولاً : لا يمكن ترجيح أصحاب الرأي الأول ، والذين اعتبروا أن الإمام أحمد بابا ، قد استقر في بلاد الغرب سنتين فقط للاعتبارات الآتية :

أ- إن المتتبع لحياة الإمام أحمد بابا التنبكتي ، يرى الجهود التي بذلها هذا العالم في سبيل رفع مستوى العلم والعلماء في كل من المغرب العربي والسودان الغربي ، وربط العلاقة الثقافية بين هذين القطرين ، حيث قام بالتدريس[2] ، في جامع الشرفاء إلى جانب اشتغاله بالتأليف والفتاوى[3] ، وفترة العامين فترة بسيطة لا تغطي كافة الأعمال التي قام بها صاحب الترجمة .

ب- أما عن ما ورد في كتاب نيل الابتهاج ، فربما تكون بعض مغالطات حدثت أثناء تحقيق هذا الكتاب .

ثانياً : إن ما ذكره بلعراف التكني ، لا يمكن ترجيحه لعدة أسباب هي :

إن عودة أحمد بابا التنبكتي ، كما ذكرها في عهد الملك زيدان بن أحمد المنصور الذهبي ، فهذا ما لا يصح ، والاحتلال المغربي لبلاد السودان الغربي كان عام (1000هـ/1591م) ، ومبايعته للملك زيدان جاءت بعد وفاة والده يوم الاثنين خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، من ربيع الأول سنة (1012 هـ/ 1603 م)[4] .

ثالثاً : إن ما أورده الخليل النحوي بهذا الشأن لا يختلف كثيراً عما سبقه مع إضافة بعض المغالطات التي ذكرها ، وبين أن السعدي مصدرها في الوقت الذي ذكر فيه السعدي أن الإمام أحمد بابا التنبكتي غادر مراكش يوم الثلاثاء العاشر ذي القعدة الحرام عام (1016 هـ/1608 م) ، وبين أنه أطلق سراحه في عهد الملك زيدان وفي ذلك قال : " وفي يوم الثلاثاء العاشر ذي القعدة الحرام في العام السادس بعد الألف، ورد الشيخ العلامة فريد دهره وحيد عصره الفقيه أحمد بابا بن الفقيه أحمد

1- المرجع السابق ، ص 303 .
2- الناصري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 221 .
3- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 22 .
4- الناصري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 221 .

بن الحاج أحمد بن عمر مدينة تنبكت سرحه إليها ... مولاي زيدان بوعد منه في حياة أبيه ... "[1] ، وهذا هو الصواب نظراً لاتفاقه مع فترة وفاة المنصور الذهبي ، وتنصيب ابنه زيدان في حكم بلاد المغرب بدلاً عنه ، وهذا ما ذهب إليه الزريقى ، الذي أخذ عن روضة الأسى .

- آثاره العلمية :

رغم شدة المحنة التي تعرض لها أحمد بابا التنبكتي ، استطاع تأليف عدد كبير من المؤلفات بعضها في بلاد السودان الغربي ، وبعضها الأخر في بلاد المغرب العربي ، وبذلك ساهم في إثراء المكتبات العربية ، بأهم المؤلفات التي يحتاج إليها الكثير من البحاث ولاسيما فيما يخص القارة الإفريقية، أهمها :

1- النكت الوافية بشرح الألفية .
2- نيل الأمل في فضل النية على العمل .
3- غاية الأمل في تفضيل النية على العمل .
4- جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة[2] .
5- نيل الابتهاج بالذيل على الديباج ، وقد أتم هذا الكتاب بالمغرب عام (1006 هـ /1597م)[3] .
6- كفاية المحتاج في معرفة ما ليس في الديباج[4] .
7- المقصد في الشرح على مختصر خليل .
8- حاشية متن الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل[5] .
9- التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس .
10- اختصار شرح المقدمة الصغرى .
11- تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف[6] .
12- ترتيب جامع المعيار للونشريسي[7] .
13- اللآلي السندسية مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملالي[8] .
14- غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة[9] .
15- المطلب والمارب في أعظم أسماء الرب[10] .

1- المصدر السابق ، ص 134 .
2- بيلو : المصدر السابق ، ص 199 .
3- مرحبا : المصدر السابق ، ص 157 .
4- بيلو : المصدر السابق ، 199 .
5- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 19
6- المصدر نفسه .
7- بيلو : المصدر السابق ، ص 200 .
8- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 19 .
9- بيلو : المصدر السابق ، ص 199 .
10- المصدر نفسه .

16- رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية .
17- معراج الصعود (الكشف والبيان في حكم أصناف مجلوب السودان .
18- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء[1] .
19- ما رواه الروآة في مجانبة الولاة (أخلاق) كتبه عام (997 هـ/1588 م) وينحصر في ثلاثة فصول ، أولها في ذكر أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وثانيها في ذكر ما أتى به السلف الصالح ، وثالثها في كلام العلماء الأخيار [2] .
20- أجوبة الأسئلة المصرية .
21- جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة .
22- الدر الثغر .
23- خمائل الأزهار .
24- فتح الرزاق .
25- رسالة في التصوف .
26- نشر العبير .
27- نزول الرحمة[3] .
28- درر السلوك بذكر أفاضل الخلفاء والملوك (مناقب)[4] .

وبعد عرض بعض المجهودات التي قام بها الإمام أحمد بابا التنبكتي في كل من المغرب العربي والسودان الغربي ، فإنه خلف مكتبة تضمنت سبعمائة عنوان من الكتب النادرة والنفيسة ، إلا أن كماً منها ضاع أثناء الحملة المغربية على دولة السنغاي الإسلامية[5] ، توفى هذا الإمام الفاضل في مدينة تنبكتو يوم الخميس السادس من شعبان[6] عام (1037 هـ/1627 م)[7] .

2- مخلوف بن علي بن صالح البابلي :

أحد فقهاء السودان الغربي وأعلامه ، إلا أنه اشتغل بالعلم على كبر من أول شيوخه الإمام عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ، شقيق جد عبد الرحمن السعدي المقيم بولاته ، حيث قرأ عليه الرسالة ولاحظ قوة إدراكه فشجعه على طلب المزيد

1- التنبكتي : مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 1100 ، الورقة 1 ، انظر الملحق رقم 9 .
2- التنبكتي : مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقة 2 ، انظر الملحق رقم 10 .
3- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص ص 214 ، 215 ، 216 .
4- مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 5343 ، الورقة 1 ، انظر الملحق رقم 11 .
5- عبد الجليل التميمي : كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ، المجلة التاريخية المغربية، العدد 33 – 134 ، جوان ، (تونس ، 1984 م) ، ص 41 .
6- الأرواني : المصدر السابق ، الورقة 26 .
7- مرحبا : المصدر السابق ، ص 257 .

من العلوم والمعارف ، وهذا ما جعله يسافر إلى بلاد المغرب ، فأخذه عن ابن غازي وغيره من الأعلام ، وقد اشتهر بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ ، ودخل مدن السودان الغربي مثل مدينة كانو ، وتعلم بها المزيد ، وكانت له العديد من الأبحاث في نوازل مع الفقيه العاقب الأنصمني ، ثم دخل إلى تنبكتو وتعلم بها هي الأخرى ، ورجع للمغرب للمرة الثانية فدرس بمراكش ، وسم هناك فمرض ورجع لبلده ، وتوفى بها بعد عام (940 هـ/1533 م)[1] .

3- العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي :

ينتمي هذا الإمام إلى قبائل مسوفة أحد فروع صنهاجة ، ولد بمنطقة أكدس القريبة من بلاد السودان الغربي[2] ، في الوقت الذي بين السعدي أنه من أهل تكدة[3] ، وهما أسمان لمنطقة واحدة ، تعرف أزواغ موقعها بالتحديد شمال شرق السودان الغربي[4] ، نال بداية تعليمه في مسقط رأسه ، حيث تتلمذ على يدي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي[5] ، الذي استقر بتكدا فترة زمنية محددة ، أثناء رحلته لبلاد السودان الغربي[6] ، ومن ذلك يتضح أنه من أعلام أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، وهذا ما أكده كل من الإمامين السعدي والتنبكتي، حيث ذكرا أنه تتلمذ على أيدي الإمام السيوطي أثناء حجه للأراضي المقدسة وبينا أنه كان حياً في عام (950 هـ/1543 م)[7] .

- **أثاره العلمية :**

من أهم أثار العاقب الأنصمني العلمية ذات الأهمية ما يلي :

الجواب الممدود عن أسئلة الفقيه محمد بن محمود[8] ، وهي مجموعة من الأسئلة جاءت من قبل الفقيه محمد بن محمود عمر أقيت (909-963هـ/1503-1565م) للإمام الأنصمي ، والتي أجابه عليها تحت العنوان السالف الذكر[9] .

1- السعدي : المصدر السابق ، ص 39 ، كذلك : البرتلي : المصدر السابق ، ص 151.
2- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 353 .
3- المصدر السابق ، ص 41 .
4- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 274 .
5- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 353 .
6- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 273 .
7- المصدر السابق ، ص 41 ، كذلك : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 353 .
8- السعدي : المصدر السابق ، ص 41 ، كذلك : التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج1 ، ص 353 .
9- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 274 .

ثانياً : المراكـــــز :

تعددت المراكز الثقافية في كل من البلدين ، وساهمت بأدوار واسعة سهلت ربط المغرب العربي ثقافياً ببلاد السودان الغربي أهمها :

أ- المراكز الثقافية ببلاد المغرب العربي :

1- سجلماسة :

ساهمت هذه المنطقة بدور مهم في ربط العلاقات الثقافية بين البلدين ، ترجع أهميتها لعلاقاتها المتنوعة مع أقطار واسعة من العالم الإسلامي ، وخاصة من الناحيتين التجارية والثقافية بسبب تفتحها الديني واندماجها في العديد من الحضارات، رغم اختلاف التيارات المذهبية ، سواء في المشرق الإسلامي أو في المغرب العربي ، ولم تقف عند هذا الحد بل طورت علاقاتها الثقافية مع دول جنوب الصحراء الكبرى ، وبشكل خاص مع بلاد السودان الغربي[1] ، ولاسيما أثناء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، والتي بدأ بها الأمير المالي منسى موسى ، الذي قام باستجلاب أحد المهندسين المعماريين عن طريق سجلماسة ، وهو إبراهيم محمد الأنصاري الساحلي المعروف بالطويجي ، رغبة منه في بناء قصر له على الطريقة الإسلامية المغربية[2] ، فكانت من البوادر الأولى التي أدت إلى الاندماج الحضاري بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وبالذات من الناحية المعمارية .

زخرت سجلماسة بالعديد من دور العلم والمعرفة ، من مساجد ومدارس ، حوت أعداداً هائلة من العلماء الذين شاركوا في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية ، ومنهم على سبيل التمثيل العلامة ابن الحفيد عبد الرحمن السجلماسي ، (789هـ /1387 م) ، وإبراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي ، (903 هـ/1497 م)[3] ، وبما أنه بهذه المنطقة ازدهار ثقافي ملحوظ ، والعلاقة الثقافية بين البلدين كانت واضحة أدى ذلك إلى استقرار العديد من العلماء في بلاد السودان الغربي رغبة منهم في طلب المزيد من العلوم والمعارف ، أو الاشتغال بمهنة التدريس هناك ، فكان منهم الفقهاء والعلماء الذين وجدوا اهتمامات خاصة من طرف سلاطين

1- الحسن تاو شيخت : سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 233 .

2- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بأهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 145 .

3- المرجع نفسه .

المنطقة ، من بينهم الفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيض هناك ، والحاج محمد بن سعيد السجلماسي مبعوث السلطان أبو عنان المريني لبلاد السودان الغربي ، وهو أيضا من كبار تجار المغرب العربي الذين يفدون إلى تلك البلاد[1] .

2- فـــاس :

تعد فاس من أقدم الحواضر الإسلامية ببلاد المغرب العربي ، وجامع القرويين بها أقدم الجوامع الإسلامية[2] ، وهذا ما جعلها من أهم المراكز التي لها علاقاتها الواسعة مع المناطق المجاورة لها ، وخاصة مع بلاد السودان الغربي ، ولفترات متتالية ، وكانت فترة بني مرين أهم فترات ازدهارها ، بسبب اهتمامهم بالعلم والعلماء ، وخاصة في مجالات التعليم والتأليف وشرح الكتب ،مثل كتاب سيبويه لابن رشيد ، وشرح الكودى على الألفية والأجرومية لأبي عبيد الله بن أجرم المتوفى عام (723هـ/1323 م)[3] .

حافظت المدينة على ازدهارها وتطورها ، مع أن الشرفاء السعديين لم يتخذوها عاصمة لدولتهم ، وحذا حذوهم من جاء بعدهم في حكم البلاد ، باستثناء بعض منهم كانوا ينتقلون ما بين فاس ومراكش ومكناس ، وظلت تنافس الحواضر الإسلامية الجديدة ، وتستقبل الطلبة الوافدين عليها من مختلف الجهات[4] ، وكان ذلك من أهم الدوافع التي شجعت أهالي السودان الغربي في الدخول إلى فاس واكتساب العديد من علومها وثقافة أعلامها ، فبدأ من هنا الاندماج بين الثقافتين المغربية والسودانية ، ومن بين أعلام السودان الغربي الذين جاءوا إلى مدينة فاس أحمد بن القاضي التنبكتي ، حيث ألف رسالة لسليمان محمد بن يحيى الولاتي ، الذي زار أقطار المغرب العربي ، وكانت هذه الرسالة بعنوان شكاية الدين المحمدي ، كما زار المغرب عمر بن سعيد الفوتي ، أحد المصلحين في بلاد السودان الغربي، كمـا رحـل لبلاد السودان الغربي العديد من الفئات المغربية لأغراض متنوعة ، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر التدريس ، أو مزاولة مهنـة القضـاء ، أو لاتساع مداركهم في مجالي الثقافة والتعليم ، مثل عبد الرحمـن

1- الحسن تاو شيخت : المرجع السابق ، ص 233 .
2- محمد حجي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 239 .
3- الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بأهم المراكز في الشمال الأفريقي ، ص 123 .
4- محمد حجي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 239 .

سقن[1] ، كما تم ربط المنطقتين بعلاقات ثقافية رصينة من خلال الرحلات العلمية لبلاد السودان الغربي ، والذي قام بها أعلام ساهموا في توثيق المعلومات الثقافية ، وبينوا مدى قوة العلاقة بين البلدين منهم ابن بطوطه الفاسي ، الذي زارها عام (753 هـ/1352 م)[2] ، والحسن الوزان عام (917 هـ /1511 م)[3] ، كما بينا قوة التواجد العلمي والثقافي العربي المغربي في بلاد السودان ، من خلال أعلامها القاضي محمد بن عبد الله ، وأخيه يحيى ، الذين زاولا مهنة التدريس هناك[4] .

وما يؤكد قوة الصلات بين البلدين ، وابتداءً من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حدوث العديد من الفتاوى خلال هذه الفترة بين الفقهاء في كل من البلدين ، فيما يخص قضية الاحتلال الفرنسي لبلاد السودان الغربي ، فقد وردت بهذا الخصوص العديد من الفتاوى على السلطان الحسن الأول ، وهي رسائل من أمير تنبكتو يحي الكاهي ، وأمير بلاد التكرور أحمد الكبير بن الحاج عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي، يطلبان فيها الاستعانة بأهالي المغرب العربي ، ونجدة البلاد من الاستعمار، وبهذا كتب السلطان المغربي لعلماء فاس يطلب منهم الإفتاء في النازلة ، فشارك في ذلك العديد من الفقهاء منهم على سبيل التمثيل جعفر الكتاني ، و أحمد بن الخياط محمد بن أحمد العلوي ، ومحمد بن أحمد الصقلي[5] ، وغيرهم .

3- غدامـــس :

توثقت العلاقات الثقافية بين غدامس وبلاد السودان الغربي ، بسبب العلاقات التجارية الواسعة النطاق ، والتي عن طريقها تم انتشار الإسلام ولغته العربية ، حيث بدأ تعليمها لأبناء السودان الغربي عن طريق الفقهاء الذين استقروا هناك ، مثل فياض الغدامسي، الذي امتاز بالعدل والحق ، وهذا ما جعله يحظى بكسب محبة

1- حسن الصادقي : جوانب من التواصل الثقافي شمال – جنوب ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 265 .

2- المصدر السابق ، ص 5 .

3- المصدر السابق ، ج1 ، ص 9 .

4- عبد اللطيف شهبون : الأدب الجغرافي المغربي وسيطا لأنماط التواصل الحضاري ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 384 .

5- عبد الخالق أحمدون : الاتصال بين المغرب والبلدان الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء ، ص ص 505 ، 506 .

الناس له ، وتمت تزكيته من قبل العديد من الشهود في تلك المناطق، ومن ذلك الوقت أصبح من أهم شهود العدل ، فمن شهد له بالقبول اعتبر عادلاً ، ومن لم يشهد له ألغيت شهادته مهما كانت شخصيته ، وارتقى بعدها فياض الغدامسي إلى مرتبة القضاء ، وصلى على جنازة أبي القاسم التواتي أحد أئمة المسجد الكبير ، ومعلم القرآن الكريم للأطفال ، وعند وفاة الغدامسي صلّى على جنازته أكبر علماء تنبكتو الفقيه محمد عمر ، رغم كبر سنه وعدم مقدرته[1] .

كما ارتحل إلى بلاد السودان الغربي العديد من العلماء الغدامسيين ، ومنهم أبناء العلامة عبد الله أبو بكر الغدامسي من أكابر أهالي العلم بواحة غدامس ، وقد كان له عدد من الأبناء أدت بهم رغبتهم في طلب العلم والمعرفة إلى الارتحال لبلاد السودان الغربي ، حيث ذهب محمد الكبير إلى كب[2] ، وأحمد وعلي زين العابدين إلى أقدز ، وعبد الرحمن إلى أقدز ، وكانو ، واشتغل بالتدريس هناك[3] .

4- ودان :

تأسست هذه المدينة عام (536 هـ/1142 م) ، فهي توأم لمدينة تشيت في موريتانيا بالسودان الغربي ، ومعاصرة لها ، حيث قام ببناء قواعدها الأولى عدد من العلماء الذين التقوا بهذه المنطقة لغرض الحج للأراضي المقدسة ، وكونوا علاقات ثقافية خارج بلادهم ، وهم الحاج عثمان الأنصاري تلميذ القاضي عياض السبتي[4] ، والحاج يعقوب القريشي ، والحاج علي الصنهاجي ، والتحق بهم بعد تأسيس المدينة عبد الرحمن الصائم ، أما عن كيفية تأسيسها ، فكانت عن طريق الحجاج الثلاثة الذين انطلقوا في رحلتهم للحج من ثلاث قرى مجاورة لودان ، وبعد عودتهم هجروا قراهم ، وأسسوا ودان ، وبذلك ازدهرت هذه المنطقة كوحدة تجارية في بدايتها ، ومن ثم أصبحت من ضمن المراكز ذات الإشعاع العلمي ، نظرا لارتباطها ببعض الطرق مع أهم المراكز الثقافية كسجلماسة في المغرب العربي وتنبكتو وتشيت وولاته وتوات وغازا في السودان الغربي ، وبهذا استفادت ودان من مركزها التجاري في خدمة العلم ونشر الدين الإسلامي ،

1- اصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 192 .

2- كب : إقليم كب يقع ضمن نطاق ولاية أقدز ، وسكانه من سنغي لأن اباهم منها ، وقد حكمهم في آخر ايامهم عبد فلاني رمايزة هذا الإقليم رملية = البخاري المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي الأفريقي فيما وراء الصحراء ، ص 120 .

3- اصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 192 .

4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 43 .

وأصبحت من ضمن أهم المراكز التي لها علاقات ثقافية واسعة النطاق مع بلاد السودان الغربي ، وما يدل على مكانتها العلمية تسمية أحد شوارعها بشارع العلمـــاء، وأصبح الطلبة يأتون إليها من تشيت لغرض اكتساب العلوم والمعارف[1].

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 44 ، 71 .

ب- المراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي :

1- تنبكتو :

رغم أن هذه المدينة تم تأسيسها أثناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، إلا أن معالمها الثقافية لم تتضح حتى أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[1] ، في عهد دولة مالي الإسلامية ، وخاصة في عهد السلطان منسى موسى ، الذي عمرها بالمساجد والقصور والمدارس[2] ، ومن أهم مساجدها :

أ- جامع سنكري :

يذكر السعدي أن فاطمة بنت أحمد الإغلالية ، هي مؤسسة هذا الجامع ، وهي سيدة تميزت بالصلاح وفعل الخير[3] ، أما مخطوط ديوان الملوك وسلاطين السودان ، فقد ذكر فيه أن بناء جامع سنكري تم بأمر من القاضي أحمد بن القاضي إبراهيم ، وجماعة من المسلمين حيث بدأوا في بنائه يوم الثلاثاء بعد مضي ستة أيام من شهر شعبان[4] .

ويعد جامع سنكري أول جامعة تعليمية في البلاد ، والجامع الأصلي الذي تقام فيه صلاة الجمعة ، ثم تطور حتى أصبح مركزاً ثقافياً تدرس فيه العلوم الإسلامية ، فهو لا يقل مكانة عن الجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع القرويين بفاس[5] ، والزيتونة في تونس ، وهذا بدوره أدى إلى استقرار بعض الأسر التي اشتهرت بالعلم في مدينة تنبكتو ، مثل أسرة آل أقيت ، كما تخرج عدد كبير من العلماء من جامعة سنكري من بينهم الإمام الشيخ موسى ، الذي أرسل إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري/الخامس عشر الميلادي لاستكمال دراسته هناك ، وفي أثناء القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، شهدت تنبكتو أزهى عصورها، وعرف ذلك بعصر العلوم ، بسبب وفرة العلماء والصالحين ، من بينهم الشيخ سيد يحيى أحد الصالحين المحبين للعلم والمعرفة الذين تتلمذ على أيديهم عدد كبير من أبناء المنطقة في الفروع المختلفة منها الفقهية واللغوية وعلم الكلام والمنطق[6] .

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 189 .
2- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 148 .
3- المصدر السابق ، ص 62 .
4- مجهول : مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 5343 ، الورقة 8 .
5- عثمان برابا بلوي : المرجع السابق ، ص 24 .
6- خالد عبد المجيد مرسي : الشيخ حامد وكانى التجربة الخامدة والتيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، (سبها ، 1989 م) ، ص 60 .

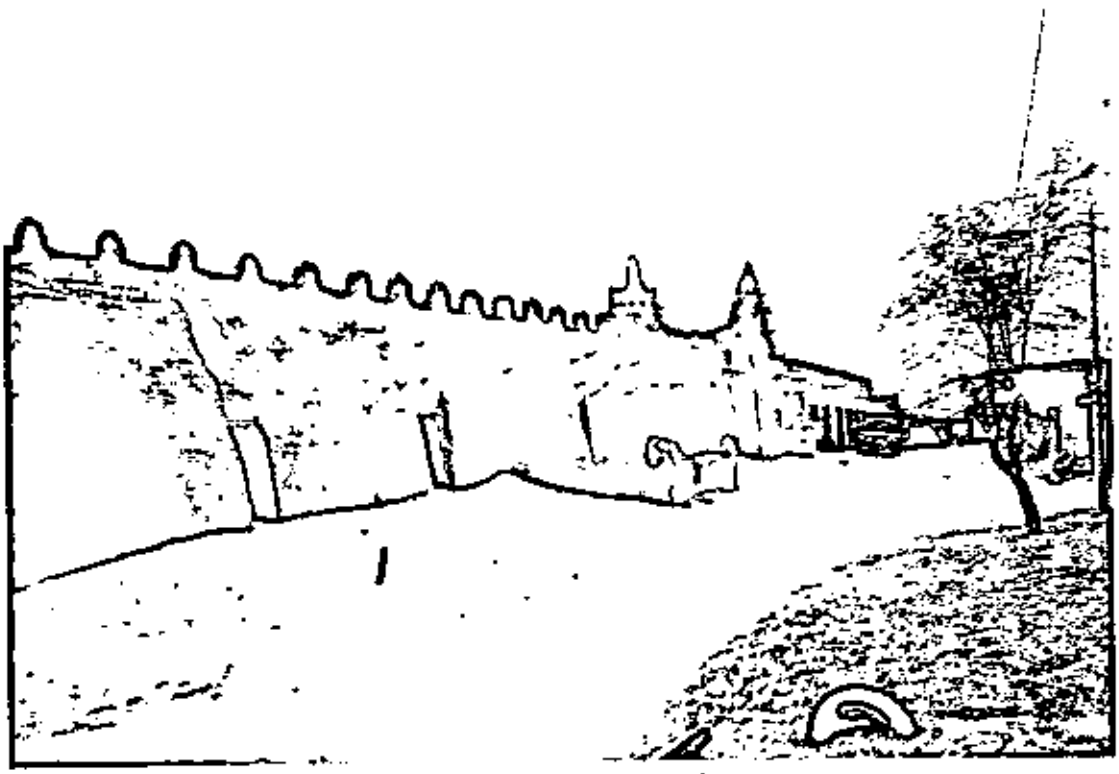

جامع جنغري بير – تنبكت

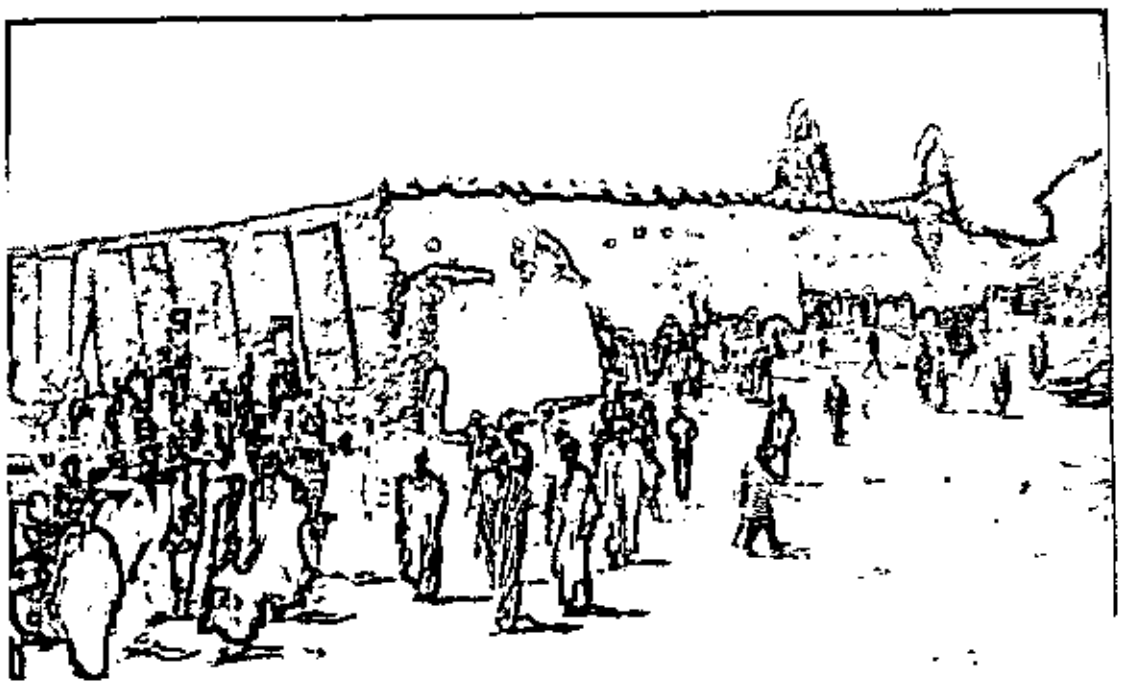

جامع جنغري بير بعد صلاة الجمعة - تنبكت

تصوير : إصلاح محمد البخاري

عثمان بن الحسن التيشيتي ، وجاء بعده الفقيه محمد كداد بن أبي بكر الفلاني ، واستمر حتى عام (898 هـ/1583 م) ، ثم خلفه الإمام أبو العباس أحمد بن الصديق ، واستمر في ذلك ستة عشر سنة ونصف[1] ، وهو آخر الأئمة في عهد الاساكى وأولهم في عهد الحكم المغربي على بلاد السودان الغربي .

ب- المسجد الكبير (جنغري بير) :

شيـده السلطان منسى موسى بعد عودته من الأراضي المقدسة عام (731هـ /1330 م)[2] ، وقد قام ببناء هذا الجامع المهندس والشاعر إبراهيم الساحلي ، وعبد الله الكومي الغدامسي ، وتحول هذا المسجد إلى جامعة تدرس فيها العلوم الإسلامية من قرآن كريم وحديث شريف وفقه[3] .

ج- مسجد سيدي يحيى :

بدا تأسيسه خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، في بداية حكم دولة الطوارق على تنبكتو ، لذا يعد من أقدم الجوامع فيها ، وينسب اسم هذا الجامع إلى يحيى الثعلبي[4] الذي ينتسب إلى الروضة النبوية الشريفة ، أحد الأئمة الذين تعاقبوا على إمامته[5] ، وقد تحول المسجد إلى جامعة يلتحق بها الطلاب في فترات متقدمة من تعليمهم ، كما توافدت عليه أعداد هائلة من العلماء من بلاد المغرب ، والذين كان لهم أثرهم الواضح في تطويرها الثقافي من بينهم محمد بن عبد الكريم المغيلي[6] .

لقد ظهرت ملامح الازدهار التنبكتي واضحة خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، ومن أهم مظاهرها أن الشيخ التنبكتي سيدى يحيى أحد أعلام تنبكتو بعد عودته من الحجاز برفقة السلطان منسى موسى ، واستقراره في هذا المركز لاحظ مدى الازدهار والتفقه لدى علماء السودان حتى أنهم فاقـوا عليـه في جانب الفقه فرحل إلى فاس ليواكب علومها ، ثم رجع إلى بلاده للاستقرار نهائياً بها حتى وفاته عام (866 هـ/1461 م)[7] .

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 192 ، 193 .
2- السعدي : المصدر السابق ، ص 56 .
3- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 191 .
4- المرجع نفسه ، نفس ص 191 ، 196 ، 197 .
5- السعدي : المصدر السابق ، ص 50 .
6- اصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 198 .
7- السعدي : المصدر السابق ، ص 51 .

ونتيجة للتطور الثقافي المشترك ارتفعت مكانة العلماء لدرجة أصبحت فيها الطبقة المثقفة من العلماء والفقهاء والأئمة مهابين من قبل السلاطين ، يسددون لهم رواتب مرتفعة تشجيعاً لهم على اكتساب الكثير من العلوم عن طريق الترحال من منطقة لأخرى ، كما كانوا يسهلون عليهم اقتناء الكتب والمخطوطات النادرة وذات الأهمية من بلاد المغرب ، ومنها مخطوط الحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي ، وهو عبارة عن تأليف لغوي مهم نُسخ في تنبكتو ومعروف لدى علمائها، وهذا يُبين ما كان عليه علماء السودان الغربي من مكانة علمية فائقة[1] .

لقد نشطت الحركة الثقافية بينَ المغرب وتنبكتو ، فكانوا يتبادلون الرحلات العلمية ، ومن أشهر علماء المغاربة الذين وفدوا إلى تنبكتو ، قاضي الجماعة قاسم بن سعيد التلمساني ، والفقيه إبراهيم المصمودى ، وأحمد عطا الله الصنهاجي ، الذين شاركوا جميعاً في نهضة تنبكتو العلمية ، بالإضافة إلى الفقيه المصلي الذي رحل من المغرب واستقر في تنبكتو ، ولقب بذلك بسبب كثرة صلاته في المسجد ، وعبد الرحمن الجزولي من أعلام المذهب المالكي ، ومن العلماء الذين سافروا من تنبكتو إلى المغرب العالم مخلوف بن علي بن صالح البابلي[2] .

المكتبات في تنبكتو :

لقد زخرت مدينة تنبكتو بالعديد من المكتبات الخاصة ، التي كانت تضم نفائس الكتب ، ومن بين الأعلام الذين توفرت لديهم كتباً قيمة أحمد بن عمر بن عقيق ، الذي خلف ستمائة مجلد ، كذلك محمد بن محمود بن أبي بكر الونغرى ، وكان يعطي الكتب حتى لمن لا يعرفه لوجه الله تعالى[3] .

وربما يرجع الازدهار الثقافي بين البلدين إلى وفرة الكتب ، كما تميز أعلام تنبكتو بأداء القصائد الشعرية الموزونة ، ومن بين هذه القصائد تذكر قصيدة للإمام أحمد بابا التنبكتي التي نظم أبياتها أثناء تواجده بالمغرب فقال :

أيا قاصدَ كاغو فعجّ نحوَ بلدتي ... وزَمزِمْ لَهَمْ باسمي وبَلِّغْ أحبتي

سلاماً عطِراً منْ غريبٍ وشائقٍ ... إلى وطنِ الأحبابِ رهطي وجيرتي

1- عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 40 .
2- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 280 .
3- اصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 216 .

وَعِنْدي أقَارِبُ هُنَاكَ أعِـــــزَّةٌ على السَّادَةِ الأولى دُفِنْتُ بِغُرْبِي
وَشُبَّابُ بَيْتِي سَارَعُوا عَنْ أخِيرِهِمْ إلى مَلِكِ الأمْلاكِ فِي وقْتِ غُرْبَتِي
فَوَاسَفَاهُ مِنْهُم وَحُزْنِي عَلَيْهِـــــمْ فَيَارَبِّ فَارْحَمْهُمْ بِوَاسِعِ رَحْمَةِ[1]

2- جنـــي :

تعد جني ثاني المراكز الثقافية في بلاد السودان الغربي ، وقد اشتهرت ببيع الكتب النفيسة ، وخاصة في عهد الاسكيا محمد الكبير المهتم بالعلم والعلماء ، الذي احضر الكتب والمخطوطات من بلاد المغرب ، وهذا ما جعلها محط أنظار ، جذبت إليها طوائف متعددة من طلاب العلوم المختلفة[2] ، وخاصة الدينية ، ويعد محمد ساقو الونكرى ، الذي عاصر أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي أهم أعلامها ، وخاصة في مجال القضاء فهو من ولاة الاسكيا الحاج محمد ، قاضي جني أثناء الفترة المذكورة[3] .

وخير ما يبين لنا ازدهارها وصف العديد من المؤرخين لها منهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

السعدي الذي قال عنها : " ... وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى ... "[4] ، أما العمرى فوصفها بأنها قاعدة مملكة مالي الإسلامية[5] ، كما أشار إليها الحسن الوزان الذي زار السودان الغربي خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وقال فيها " ... يسكنها الملك والأئمة والفقهاء والتجار والأعيان ... "[6].

وهذا يدل على انتعاش الحركة العلمية والثقافية ، وبالتالي قيام المحاضرات والمناظرات العلمية[7] ، وقد فتح ذلك أفق العلاقات الثقافية بينها وبين أهم المراكز الثقافية ببلاد المغرب[8] ، وأدى إلى انتقال طلاب العلم والمعرفة بين البلدين لاكتساب الخبرات المتاحة لدى علمائها[9] .

1- اصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 219 .
2- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، ص 189 .
3- عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص 149 .
4- المصدر السابق ، ص 16 .
5- مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق حمزة أحمد عباس ، (د.م ، د.ت) ، ج4 ، ص 107 .
6- المصدر السابق ، ج2 ، ص 163 .
7- السعدي : المصدر السابق ، ص 15 .
8- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 72 .
9- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 201 .

هكذا ساهمت العوامل المختلفة بين الطرفين من علماء ومراكز ومؤسسات ثقافية في ربط السودان الغربي بالعالم الإسلامي وثقافته ، رغم صعوبة الاندماج نظرا لاختلاف الثقافات والديانات بينها .

لأن العلاقة بين البلدين ، لم تكن عبارة عن ثقافة قديمة يراد تطويرها والنهوض بها ، بل هي زرع ثقافة جديدة تقاوم خرافات بالية لا إسلامية واستبدالها بثقافة إسلامية صرفة من كافة جوانبها ، وهذا ما جعلها تحتاج إلى فترات طويلة الأمد حتى تمكن جذورها الأولى، والتي كانت بداية ازدهارها منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، ومرجع ذلك لعدة أسباب هي :

1- عدم اقتناع أهالي السودان الغربي بسرعة تغيير ديانتهم ومعتقداتهم وإعتناقهم لمبادئ وعادات جديدة .

2- فقدان السلطة الرسمية التي تعمل على فرض الأمن والاستقرار[1] ، ففي الفترة المذكورة فقط ظهرت ملامح الازدهار السوداني واضحة[2] .

إلا أن ذلك لا يعني أن ننظر نظرة اللاتكافؤ بين المغرب والسودان الغربي ، ولم تكن أعلام السودان الغربي التي تم ذكرهم ، والتي تعرضت لهم العديد من المؤلفات بأقل غزارة علمية من أعلام المغرب ، ولم تكن المكتبات السودانية أقل إنتاجا من المكتبات المغربية[3] ، وهذا ما أكده مرحبا ، حين قال لقد أثر المغاربة في بلاد السودان الغربي ، ونشروا فيها الثقافة العربية الإسلامية ، ولكن ليس معنى هذا أن ثقافتهم أقل غزارة وعمقا من الثقافة المغربية ، فالأعلام سواء في المغرب العربي ، أو في السودان الغربي لهم نفس الاستعداد والتحصيل المعرفي ، وهذا يبين أنهم تلقوا نفس التعليم ، وقرأوا نفس الكتب[4] ، فربما كان ذلك في الفترات الأولى من انتشار الإسلام وثقافته فيها ، ويتضح من ذلك أن الاندماج الثقافي المغربي أقوى على اعتبار أن بلاد السودان الغربي لم تكن منطقة إسلامية ، فطبيعي أن تتعمق فيها الثقافة الإسلامية ومبادئ الإسلام أولا ، ومن ثم تبدأ عمليات التبادل الثقافي بين أعلام البلدين ، وهذا ما لا يجعلنا ننظر نظرة اللا تكافؤ بين البلدين .

1- فاي منصور علي : المرجع السابق ، ص ص 195 ، 197 .
2- السعدي : المصدر السابق ، ص 51 .
3- عبد الخالق حمدون : المرجع السابق ، ص 505 .
4- المصدر السابق ، ص 290 .

الفصـــــل الخامس

أثر الثقافة العربية الإسلامية المغربية على بلاد السودان الغربي

أولاً : الأثر السياســـي .

ثانياً : الأثر الاجتماعي .

ثالثاً : الأثر الثقافـــي .

رابعاً : الأثر التجـــاري .

أثر الثقافة العربية الإسلامية المغربية على بلاد السودان الغربي

حرص ملوك السودان الغربي ، ومن بينهم السلطان المالي منسى موسى والاسكيا محمد الكبير على اقتباس النظم السياسية العربية الإسلامية ، وخاصة من بلاد المغرب العربي ذات المذهب المالكي ، ولهذا سادت في بلاد السودان الغربي أنظمة سياسية بقوانين إسلامية .

أولاً : الأثر السياسي :

أ- الأنظمة السياسية :

شهدت بلاد السودان الغربي أنظمة حكم مختلفة حدث فيها الامتزاج ما بين النمط الأفريقي والأنماط العربية المغربية ، ظهرت آثارها واضحة في ظل مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين ، وشهدت البلاد نظام حكم مركزي ، وتخلصت من الأنظمة القبلية السائدة بها سابقا ، حيث أصبح نظام الحكم يتميز بمركزية واضحة ترجع فيها السلطة الكاملة للملك ، و مجلس الوزراء وموظفون في دواوين الدولة المختلفة[1] ، وتحددت وظيفة الملك في إصدار الإجراءات التي يكتبها صاحب الديوان[2] بالخط العربي وعلى الطريقة المغربية[3] .

1- اختيار الملوك وكيفية تنصيبهم :

ينطبق تنصيب الملوك في بلاد السودان الغربي سواء أكان في مملكة مالي الإسلامية أو سنغاي تماما مع مراسم التنصيب في بلاد المغرب العربي ، ويبدأ ذلك بمجرد وصول الملك قصر الرئاسة ، حيث يجلس على سرير العرش وسط أصوات الطبول ، ويتم تقديم إشارات السلطنة إليه ، والتي من بينها القميص المزركش ولباس فوق الرأس يشبه التاج ، ثم تتم المصافحة بينه وبين أعضاء المجلس الإداري ، وقائد الجيش ، ومن ثم القيام للصلاة في المسجد ، وبعد عودته يقسم كبار موظفي الدولة اليمين أمام الملك والقضاة والعلماء على الإخلاص للملك ودولته[4] ، ويعد هذا النظام وراثيا[5] ، رغم أنه لم يسر وفق العادة الأساسية لنظام الوراثة

1- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 127 .
2- القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 203 .
3- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 77 .
4- المرجع نفسه ، ص ص 77 ، 78 .
5- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 125 .

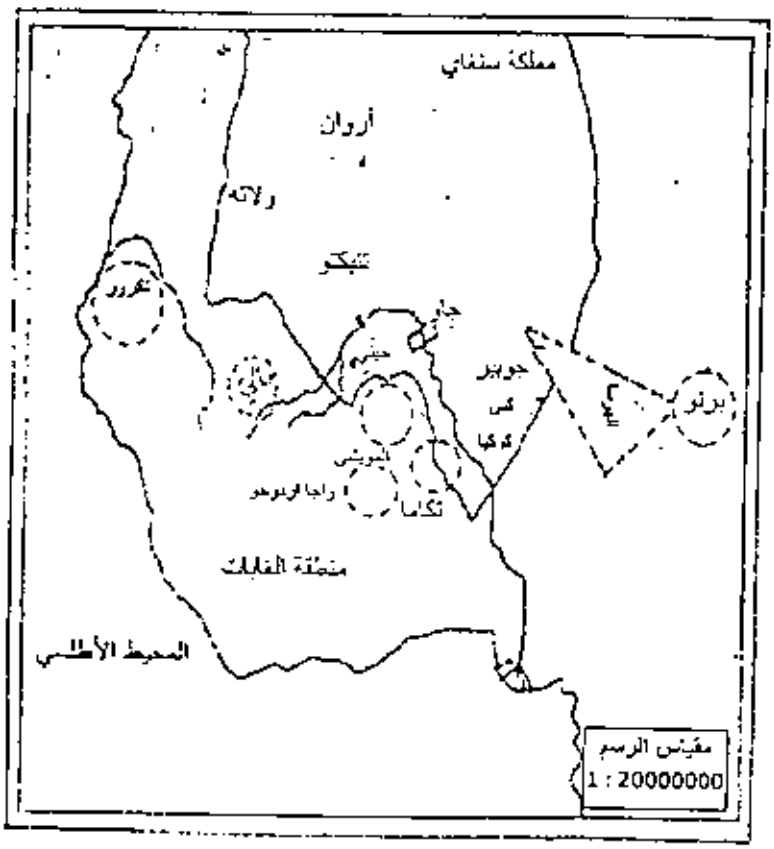

مملكة سنغاي الإسلامية في أقصى اتساعها أيام الاسكيين والإمارات المجاورة لها في القرن السادس عشر نقلاً عن جميلة إمحمد التكتيك ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1493 – 1528 ، ص 239 مع التعديل في مقياس الرسم .

تسجيل سيرة حياة الملوك ، وقد تخصص في هذا المجال الفقيه محمود كعت الذي كتب سيرة السلطان الاسكيا محمد الكبير[1] ، اقتداءً بما كان موجوداً في بلاد المغرب في عهد أحمد المنصور الذهبي ، الذي أخذ عبد العزيز القشتالى لكتابة سيرة حياته وكافة الأحداث التي حصلت في عهده[2] .

ب- الأنظمـة الحربيـة :

تطورت الأنظمة الحربية ببلاد السودان الغربي ، نتيجة لسعة اتصالاتها ببلاد المغرب ، ومن بين المفاهيم التي دخلت عن طريق الإسلام وشجعت على تطور الأنظمة الحربية ظاهرة الجهاد الإسلامي ضد أعدائه واتساع مساحته ، لهذا انتهج ملوك السّودان الغربي ومن بينهم منسى موسى سياسة الفتح الإسلامي ، فاستولى على ولاته وتنبكتو وجاو ، وامتدت دولته في أواخر حكمه من تكرور إلى ندي شرقاً ، ومن أروان إلى فوتاجالون جنوباً[3] ، كما انتهج السلاطين الاسكيون هذه السياسة خلال الفترة من (904 - 921 هـ/1498 - 1515 م) ، وسميت بفترة التوسع ، والتي قام فيها الاسكيا محمد الكبير الأول ببعض الحملات العسكرية لنشر الإسلام ، واتساع رقعته ، فحارب الوثنيين من قبائل الماندنجو ، والفولة في الغرب والبربر والطوارق في الشمال ، والموشي في الجنوب ، والهوسا في الشرق ، وأجبرهم على دفع الجزية[4] .

وقد كان الجهاد الإسلامي في بلاد السودان الغربي يسير وفقاً لشروط معينة جاء بها الإسلام منها :

أ- الدعوة للإسلام .

ب- القتال وسبي الأسرى .

ويعد السلطان الاسكيا محمد الكبير أول سلاطين دولة سنغاي الإسلامية، الذين حاربوا أهل الكفر والمرتدين ، وبدأ في ذلك بعد عودته من أداء فريضة الحج عام (903 هـ/1407 م)[5] ، لعدة أسباب أهمها :

1-عبد الرحمن زكي :الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، محاضرات في معهد الدراسات الإسلامية،ص51.

2- مناهل الصفاء في أخبار الملوك الشرفاء ، مطبعة المهدية ، (تطوان ، 1964 م) ، ص ص 11 ، 12 .

3- الهادي المبروك الدالي :مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها وأهم المراكز بالشمال الأفريقي، ص ص 36-37.

4- مرجعا : المصدر السابق ، الورقات 31 – 32 .

5- مطير سعد غبث : الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 316 .

1- رغبته في نشر الإسلام ومبادئه في بلاد السودان الغربي ، وقد ظهرت عنده هذه الرغبة أثناء تواجده في الأراضي المقدسة ، ولقاءه ببعض كبار العلماء والمفكرين المسلمين ، أمثال شريف مكة ، وجلال السيوطي على اعتبار أن مكة المكرمة هي أرض النبي – صلى الله عليه وسلم – وتأثيرها على المغرب العربي والسودان الغربي مشترك .

2- الضغوط السياسية من قبل القبائل الوثنية ، وخاصة بعد التدخل الأوروبي في أجزاء بلاد السودان الغربي من الناحيتين الجنوبية والغربية ، وإقامة علاقات تجارية لوجود بعض المراكز الساحلية من جهة الغرب ، والتي أصبحت من أهم الأسواق خاصة في تجارتي الرقيق والذهب[1] .

لم يقف الجهاد ضد الوثنيين بوفاة الاسكيا محمد الكبير ، بل استمر من خلفه في هذه المسيرة الجهادية ، ومنهم على سبيل المثال الاسكيا إسماعيل وابنه بكر[2] ، عندما خرجا للجهاد في بكبول (بارض كرم)[3] ، وانتصروا عليهم ، وذلك عام (946 هـ[4]/1539 م) ، أضف لذلك ما قام به الاسكيا إسحاق الأول في منطقة الجنوب عام (951 - 952 هـ/1544 - 1545 م)[5] ، واستمر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، حيث حدث بينهم وبين الوثنيين في ماسنه وتندرم صدام مسلح وقد عاملهم المغاربة كما كان يعاملهم الاساكي ، فكانوا يعرضون عليهم الهدنة ثم الحرب[6] .

ومن أول حكام المغاربة الذين شاركوا في حركات الجهاد الباشا محمود بن زرقون ، الذي بدأ جهاده ضد كفار (هنبر)[7] جنوبا واستمر في ذلك إلى حين وفاته عام (1003 هـ[8]/1594 م)

ونظرا لحاجة الحركات الجهادية إلى معدات عسكرية وجيش نظامي استطاعت دولة سنغاي الإسلامية بما تمتلكه من إمكانيات مادية إعداد قوة عسكريـة

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص ص 317 ، 318 .
2- السعدي : المصدر السابق ، ص 93 .
3- أرض كرم : تقع في نطاق مدينة تنبكتو سكانها يدعون قبائل الكرم = التنبكتي ، مخطوط معراج الصعود ، مركز الدراسات الأفريقية ، بدون تصنيف ، سبها ، الورقة 7 .
4- السعدي : المصدر السابق ، ص 93 .
5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 320 .
6- السعدي : المصدر السابق ، ص 96 .
7- هنبر : مدينة في السودان الغربي تقع شرق مدينة سيقو في مالي = التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 93 .
8- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 321 .

وجيش مسلح لحماية عرشها ، وذلك باستجلاب الأسلحة التي سيتم استخدامها في وجه الأعداء ، وكونوا ما يعرف بالجيش النظامي الذي برع في استخدام الأساليب الحربية ، مثل إرسال بعض السرايا الخفيفة لغرض استطلاع المكان التي ترغب الجيوش بقيادة الاساكي الدخول إليه[1] .

وهذا ما حدث تماماً في بلاد المغرب في عهد أحمد المنصور الذهبي ، الذي أولى اهتماماً خاصاً بالقوات المسلحة وزودها ببعض المعدات الحربية الحديثة ، وجعلها رهن إشارته على اعتباره القائد الأعلى ، وبيده مقاليد الحكم ، حيث قام بتدريب الجيش وكون جيشاً نظامياً ، لضبط الأمن الداخلي وتحقيق أمانيه الخارجية في التوسع فاتجه إلى بلاد السودان الغربي[2] ، كما تمكن أهالي السودان من إنشاء أسطول حربي لنقل الجنود والقادة في المياه النهرية مثل نهر النيجر في جاو وتنبكتو ، وقد بلغ عدد القوارب بالأسطول ألفي قارب[3] ، ويعد منسى علي أول من وضع النواة الأولى للأساطيل إلا أنها شهدت ازدهاراً منقطع النظير في عهد الاسكيا محمد الكبير[4] .

ج- الأنظمة الإدارية والمالية :

لقد عرفت دولتا مالي وسنغاي أنظمة إدارية ، وخاصة في عهد سلطانيهما منس موسى ، والاسكيا محمد الكبير ، فالعاصمة هي مقر الحكومة المركزية يرأسها السلطان ، وهو من يفوض ولاة الأقاليم بسلطات معينة تجعلهم ينوبون عنه في إدارة شؤونها[5] ، وهذا ما كان سائداً تماماً في بلاد المغرب العربي ، فالمنصور كان يضع أبناءه ، ومن يثق فيهم في دولته التي انقسمت إلى اثنتي عشر ولاية[6] ، ربما أن دولتي مالي وسنغاي سارتا على نفس النمط المغربي نلاحظ أن مملكة مالي الإسلامية لها جهاز تنفيذي وإداري يتكون من الملك ونائبه والوزير ، ويلقب باسم صندكى[7]، كما يلقب أيضاً باسم دنس العبيد ، ومرجع ذلك أن أهالـــي

1- عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، ص ص 317 ، 318 .
2- حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ص 238 ، 239 .
3- عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، ص 318 .
4- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 329 .
5- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 84 .
6- حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص 233 .
7- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 85 .

المنطقة اعتمدوا كثيراً على العبيد الأحرار ، وخاصة في قيادة الجيش وحكومات الولايات وجباة الضرائب ولقبوا البولا[1] .

انقسمت مملكة مالي الإسلامية إلى عدد من الأقاليم ، وهي غانة ، وزافون ، وترنكا ، وتكرور ، وسنغاي ، وبانبغوا ، وزرنطانيا ، وبيترا ، ودومورا، وزاغا ، وكابرا ، ويراعورى ، وكوكو ، ومالي[2] .

وقد تشابهت النظم الإدارية لدولة السنغاي الإسلامية إلى حد كبير بما كان موجوداً بدولة مالي الإسلامية مع بعض الإصلاحات الحديثة التي أدخلها الاسكيا محمد الكبير ، وهي إنشاء نيابة للملك في تندرم[3] ، وأسندها إلى أخيه عمر كمزاغ، بسبب وقوع العاصمة جاو في طرق سنغاي ، حتى يتمكن من الإشراف بشكل جيد على بقية الأقاليم ، وقسم دولته إلى عدة ولايات تتبع الثقل السياسي في العاصمة جاو ، وكلف والياً لكل ولاية منها ، وتم اختيارهم من أقربائه وعبيده المخصصين ، واستمرت الدولة على هذا الحال حتى قدوم الحكم المغربي عام (1000هـ /1591م) ، ومن هذه الولايات :

1- ولاية كورما غرب النيجر .
2- ولاية بارما في الجنوب الغربي .
3- ولاية دندي جنوب جاو .
4- ولاية بانجو .
5- ولاية هاريباندا تقع على الضفة اليمنى لنهر النيجر[4] .

أما فيما يخص النظم المالية ، فقد كانت الضرائب هي مصدرها الأساسي ، والتي يتم جمعها بواسطة جامعي الضرائب من المدن والولايات في الدولة[5]، وتقسم كمرتبات تقدم للموظفين والقضاة والعلماء وغيرهم من رجال الدولة[6] .

1- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ص 127 – 128 .
2- القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 275 .
3- تندرم : قرية تقع شرق مدينة جاو ، تأسست عام (874 هـ/1470 م) ، نشطت بها الحركة التجارية زمن منسى علي واسكيا الحاج محمد ، ومكث فيها أخو الاسكيا الحاج محمد ، وكانت مقره = موسى عمراء السعدي: زهور البساتين في تاريخ السودانين ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقة 253 .
4- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص ص 86 ، 87 .
5- شارل اندريه جوليا : تاريخ افريقيا ، دار النهضة ، (القاهرة ، 1968 م) ، ص 84 .
6- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 167 .

أما الأملاك السلطانية والتي عائدها من الحركة الجهادية تصرف في العديد من الأمور منها نفقات السلطان وأسرته ، وأعمال الخير ، والتي من بينها بناء المساجد والمدارس القرآنية والتصدق على الفقراء والمحتاجين بالإضافة إلى الصرف على المنح الدراسية والهدايا التشجيعية[1] .

د- النظم القضائية :

تعد التأثيرات الإسلامية واضحة في مجال القضاء ، وحث على ذلك ملوك دولتي مالي وسنغاي الإسلاميتين ، وذلك بحرصهم على نشر الأمن والعدل والالتزام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بما جاء به القرآن الكريم ،السنة النبوية ، ولذلك اختاروا القضاة الذين يمتازون بغزارة العلم والنزاهة والتدين ، وأغلب هذه الصفات يمتاز بها قضاة بلاد المغرب العربي ومن درس على أيديهم[2] .

وقد كان السلاطين يكنون كل التقدير والاحترام للقضاة ، وما يدل على ذلك قصة استقبال الاسكيا محمد الكبير ، للقاضي أبي البركات محمود بن عمر أثناء عودته من الأراضي المقدسة (914 هـ/1508 م)[3] .

ومن المعروف أيضا العلاقة الوثيقة بين القاضي أبي حفص ، وأحمد المنصور الذهبي ، وما حدثت بينهما من مراسلات أثناء التمهيد للاحتلال المغربي لبلاد السودان الغربي[4] ، ويعد القضاة في مقدمة الحضور للجلسات السلطانية[5] .

وقد اختير قضاة المدن الكبرى مثل تنبكتو وجني من بين العلماء المغاربة ، أما قضاة باقي مدن السودان الغربي ، فقد كانوا من علماء البلاد الأصليين[6] .

وكان الفصل في المنازعات التي قد تحدث بين أفراد الشعب من المهام الأولى التي يقوم بها القاضي ، كما كان يقوم بفض المنازعات التي قد تحدث بين حكام الأقاليم وأهالي المنطقة ، ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد ذلك ، ما ورد

1- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 335 .
2- أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 160 .
3- السعدي : المصدر السابق ، ص 76 .
4- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 186 .
5- إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص 131 .
6- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 93 .

أفراح تنـــبكت

أفـــراح غـــدامس

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية
في أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 330

الحـلي فـي تنـبكت

الحـلي فـي غـدامـس

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية
في أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 331

إمرأة من تنبكت تعد الشاي

إمرأة من غدامس
تقوم ببعض الصناعات التقليدية

نقلاً عن أصلاح البخاري: إنتشار الإسلام والثقافة العربية
في أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 329

ويتلثمون بلثام كبير الحجم مصنوع من القطن لونه أسود أو أزرق ، غير أن الأئمة والقضاة يتلثمون بلثام ابيض ، كما كان الاسكيا داوود يرتدي ملابس[1] مغربية عالية الجودة ، من بينها قميص سوسي نسبة لمنطقة سوسه في بلاد المغرب الأقصى ، كما كان عبيده يرتدون ملابس حريرية ، وخاصة يوم الجمعة[2] .

وكان لنساء السودان الغربي زيهن الذي يشبه إلى حد كبير زي نساء المغرب ، وخاصة الزي الغدامسي ، حيث كانت المرأة في بلاد السودان الغربي ترتدي العمامة الكبيرة التي تشبه عمائم الرجال ، ولها طريقتها الخاصة في ربطها[3] ، ففي عهد الاسكيا محمد الكبير ، كانت نساء تنبكتو غاية في الاحتشام والوقار والابتعاد عن التبرج الجاهلي ، وهذا بطلب من السلطان الذي حث نساء المنطقة على إتباع مبادئ الشريعة الإسلامية في الزي والاختلاط ، حيث أمر بعدم الاختلاط بين الجنسين ، وأمر النساء بلبس الحجاب ووضع اللثام لغطاء وجوههن[4] باستثناء بعض الجواري اللاتي يبعن الأكل في الشوارع[5] ، كما لبست نساء المنطقة الأقراط في الأذن والأساور والحلى فوق الشعر وفي الأنف والخلاخل في الأرجل[6] .

ج- الطعام والشراب :

تأثرت بلاد السودان الغربي بالعديد من أشكال الأطعمة السائدة ببلاد المغرب، كالكسكسي والعصيدة والأرز واللوبياء وغيرها من المأكولات الأخرى[7] المعهودة لدى أهالي المغرب ، وقد كان أهالي تنبكتو يفضلون تناول إفطارهم المكون من العسل واللبن والزبدة والخبز قبل شروق الشمس ، وبعد قيام صلاة الصبح مباشرة، كما كان لهم مذاق خاص في شرب الشاي المعمول بالنعناع ، وهو مفضل عندهم ، وتأتي بعد ذلك الوجبة الرئيسية بعد الظهر ويتناولونها بعد الانتهاء من أعمالهم ، وتحتوي على السمك والأرز والدجاج[8] .

1- المصدر السابق ، ج2 ، ص 163 .
2- مطير سعد غبث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 372 .
3- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 160 .
4- السعدي : المصدر السابق ، ص 85 .
5- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 160 .
6- مطير سعد غبث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 373 .
7- ابن بطوطه : المصدر السابق ، ص 395 .
8- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، من ص 161، 163 .

ثالثاً : الأثر الثقافي :

أ- الاندماج بين اللغة العربية واللهجات المحلية :

تعد اللغة العربية إحدى اللغات الأفريقية وأكبرها وأكثرها انتشاراً وتأثيراً ، وهي لغة الدين والعلم والحضارة منذ أقدم العصور ، وحتى أيامنا هذه ، وهذا ما جعل اللهجات المحلية في بلاد السودان الغربي تتأثر ، وخاصة بعد انتشار الإسلام وتعاليمه هناك[1] ، على أيدي التجار العرب المستعربين ، الذين ارتحلوا لبلاد السودان الغربي ، لغرض التجارة ويجمعون بينها وبين نشر الدين الإسلامي ، وبما أن ضروريتها إيجاد لغة تخاطب تجاري بين الطرفين ، فتم اختيار اللغة العربية لما امتازت به من رقي ووفرت مصطلحات ، وهذا ما جعلها تتسرب إلى اللهجات المحلية ، وخاصة لغة الهوسا التي كانت اللغة الرسمية للتجارة في السودان الغربي ، بدون منازع[2] ، كما كان لها أثرها الواضح في اللغة الفلانية ، إلا أن التأثير لم يكن واضحا في هاتين اللهجتين ويشوبه القليل من التحريف بسبب انتشارها في بلاد السودان الغربي[3] ، وهذا طبيعي لأن بداية انتشار اللغة العربية لم تكن تدرس في مدارس تعليمية، أو عن طريق أناس متعلمين متفقهين في اللغة وإنما بدأت عن طريق لغة المخاطبة التجارية[4] ، وهذا ما أكده الحسن الوزان حين قال : " ... وبدأ تجار بلاد البربر يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم ... "[5] .

اما بعد أن تطورت العلاقات الثقافية بين المغرب وبلاد السودان الغربي ازدادت اللغة العربية انتشاراً ووضوحاً بعد أن تم تدريسها عن طريق الزوايا[6] ، وبذلوا في ذلك مجهودات كبيرة وأنشأوا لها مؤسسات خاصة بقدر ما هي عليه مراكز العلوم المختلفة[7] ، وساهمت العديد من العناصر العربية مثل الصنهاجيين

1- عبد السلام بو سعد : المرجع السابق ، ص 16 .

2- محمد الفران : تأثير اللغة العربية في بعض اللغات الأفريقية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 131 .

3- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص 106 .

4- عبد الله محمد الحواس : المرجع السابق ، ص 132 .

5- الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 160 .

6- الزوايا : هي مرحلة وسطى بين الكتاب التي هي مدرسة ابتدائية ، والمدرسة التي هي معهد ثانوي فهي تشبه المدرسة الإعدادية في الوقت الحاضر وتتكون من مجموعة غرف لمبيت الطلبة وغرفة للتدريس ومكتبة وجامع ومرافق عامة وتتحول هذه الزوايا تدريجياً إلى أسواق أسبوعية ثم إلى قرية ثم إلى بلدة = محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت : الأدب المغربي ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1969 م) ، ص 91 .

7- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 285 .

والزناتين ، والمرابطين ، والمرينين ، والسعديين في نشرها وتوثيقها في بلاد السودان الغربي عن طريق التأليف والمبادلات العلمية بين علماء وفقهاء البلدين[1] ، حتى أصبحت الكتابة ذات طابع مغربي والقلم المستخدم أيضا مغربي[2] ، وهذا ما أكده القلقشندي بقوله ، أن بلاد السودان الغربي بها العديد من الوزراء والقضاة وكتاب الدواوين ، وأن سلطانهم لا يكتب شيئا بل يعطي أوامره إلى أصحاب الوظائف الذين يدونون ذلك بالخط العربي على طريقة المغاربة[3] .

فكافة هذه الأمور ساعدت على انتشارها حتى كادت تكون اللغة الرسمية لبلاد السودان الغربي ، رغم رفض بعض القبائل الزنجية لها وتمسكهم بلهجاتهم المحلية[4] .

ولكي يتم توضيح أثر اللغة العربية في اللهجات المحلية الأفريقية ، سنذكر بعضا منها ، وكيف كان يشوبها التحريف اللغوي السنغاي – الفلان – الهوسا ، على اعتبار أنها أكبر اللهجات الأفريقية .

أولا : لغة السنغاي[5] :

الرقم	الكلمة العربية	الكلمة السنغية المستعارة	
1	العمر	الومر	Alomar
2	العافيه	اللافي	Allafe
3	الأدب	الدبا	Aldba
4	السبت	الشبتو	Alshbtu
5	الأحد	الهدو	Alhado
6	الاثنين	اتنو	Atno

1- محمد حجي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 549 .
2- مرحبا : المصدر السابق ، الورقة 255 .
3- القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 287 .
4- بابكر سمبا : التواصل الثقافي بين جانبي الصحراء في العصر الحديث ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، ص 152 .
5- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص ص 108 ، 109 .

الرقم	الكلمة العربية	الكلمة السنغية المستعارة	
7	الثلاثاء	اتلاث	Athlath
8	الأربعاء	الربا	Alrba
9	الخميس	الهميس	Alhameis
10	الجمعة	الزم	Alzam
11	الجنة	الجن	Algen
12	جهنم	حهنم	Hahnm
13	رمضان	المدن	Almdn
14	الوضوء	الولاء	Alwala
15	الإسلام	التلامترى	Altlamtary
16	الزكاة	الزك	Alzk
17	الضحى	ادها	Adha
18	الأجل	اجل	Agel
19	القاضي	الكالو	Alkalo
20	الفاسق	الفاشك	Alfashk
21	الحسد	الهاشرترى	Alhashertry
22	الحاسد	الهاشر	Alhasher
23	الخادم	الهادم	Alhadm
24	الحلال	الهلك	Alhalk
25	الحرام	هرم	Harm
26	الثواب	تياب	Teab
27	الوعد	الواد	Alwad
28	القدر	كدر	Kadr
29	الإمام – الإمامة	المم	Almam
30	البدعة	البد	Albd
31	الشرك	شرك	Shrk

1- إصلاح محمد البخاري . المرجع السابق . ص ص 109 ، 110 .

ثانيا : لغة الفـــلان[1] :

الرقم	الكلمة العربية	الكلمة الفلانيـــة	
1	مؤدب	موادیرا أو مودیبو	Mwadera
2	دفتر	دفتری	Dftary
3	صوم	صومي	Saumei
4	فهم	أفام	Afam
5	سد	سدّوم	Sdum
6	الساعة	ساعة	Saah
7	قبر	قبري	Gabrei
8	عدة	عدا	Ada
9	القاضي	قاضي	Gady
10	السجود	شجودا	Shguda
11	السماء	اسما	Asma
12	البركة	بركا	Barka
13	الأخرى	الأخرى	Alakra
14	التفسير	فسيردا	Fcerda
15	الحج	جاجي	Hagy
16	الكافر	كافيرو	Kafero
17	الشهادة	سيدا	Seda
18	الفجر	فجري	Fagrei
19	الحق	حقي	Haky
20	المنية	منية	Menyh
21	المنافق	نافيقي	Nafegei

1- إصلاح محمد البخاري : المرجع السابق ، ص ص 112 ، 113 .

ثالثاً : لغة الهوســا[1] :

الرقم	الكلمة العربية	الكلمة الهوسية	
1	قرأ	كروتا	Karauta
2	الخلق	حليقا	Halika
3	البصل	البصا	Albasa
4	صابون	صابولو	Sabulu
5	المجلس	مجلسا	Majalisa
6	الأحد	لاهدي	Lahadi
7	القلم	القلامي	Alkalami
8	الخبز	الخبوز	Alkubuz
9	الطاقية	طقيقا	Tagiga
10	الفندق	الفيندقي	Alfindiki
11	الطاسة	طاسة	Tasa

ب- إتباع المذهب المالكي :

انتشر المذهب المالكي منذ بداية أمره انتشاراً واسعاً في مصر وبلاد المغرب العربي والأندلس عن طريق بعض كبار العلماء أصحاب مالك ، ومن بينهم ابن القاسم وأشهب وعبد الله بن الحكم ، ومنها انتشر في البلدان الإسلامية ، ومنها إلى بلاد السودان الغربي[2] .

لقد انتقلت الثقافة المغربية لبلاد السودان الغربي بدون تحريف على ما هي عليه ، وهذا طبيعي ، لأن الإسلام دخل لبلاد السودان الغربي عن طريق المغرب ، فحمل معه الثقافة والتقاليد المالكية ، حيث كانت كافة العلوم تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه ، وتساعد على فهم ثقافته الإسلامية ، التي كانت بدايتها الأولى في القيروان ، ثم انتقلت إلى المغرب الأقصى ، ومنها إلى السودان الغربي ، فقل أن تجد في السودان الغربي مذهباً إلا مذهب الإمام مالك ،

1- محمد الفران ؛ المرجع السابق ، ص 136 .
2- اسماعيل العربي : معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ، دار الآفاق الجديدة ، (المغرب ، 1993 م) ، ص ص 325 ، 326 .

وكافة فقهاء المغرب مالكيون في عاداتهم وتقاليدهم وإنتاجهم العلمي ، وطريقة تدريسهم ، فتأثر بهم فقهاء السودان الغربي ، حتى كادت مدارس السودان الغربي أن تكون مدارس مغربية ، فعندما تكون بها تلاحظ كأنك في القيروان أو في فاس ، وذلك من حيث الأسلوب والكتابة ، والكتب فهي أيضا مالكية مغربية من بينها كتاب القاضي عياض ، وسحنون ، وشروح ابن القاسم ، وخليل ، والمغيلي ، والونشريسي ، وموطأ مالك ، والمدونة[1] ، وما يؤكد ذلك أن تنبكتو ، وهي أهم المراكز الثقافية السودانية ، نشأت على المذهب المالكي ، الذي لم يدعُ إلى أي بدعة أو خروج عن الكتاب والسنة النبوية، ومن أشهر فقهاء المالكية في السودان الغربي ، الفقيه صالح بن محمد بن داود الباقوري[2] .

ج- إتباع طرق التعليم المغربية :

1- التعليم الابتدائي (المدرسة القرآنية) :

كان التعليم في بلاد السودان الغربي يبدأ بتحفيظ القرآن الكريم للطلاب صغار السن في الكتاتيب[3] ، والمساجد ، والزوايا التي انتشرت بشكل واسع بين مدن وقرى المنطقة[4] ، وقد بين ابن بطوطه حرص أهالي السودان الغربي على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم ، ولو دفعهم الأمر إلى ضربهم وتقييدهم[5] ، ويبدأ ذلك حوالي السنة الخامسة ، وحتى مرحلة الصبا[6] .

كما يتزود الطلاب في هذه المرحلة بعلوم أخرى مثل القراءة والكتابة[7] ، ويتم تدريسهم بمدارس ملحقة بالجامع ومناطق قريبة منه أو حتى تحت ظلال الأشجار ، وهذا ما كان سائدا تماما في بلاد المغرب من حيث تعليم القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم[8] .

1- مرجعا : المصدر السابق ، الورقة 255 .
2- أحمد فتوح عابدين : المرجع السابق ، ص 280 .
3- الكتاتيب : هي أسبق أنواع المعاهد وجودا في العالم الإسلامي واشتق اسمه من التكتيب وهي تعليم الكتابة وقد انتشرت انتشارا واسعا في بلاد المغرب العربي لغرض نشر الإسلام فامتدت من طنجة بالمغرب الأقصى إلى درنة في ليبيا وتخرج منها أفذاذ العلماء مثل ابن خلدون = محمد الصادق عفيفي ومحمد تاويت : المرجع السابق ، ص ص 85 ، 87 .
4- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 199 .
5- المصدر السابق ، ص 402 .
6- جميلة إبحمد التكتيك : المرجع السابق ، ص 167 .
7- المرجع نفسه ، ص 168 .
8- أحمد مصباح الأحمد : تاريخ العلاقات العربية الأفريقية ، دار المتلقي ، (بيروت ، 2001 م)، ص 217.

وقد كان أهالي السودان الغربي يحرصون كل الحرص على أن يتعلم أبناؤهم القراءة والكتابة ، ويظهر ذلك جليا من احترامهم للمعلم وإكرامهم له بمنحه بعض العطايا التي تساعد على رفع مستواه العلمي والاقتصادي ، لأن عددا كبيرا من أعلام السودان الغربي يدرسون الطلاب لا لأغراض مادية ، وإنما لكسب الأجر والثواب[1] . وقد بين ذلك الحسن الوزان في إشاراته بهذا الشأن حين قال : " ... وحينما يصل الطفل إلى إجادة جزء لا بأس به من القرآن يجب على أبيه تقديم هدية معينة للمعلم ... "[2] ، كما تحدث الوزان في الأجازة الأسبوعية للتعليم الابتدائي فقال: " ... ولهؤلاء الأطفال شأن طلاب المعاهد يومان في الأسبوع للراحة لا يكون في أثنائها تعليم ولا دراسة ... "[3] ، أما فيما يخص اجتياز معلمي هذه المرحلة ، فيتم من بين الدعاة والفقهاء القادمين من بلاد المغرب إلى أن تم توثيق الثقافة الإسلامية هناك ، فبدأ الاختيار لهذه المرحلة من بين المعلمين الأفارقة الذين تولوا مهمة التعليم في المرحلة الابتدائية ، بسبب إتقانهم للغة العربية لغة الدين والثقافة[4].

2- مرحلة التعليم الثانوي :

إن الدخول في هذه المرحلة التعليمية لا يشترط سنا معينة ، بل كانت مفتوحة لكل طالب يجتاز مرحلة التعليم الابتدائي بنجاح[5] ، وتدرس خلال هذه المرحلة مناهج واسعة منها على سبيل التمثيل النحو واللغة العربية والحديث والتفسير والتجويد والحساب[6] ، وقد كانت مدينة تنبكتو من أشهر الأماكن التي احتضنت مدارس التعليم الثانوي المتمثلة في المساجد وملحقاتها[7] ، وكان جامع الونكريين[8] أكثرها اكتظاظا بالطلبة والمعلمين[9] ، بالإضافة إلى جامع (فرمير)[10] ، أما طريقة التدريس فتقوم على النقاش بين المعلم وطلابه ، ولم تحدد

1- جميلة إبحمد التكنيك : المرجع السابق ، ص 169 .
2- المصدر السابق ، ج2 ، ص 264 .
3- المصدر نفسه .
4- جميلة إبحمد التكنيك : المرجع السابق ، ص 170 .
5- المرجع نفسه ، ص 170 .
6- أحمد مصباح الأحمد : المرجع السابق ، ص 117 .
7- جميلة إبحمد التكنيك : المرجع السابق ، ص 170 .
8- جامع الونكريين : درس فيه العالم شاقوا الونكري الذي ولاه الاسكيا محمد قضاء المدينة = موسى كمراء السعدي ، المصدر السابق ، الورقة 280 .
9- جميلة إبحمد التكنيك : المرجع السابق ، ص 171 .
10- جامع فرمير : يقع في منطقة فرمير في دولة برنو بالسودان الأوسط = بيتر ، المصدر السابق ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، معهد الدراسات الإفريقية بجامعة الدول العربية ، (ليبيا ، 1996 م) ، ص166.

بفترة معينة ، ولا تتم الإجازة لأي طالب إلا بعد التأكد من استيعابه لكافة المواد المقررة[1] .

3- مرحلة التعليم العالي :

لا توجد اختلافات تذكر بين مرحلتي التعليم الثانوي والعالي ، من حيث السن القانونية للدراسة مع بعض الاختلافات البسيطة في موادها والتوسع فيها ومكانها داخل المساجد ، حيث يعد مسجد سنكرى أشهرها في التعليم العالي ، أما من ناحية المنهج الذي يتم تدريسه ويختلف عن التعليم الثانوي ، وذلك من حيث الاختصاص في أحد فروع المعرفة والتفصيلات الواسعة في المجال الذي تم اختياره ، وتدرس هذه الموضوعات اعتمادا على أمهات الكتب[2] المأخوذة من بلاد المغرب العربي، مثل كتب عياض، وسحنون، وشروح ابن القاسم، والونشريسي[3]، والخزرجية ، والمدونة ، وهي نفس المصادر التي تدرس في الجامعات المغربية[4]، ولم تكن الدراسة العليا محدودة بفترة زمنية معينة ، بل كانت تنتهي بمجرد أن يتمكن الطالب من استيعاب عدد معين من كتب الفقه والحديث والمنطق والنحو ، وربما يستغرق الطالب فترة ثلاث سنوات[5] ، أو يزيد في قراءة كتاب واحد مثل موطأ مالك ، وهذا ما أكده السعدي حين قال : " ... وختمت عليه الموطأ قراءة فهم وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتحقيق مرة بثلاث سنين ... "[6] .

4- نظام منح الإجازات :

يبنى نظام الإجازات العلمية على التفوق في المواد الدراسية لدى الطلاب ، فقد كان الأستاذ إذا رأى أحد طلابه قد تمكن من تفهم أحد المواد التي درسها على يديه فهماً وافياً ، أجازه فيها بخط يده ، وهذا ما تبين من كلام السعدي عن إجازته التخصصية فقال : " ... وباحثته كثيراً في المشكلات وراقبته في المهمات ، وبالجملة فهو شيخي واستاذي ، ما نفعني أحد كنفعه .. وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه ... "[7] .

1- أحمد مصبح الأحمد : المرجع السابق ، ص 218 .
2- جميلة إبحمد التكتك : المرجع السابق ، ص 171 .
3- مرحبا : المصدر السابق ، الورقة 255 .
4- السعدي : المصدر السابق ، من ص 29 ، 36
5- جميلة إبحمد التكتك : المرجع السابق ، ص 172 .
6- المصدر السابق ، ص 46 .
7- المصدر نفسه ، ص 46 .

كما حرص سلاطين السودان الغربي على إرسال البعثات التعليمية إلى مراكز العلم والثقافة ببلاد المغرب ، أمثال القيروان ، وفزان ، وطرابلس ، وفاس ، وغدامس ، ينهلون من علمها ثم يعودون إلى أوطانهم لغرض نشر الإسلام وثقافته . ويتم لهم ذلك بعد حصولهم على الإجازات الدراسية في مراكز السودان الغربي[1] .

د- الاحتفال بالمناسبات الدينية :

1- الاحتفال بشهر رمضان المبارك :

لبلاد السودان الغربي شعائره الدينية الخاصة قبل انتشار الإسلام ، ومن بينها الاحتفالات السنوية التي تقام تعظيماً لآلهتهم .

ومن أهم مراسم الاحتفال شرب الخمر وتلاوة الأدعية ، وتقديم الضحايا مثلا عند جني المحاصيل يقومون احتفالاً لإله الحصاد ، وعند سقوط الأمطار لإله المطر[2] ، إلا أنه بدخول المؤثرات الإسلامية قلت العادات الوثنية وانحصرت في مناطق محدودة ، وأصبحت الاحتفالات الدينية أكثر ظهوراً ، ومن بينها الاحتفال بشهر رمضان المبارك ، ويبتدئ ذلك منذ بزوغ الشهر الكريم بعد أن يتجه أحد العلماء الثقات إلى المشورة للتبليغ عن حلوله ، ويبدأ من ذلك اليوم العلماء والفقهاء بالصلاة وسرد صحيح البخاري بالجامع الكبير ، ويستمرون على ذلك إلى إتمام الشهر[3] ، كما يتم سرد كتاب الشفاء للقاضي عياض ، وربما يشرح جزءاً منه للأطفال لكسب الأجر والثواب[4] .

ويدل هذا على أن أهالي السودان الغربي تأثروا كثيراً بتعاليم الدين الإسلامي الوافدة من بلاد المغرب ، الذين يعتبرون شهر رمضان شهر توبة وغفران الذنوب، لذلك كانت أفعالهم تتشابه إلى حد كبير بما هو موجود في بلاد المغرب ، فقد يأتون إلى أبواب المساجد قبيل موعد الإفطار يحملون معهم التمر والخبز ، ليتم توزيعه على الفقراء وعابري السبيل[5] ، وليلة القدر هي الأخرى لها مكانتها الخاصة ، ففي هذه الليلة المباركة يتم طهي الطعام وحمله إلى المساجد ، لغرض إطعام المشاركين

1- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 200 .
2- المرجع نفسه ، ص 220 .
3- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 378 .
4- السعدي : المصدر السابق ، ص 267 .
5- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 378

في تلاوة القرآن الكريم[1] ، وازدادت العادات الإسلامية رسوخا في بلاد السودان الغربي، بسبب الوجود المغربي ، وكثرة المغاربة بالمنطقة، فهي من ضمن الأسباب التي ساعدت على إزالة العادات الوثنية، وترسيخ مبادئ الدين الإسلامي[2].

2- الاحتفال بالعيديـن :

يبدأ الاحتفال بعيد الفطر المبارك بمجرد سماع صوت الطلقات من مدافع تنبكتو التي خصصت لهذا الغرض ، وهي أيضا من ضمن العادات الموجودة في بلاد المغرب ، وانتقلت عبر المؤثرات الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي[3] .

ويخرج في صباح يوم العيد الأهالي إلى الساحات العامة ، لإقامة صيلاة العيد بعد ارتدائهم أجمل ما لديهم من ثياب بيضاء ابتهاجا بهذه المناسبة ، وبعدها تتم المصافحة بين الجميع تعبيرا عن الصلح والمودة والتسامح السائد في مجتمع الإسلام بالسودان الغربي[4] .

أما عيد الأضحى ويبتدئ بأصوات طلقات الابتهاج من أبراج القصبة بتنبكتو ، وتتأثر المدن الكبرى بما هو موجود في بلاد المغرب من مراسم الاحتفالات التي من بينها ، خروج الباشا لتأدية صلاة العيد[5] ، ويرافقه فيها بعض رجال الدولة من قادة وجند ثم تنحر الضحايا ابتهاجا بهذه المناسبة الدينية[6] .

3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

أخذت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف طابعا مغربيا ، وخاصة في المدن الكبرى مثل تنبكتو وجني ، التي يخرج سكانها إلى الشوارع مادحين النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشكل جماعي ، ويتم ذلك بضرب الطبول مع مشاركة النسوة ، كما تقام حلقات المديح داخل الجوامع والأربطـة[7] ، والزوايا الصوفية التي يتم تزيينهـا

1- أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 162 .
2- مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 378 .
3- المرجع نفسه ، ص 379 .
4- ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص 399 .
5- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 379 .
6- السعدي : المصدر السابق ، ص 59 .
7- الأربطة : هي عبارة عن ثكنة تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية تنتهي بجامع كبير ، تستخدم كدار للمسافرين ومدرسة للمرحلة الثانية ، وحراسة الثغور ومكان لتعليم الحديث والفقه = محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت ، المرجع السابق ، ص 94 .

بطرق تختلف عما كانت عليه في الأيام المعتادة ، وتستمر هذه الاحتفالات إلى الثلث الأخير من الليل[1] ، ومن أهم الجوامع التي يتم فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم الجامع الكبير[2] ، حيث يتم الاحتفال به بتقديم الموائد للمادحين ، ومن بين القائمين بذلك أبو القاسم التواتي القادم من توات ، واستقر في تنبكتو ، وكان أحد أئمة الجامع[3] ، ويذكر مرحبا أنهم يتجمعون لمدح النبي صلى الله عليه وسلم في مكان يعرف (كلصخ[4])[5] .

هـ - الفـــن المعمـــاري :

كانت البيوت والدور العامة في بلاد السودان الغربي قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي مكونة من أغصان الأشجار على شكل خيام[6] ، ثم تطورت حتى أصبحت تبنى من الطين وسقوفها من التبن ، وتطور البناء مع تطور العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، وأصبحت العديد من المنازل ، وخاصة بيوت السلاطين تبنى بأشكال هندسية متنوعة ، حيث أخذ بعضا منها نظام الأقواس، والبعض الأخر الرسومات الزخرفية والنقوش الإسلامية[7] ، كافة هذه المؤثرات الإسلامية دخلت لبلاد السودان عن طريق المهندس المعماري أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الغرناطي الذي دخل إلى السودان الغربي عام (724هـ /1324 م) ، واستقر بمالي إلى حين وفاته عام (747 هـ/1346 م) ، حيث أدخل لبلاد السودان الغربي أساليب البناء الأندلسي – المغربي ، وخاصة في تشييد الجوامع والقصور الإسلامية[8] ، وقد شارك عبد الله الكومي الغدامسي المهندس الساحلي في تشييد العديد من المباني ، ومنها جامع سنكرى ، الذي شيداه على الطراز المغربي ، ولم يقتصر التأثير الإسلامي على القصور والمساجد ، وإنما امتد

1- أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 156 .

2- عبد الحميد الهرامة : تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الرابع ، (طرابلس ، د.ت) ، ص 233 .

3- السعدي : المصدر السابق ، ص 59 .

4- كلصخ : يذكر مرحبا أنه عندما وصل الشريف أحمد الصقلي لبلاد السودان الغربي أنزلوه بمكان يسمى بسوكر ثم قدموه إلى المصلى فصلى بهم العيد ، وعندما رجعوا إلى المكان وجدوا أثار البعير فأمروا ببنـاء هـذا المكـان وسموه كلصخ واتخذه أهل تنبكتو موضعا يمدحون فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الأيـام المعظم = المصدر السابق ، الورقة 74 .

5- المصدر نفسه .

6- السعدي : المصدر السابق ، ص 21 .

7- سطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ص 373 .

8- أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 123 .

إلى أقامة العديد من المتاجر ، حيث قام التجار العرب الذين استقروا هناك ببناء متاجرهم[1] .

كما قام المعماريون المغاربة بتخطيط مدينتي جاو وجني ، حيث امتازتا بالشوارع الضيقة والمنازل ذات الأسطح العالية والأبواب الكبيرة ، وهذا من مميزات الفن المعماري المغربي ، وفي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي قام المهندس معلوم إدريس المراكشي ببناء مسجد لمدينة جني ومزج فيه ما بين الفن العربي والأفريقي ، وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، قام أحد المعماريين الأفريقيين وهو محمد فادى ، الذي تعلم فن البناء والتشييد في المغرب ، ببناء المسجد الجامع في تنبكتو[2] .

وربما يدل ذلك على عادة الملوك والسلاطين الذين يرغبون بطبعهم في بناء البلدان ، وتشييد القصور حتى يتركوا آثارهم لمن بعدهم ، وهذا ما عبر عنه الثعالبي في بعض الأبيات الشعرية التي أخذها عن بعض الملوك :

إنَّ آثارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَـــــا فانْظُرُوا بَعْدَنَا إلى الآثَارِ[3]

1- مطير محمد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 204 .

2- المرجع نفسه ، ص ص 205 ، 206 .

3- أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي : آداب الملوك ، تحقيق جليل العطية ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1990 م) ، ص 113 .

رابعاً : الأثـر التجـاري :

حدثت تطورات في مجال الحركة التجارية بين المغرب العربي والسودان الغربي في العديد من مجالاتها ساعدت عليها العديد من الظروف أهمها :

أ- تأمين طرق القوافل :

لقد نتج عن انتشار الأمن والاستقرار في بعض عهود دولتي مالي وسنغاي الإسلاميتين كعهد منسى موسى ، والاسكيا محمد الكبير ، اللذان اهتما بتحسين العلاقات التجارية مع بلاد المغرب ، بالإضافة إلى ما حصل من تنظيم إداري في عهد المغاربة بالسودان الغربي الذين نشروا الأمن والنظام بالمنطقة ، وهذا بدوره أدى إلى اختفاء قطاع الطرق[1] ، الذين يقومون السطو على القوافل التجارية الرابطة بين البلدين ، وهذا ما أدى إلى إقبال التجار على نقل البضائع المختلفة بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وأخذت التجارة تزداد يوماً بعد آخر ، وخاصة بعد استيلاء السلطان أحمد المنصور الذهبي على مناجم الذهب والملح والنحاس ، على اعتبار أن حكم الشرع ينص بذلك ، وأصبحت تدار بطرق منظمة ، ووكلت حراستها للجيش المغربي .

ونتج عن كل ذلك ظهور العديد من الأسواق الكبرى تعقد حسب ذهاب وإياب القوافل التجارية ما بين البلدين ، كما وجدت أسواق يومية في المدن الكبرى ، وما زاد ازدهار الحركة التجارية ظهور العديد من الصناعات ، وتقدمها بعد قدوم أعداد هائلة من ذوي الحرف الصناعية من بلاد المغرب أثناء قدوم الحملة المغربية لسنغاي[2] .

ب- ظهور الوكلاء التجاريين :

لقد شهدت بلاد السودان الغربي نظام الوكالات التجارية ، بسبب ازدهار الحركة التجارية بين أقطار المغرب العربي والسودان الغربي ، منذ بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، ومن أشهر الأسر العربية التي ساعدت على ترسيخ هذا النظام أسرة آل المقري ، الذين شكلوا ما يعرف بالوكالة التجارية[3] .

1- محمد رزوق : العلاقات العربية الأفريقية في القرن السادس عشر ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبين ، (طرابلس ، 1985 م) ، ص 89 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 89 ، 90 .
3- مطير سعد عبيد : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 154 .

وأقاموا لها ثلاثة مراكز رئيسية في كل من تلمسان وولاته وسلجماسة ، وكانت مهمة الوكيل المقيم بسلجماسة عقد الصفقات التجارية ، واستقبال البضائع الواردة من المغرب العربي وأوروبا ، ويتم إرسالها إلى تلمسان ، ومن ثم يتم تحويلها إلى ولاته لترويجها ببلاد السودان الغربي في الوقت الذي يقوم فيه وكلاء ولاته بتجميع المنتجات من بلاد السودان أمثال الذهب والرقيق والجلود والعاج وإرسالها إلى سجلماسة، لتنتقل إلى شمال المغرب العربي ومنها إلى دول أوروبا[1].

وقد أثبتت الوثائق السودانية بتنبكتو ظهور الوكالات التجارية هناك ، ويتضح ذلك في ذكر بعض المراسلات التي تمت بين تجارها ، حيث أرسل الحاج صالح غلامه محمد الاكحل إلى أحد التجار الغدامسيين ، السيد عيسى بن حميد الغدامسي ، يبين فيه بأنه وكله على جميع الأمور في وكالاته في حياته ، وبعد مماته كتاباً وسنة وإجماعا[2] .

ج- أساليب التعامل التجاري :

تعددت نظم التعامل في السودان الغربي وانقسمت إلى عدة أقسام هي :

1- المقايضة :

هي استبدال بعض السلع والمواد الغذائية بعضها ببعض دون استخدام العملة، مثل استبدال القمح بالشعير[3] .

وفي ذلك يذكر ابن بطوطه الذي زار المنطقة خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، طريقة المقايضة في السودان الغربي فيقول : "... والمسافر بهذه البلاد ، لا يحمل زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً ، إنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج ، الذي يسميه الناس النظم ، وبعض السلع العطرية ... فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بأتلى[4] ، واللبن والدجاج والدقيق ... فيشتري منهم ما أحب من ذلك ... "[5] .

1- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 154 .

2- مجهول : مركز أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو ، مالي، رقم التصنيف 400، الورقة 1 ، انظر الملحق رقم 12 .

3- أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تخريج محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي،(بيروت ،1581 م)، مج5 ،10، ص ص 236،436 .

4- بأتلى : نوع من الحبوب = ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص 392 .

5- المصدر نفسه ، نفس ص 395 ، 396 .

كما كان أهالي المغرب العربي يأتون لبلاد السودان الغربي ، وصولا إلى نهر السنغال حاملين كميات الملح التي يتم استبدالها بالذهب المتوفر كثيرا في بلاد السودان الغربي[1] .

2- العمـــــلات :

أ- النقود الذهبية :

لقد عرفت بلاد المغرب العربي العملة المتمثلة في الدرهم ، منذ فترة دولة الأغالبة وبالتحديد في عصر زياده الله الأول[2] عام (201 - 223هـ /816 - 837 م) ، كذلك عرفت بلاد السودان الغربي النقود الذهبية منذ فترات مبكرة ، وهذا ما تبين من إشارات البكري خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميـلادي ، الذي يبيـن استخدام الدينـار في تادمكـة ، وفي ذلـك قـال : " ...ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة "[3] ، وربما يكون وزن الدينار السوداني على نفس وزن الدينار المغربي ، وهو مثقال واحد من الذهب يساوي دينار[4] ، وقد ذكر الوزان أن أهالي السودان الغربي يتصارفون بالذهب غير المسكوك ، وفي ذلك قـال : " والعملة الرائجة عند هؤلاء السودانيين هي الذهب غير المسكوك "[5] .

ب- النقود الفضية والنحاسية :

لقد ذكر ابن بطوطه بعض الإشارات التي تبين استخدام هذه النقود ببلاد السودان الغربي ، وفي ذلك قال: " إن أهل السودان يتصارفون بالذهب والفضة "[6] أما التعامل بالنقود النحاسية ، فقد كان واضحا حسب ما ذكره أن النحاس الذي يستخرج من تكده " ... صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف ، بعضها رقاق وبعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب ، وتباع الرقاق بحساب ستمائة مثقال ، وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح "[7] .

1- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 146 .
2- أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم ومن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، (بيروت،1983 م)، ص360.
3- المصدر السابق ، ص 181 .
4- مطير سعد غيث : التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي ، ص 147
5- المصدر السابق ، ج2 ، ص 163 .
6- المصدر السابق ، ص 406 .
7- المصدر نفسه .

ج- الصكـوك :

هي قطعة أو مستند رسمي من الورق ، يسجل عليه مبلغ من المال[1] ، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير وصل الأمانة والصكوك في الوقت الحاضر ، وهي كلمة فارسية الأصل مفردها صك[2] ، من ضمن العملات التي تسربت إلى بلاد المغرب وانتقلت بعدها لبلاد السودان الغربي ، ويتبين ذلك فيما أورده ابن حوقل حينما قال أنه شاهد صكاً بمنطقة أودغست مكتوب عليه مبلغ لأحد التجار من سجلماسة بقيمة اثنين وأربعين ألف دينار[3] ، (42.000) .

3- الأوزان والمكاييل والمقاييس :

انتقلت وحدات القياس المختلفة لبلاد السودان الغربي ، عن طريق حركتها التجارية مع بلاد المغرب العربي ، إلا أنها لم تكن بالدقة التي وجدت فيها بعد الاحتلال المراكشي لدولة السنغاي الإسلامية ، حيث تم فيها تطبيق الضوابط التجارية ، وسادت بين البلدين ، وأصبحت تخضع للمراقبة القانونية .

أ- الموازيـــن :

يعد المثقال من ضمن وحدات القياس ، ويستخدم لوزن المعادن ، ويقدر وزن المثقال بحوالي أربعة جرامات ذهب[4] ، ويقدر مثقال الذهب الواحد بثلاثة آلاف ودعة ، ويساوي الدرهم سبعة أعشار المثقال[5] ، ويساوي الدينار أربعين درهما[6]، ويساوي أيضا ستة أوقيات من الذهب تقريبا ، وتزن الأوقية الواحدة سبعة وعشرين ونصف جرام[7] ، وقد أثبتت الوثائق في بلاد السودان الغربي استخدام المثاقيل في المعاملات التجارية بين البلدين ، وما يؤكد ذلك ما كان للبكاى بن عيسى الغدامسي في ذمة الأمين بن عبد الله ابراهيم ، ما يقدر بمائة مثقال من الذهب[8] .

1- أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (القاهرة ، 1980 م) ، ص 196 .

2- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب المحيط ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، مج 10 ، ص 457 .

3- المصدر السابق ، ص 96 .

4- محمد الغربي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 434 .

5- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 337 .

6- الشيخ لامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 93 .

7- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 337 .

8- مجهول : مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، بدون تصنيف ، انظر الملحق رقم 13 .

ب- المكاييـــل :

لتقييم كميات الحبوب استخدمت العديد من الوحدات لهذا الغرض منها :

المد ويساوي أربعة أمداد بجمع اليدين ، والصاع يقدر بأربعة أضعاف المد ، ويعادل ثلاثة كيلو جرامات ، كما تساوي المرطه أربع صاعات ، ويقدر القنطار بمائة رطل تقريبا ، كما قدرت في تلك الفترة الحبوب بوحدة تسمى الصينية ، وهذا ما شاع في عهد الاسكيا داوود ، ويوزن الملح بوحدة تعرف بالملسة ، أما التمر فيقدر بالحمل[1] ، ويتم قياس الزرع قبل حصاده بالقبضة[2] .

ج- المقاييـــس :

استخدمت المقاييس في العديد من الأغراض كمعرفة طول الأرض ، والأقمشة ، ومنها الشبر ويساوي الامتداد ما بين الخنصر والإبهام عندما تكون الكف مبسوطة[3] ، وقدر بحوالي واحد وعشرون سم ، أما الذراع فهو ما يمتد بين عقد المرفق ونهاية الوسطى ويساوي خمسين سم تقريبا ، واستخدم الميل في قياس المسافات ، وتم تقديره بالمتر ، وتقاس المسافات البعيدة بوحدة تسمى الفرسخ ويساوي ثلاثة أميال ، واستعمل الرمح لقياس مياه النهر .

كما كان البريد أحد وحدات القياس ، يساوى المسافة التي تقدر بسير ساعة بالحصان المسرع[4] ، وهكذا انتقلت وحدات القياس السالفة الذكر من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي ، وهذا في حد ذاته يؤكد العلاقات التجارية بين البلدين ، ويزيد من أمنها واستمرارها .

1- الشيخ لامين عوض الله : المرجع السابق ، ص 93 .
2- البلدي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 337 .
3- الشيخ لامين عوض الله . المرجع السابق ، ص 93 .
4- البلدي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص 338 .

الخاتمـــــة

الخاتمـــة

لقد نتج عن هذا المد الحضاري الرائع الذي ربط بين شمال القارة الأفريقية وجنوبها ، وجعل من أجناسها المختلفة تتضامن تجاريا وثقافيا ، يتبين لنا في صورته النهائية في العديد من النتائج أهمها :

أولاً : للموقع الجغرافي والتشابه المناخي في كل من المغرب العربي والسودان الغربي مميزاته الإيجابية التي ساعدت أهالي المغرب على أن يرتحلوا لبلاد السودان الغربي ، إضافة لما امتازت به من إمكانيات أهلتها لجذب سكان المناطق المجاورة لها .

ثانياً : ترجع العلاقات بين المغرب العربي والسودان الغربي منذ أزمنة بعيدة ، وحتى قبل انتشار الإسلام بالسودان الغربي ، بسبب تسرب العديد من التجار المغاربة عبر الصحراء الكبرى، لما تتمتع به من ثروات طبيعية هائلة كمعدني الذهب والنحاس ، وهذا بدوره أدى للاختلاط بين العناصر العربية المغربية ، والعناصر الزنجية ، وازداد الارتباط بعد انتشار الإسلام فأصبحت مهمة التجار مزدوجة ما بين دينية ومادية .

ثالثاً : أثبتت الدراسة أن أهالي السودان الغربي عندما اعتنقوا الإسلام ونبذوا الخرافات البالية التزموا بالعقائد الدينية والأخلاقية ، كما هو سائد تماما في المناطق العربية المغربية .

رابعاً : للطرق الصوفية دورها الواضح في انتشار الإسلام والثقافة العربية ببلاد السودان الغربي ، كالطريقة القادرية .

خامساً : لقد أفادت الدراسة أن الطابع الثقافي ، الذي ساد بلاد السودان الغربي ، مغربي السمات فالأنظمة التعليمية المتبعة هي نفس النظم السائدة في بلاد المغرب ، وذلك من حيث المراحل التعليمية ، ومناهج الدراسة .

سادساً : تأثر أهالي السودان الغربي بالمذهب المالكي المعروف بانتشاره الواسع ببلاد المغرب ، وبدأ ذلك منذ دخول المرابطين للمنطقة خلال القرن الخامس

الهجري/الحادي عشر الميلادي ، واستمر بفضل العلماء والفقهاء والمعلمين المغاربة ، الذين ارتحلوا هناك .

سابعا : لقد نتج عن الترابط الثقافي بين أعلام المغرب ، وبلاد السودان الغربي خلق جيل جديد من كبار العلماء السودانيين ، الذين نالوا شهرة عالية ومقدرة علمية، شاركوا بها في حركة التأليف في العديد من أفرع المعرفة ، كتفسير القرآن وعلم الكلام والمنطق وعلم اللغة وغيرها من العلوم الأخرى .

ثامناً : انتقلت إلى بلاد السودان الغربي العديد من الأنظمة ، التي كانت سائدة ببلاد المغرب ومنها على سبيل التمثيل السياسية كولاية العهد ، وتكوين الجيش وحركة الجهاد الإسلامي .

تاسعاً: حدث تغير في أساليب التعامل التجاري بين البلدين،وهذا ما ساهم بدور كبير في اتساع نطاق العلاقات التجارية والثقافية بينهما، وخاصة بعد أن دخلت على بلاد السودان الغربي أنظمة أكثر دقة في المعاملات التجارية ، مثل المكاييل والموازين .

عاشراً : قبول أهالي السودان الغربي للإسلام وحضارته ، وربما يكون مرد ذلك إلى عدة أسباب من بينها :

أ- ما جاء به الإسلام من تعاليم دينية ، ساوت بين العبد والحر والفقير والغني ، فهذا ما جذبهم للدخول في الإسلام وإتباع مبادئه .

ب- دخول سلاطين السودان الغربي للإسلام ، ورغبتهم في كسب العديد من العلوم والمعارف الإسلامية .

ج- ارتحال أعداد هائلة من العلماء وفقهاء الدين من المغرب العربي وصولا إلى السودان الغربي زاد رغبتهم في التفتح الديني ، والثقافي على الحضارات الأخرى ، والتي أهمها الحضارة المغربية ذات المذهب المالكي .

الحادي عشر :

تركت العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين أثرها الواضح في تعديل العديد من أفرع الجانب الاجتماعي ، كنظام الأسرة وتطبيق الشعائر الدينية ، والآداب الإسلامية من حيث المأكل والملبس والاحتفالات الموسمية .

Preface

Since its establishment in the Arab peninsula , the first Islamic nation strengthened its relations with its neighbors . after spreading the Islamic culture all over the world . the Umayyad state , that preceded the first Islamic nation followed its steps, and it had a great deal in this field especially in north and south of African continent which known then as the Islamic conquest , that lead to the merging of Islamic and African peoples , and lead to formation of Islamic states and groups , this happened at the time of Moawea ben Abu soufian who sent the Arabic conqueror Okba ebn Nafee to spread Islam and its culture to western Sudan , that lead to formation of the Fulani tribes as a result of mergence between Arab Islamic army with Moslems of south west Africa .

Islam has put its first routes in Northern Africa known as Maghreb , therefore its culture where stronger than in the southern regions , especially during the 5th hegira – 11th A.corian where many Islamic sects appeared , as Almoravide , where its first establisher Abdullah Ibn Yassin traveled to western Sudan , established a branch , and started calling on people to follow Islam and teaching Arabic language and Quran , this resulted in commercial and cultural solidarity between Maghrib Arab and western Sudan .

This is what really happened , especially after the fall of the pagan state of Ghana and the formation of Islamic Kingdom of Mali instead , and they formed the Islamic centers which took the role of commercial and cultural mediator between Maghrib Arab and Eastern Sudan.

A- Importance of Study :

The study of commercial and cultural relation between the Maghrib Arab and eastern Sudan considered as one of the most important subjects , that still need accurate and developed researches , especially if the researcher had the means of field visits , nevertheless , the researcher hopes that she were able to show some of the historical facts that proved the commercial and cultural relations between the two countries .

B- Reasons for choosing this subject :

Many reasons made the researcher to choose this subject : '

1- The study of commercial and cultural relations between the two countries , during middle ages with a new view , strengthens the continuity between Moslems more deeply and inclusively.

2- Wishing to deal with subjects related to Moslem Arab life of the Maghrib Arab in the middl ages . and the beginning of his social mergence . which started by the spreading of Islam . wher the Moslem merchant dealt friendly with the black merchant in western Africa . although , it preliminary motives were to gain money , but lead spontaneously to the spreading of Islam their .

3- lack of studies specialized in proving the commercial and cultural relations between Maghril and eastern Sudan at the mentioned period of time .

C- Reasons of choosing the time period :

The time period chosen between 8^{th} – 10^{th} hegira / 14^{th} – 16^{th} A.corian , for the followin reasons :

1- Fall of the state of the pagan state of Ghana by Almuravides , and the rise of Islamic kingdom of Mali instead.

2- This period is one of the most prosperous periods commercially and culturally betweer Maghrib and Eastern Sudan countries.

D- Aim of Study :

This study aims at answering many questions as :

1- Are the environment and the demographic factors considered as one of the preliminary motives , which participated in tying the general relation between the Maghrib arab and the Eastern Sudan ?

2- What are the most imminent factors that helped in crystallizing commercial and cultural ties between the two countries .

3- What are the most important commercial and cultural centers inside the Maghrib and eastern Sudan . and weather it had a role in strengthening relations between them ?

4- How did the cultural classes like scientists and religious scientists helped in enriching the Islamic libraries with many Arab African books ?

5- what are the commercial and cultural effects that appeared clearly in Sudan countries .

E- The followed Method :

In this study , the researcher some times followed the methodology of relating events , and in other times followed the analyzing . and comparing methodology . according to the needs of the researche.

F- Study problems :

In preparing this research . The researcher faced many problems as :

1- Most of the Writings that she made use were not limited to the time limit in relating the subjec . for example when she wanted to write about the commercial caravan routs that the merchant followed , she found that the references were old . and since the commercial routs are changing from time to time . there fore , the writer must take this into account .

2- Some of writers at the scientific centers , who had wide experiences and great potentials , did not care about what the researchers are suffering from , and did not help him in finding solutions to problems , this lead to incapacity of many studies.

G- previous studies :

The previous studies are important concerning the university researches . especially in higher studies . they show to researcher the most important events during that time . and knowing the time period of writing . therefore the researcher relied on many of them . as :

1- **Islamic capitals in western Africa between the 16th and 17th A.corian centuries** . unpublished doctorate theses . in the African studies institute Cairo . 1989 . **Ahmid Fotooh Abdeen** . it dealt with relations between Arab counties in east and north of Africa . and the effect of its prosperous culture on western Sudan countries . it dealt with the last century of this study . which had many proofs of commercial and cultural relations between the two countries .

2- **Arab Islamic effect in western Sudan between the 14th and the 16th centuries** . Arruad house . Beirut . 1996 **Emter Saad Ghaith** . this book is very accurate and conclusive and relates incidents in a definite period of time . its one of the rare contemporary books . the researcher benefited of many of its subject especially chapter five.

3- the Symposium of cultural and social continuity between the African countries on the to sides of the Sahara . Faculty of Islamic Call . Tripoli . 1998 . a group of professors . the symposium contained a lot of valuable articles . most of the subject that it dealt with is inside the timely framework of this study . also its one of most valuable symposiums which the researcher needs that deal with the African Arabic relations in general . because it shows the concern of the Arabic writers of the eastern side of the African continent and the cultural solidarity among them .

4-The Islamic Arab culture and its effect on Western Sudan , during the 10th and 11th Hegira 16th and 17th A.corian centuries . the Islamic orbit House , Beirut , 2005 , Emter Saad Ghaith Ahmed . this book has important and valuable information , that deal with the cultural effect by the Arab Islamic culture of the Eastern Islam and north Africa on the eastern Sudan countries , the author visited the Eastern Sudan and took the information from its original sources , which are many of Sudanese documents and manuscripts , the researcher benefited from this book in his study until the fifth chapter.

II- Study of research references :

The researcher , in this study , benefited from many important documents , manuscripts , and references as follows :

1- Document :

one of the most important documents mentioned in this study , some correspondences between the two countries ,their contents proves the strong relations between them :

a- A letter from Hadj Abdurrahman Ibn Elhadj Ali from Timbuktu to Issa Ibn Ehmed Elgudamsi , explaining the importance of camels as one of the transportation means between them.

b- A document at the center of Ali Baba Ettimbukti showing the overcrowdness of Timbuktu with people of Sudan and Maghreb , and it shows the extent of mergence of the two people .

2- Manuscripts :

The researcher benefited from a small number of them , like the writtings of Ahmed Baba Ettimbukti as :

a- The masterpiece of virtuous about some of virtues of religious scientists .

b- What the narrators told about the companionship of rulers (997 hig. L 1588 a.c.).

c- Jewels of best khalifas and kings .

The author is one of the best scientific personalities who lived in last century of this study , and one of the most important Eastern Sudan authors who traveled to Maghrib , and tied relations of two nations .

In addition to other manuscripts , like (warning of brother about the situation Sudan land) by Mohammed Othman Ibn Mohammed Ibn Othmen Fidi , which is one of the most important manuscripts which benefited the study in its cultural side , its divided into seven chapters all of which talking about the western Sudan countries , its people and rulers , the auther benefited of the fourth chapter , and in the sixth chapter there is the will of sheik Mohammed Ibn Abdelkarim

Elmughele Ettelmusani , one of the eminent men of Maghrib to Abi Abdullah Mohammed Ben Yacoub the sultan of Kanu , this is one of the proofs of cultural transfer from Maghrib Arab to Western Sudan.

3- Published recourses : as :

a- The geographic recourses and trips :

the geographic resources participated in richening this study , its important in relating some information in the preliminary chapter , like :

1- photo of the earth by Ibn Hawkil (died 367 hig / 977 a.c.)

2- Routs and Kingdoms by Estakhri , one of the eminent men of 4th hegira / 10th A.corian (died 350 hig. / 981 a.c) .

3- Best divisions do know the regions , by Almakdissi , died (387 hig. / 997 a.c.)

4- The wonderful in mentioning Africen countries and Maghrib , By Albakri (died 487 hig. / 1164 a.c)

5-The longing stroll in penetrating the horizons ,by Aledrissi, emenet of (393-460 hig. / 1100-1164 a.c)

Books of voyages :

1- Ibn Battuta voyage , named : masterpiece of lookers in strange regions and wonderful voyages , by Abdullah Mohammed Ibn Battuta (died 779 hig. / 1377 a.c) , in which the last part describes the voyage of author to Eastern Sudan year (753 hig. / 1352 a.c) , and wrote its incidents since his arrival til his return to Maghrib , in which he mentioned the commercial , cultural , and social ties between the to regions .

2- Description of Africa , by Elhassan Ibn Mohammed Elwazan (died 944 hig. / 1537 a.c.) it has two parts , in the first a description of the Maghrib Arab , and the second mentioned a lot of western Sudan regions , with mention of some Maghrib and Sudanese habits and customs , it is very important book because he wrote down what he experienced in person , and he visited the Eastern Sudan twice , the first (919 hig. / 1513 a.c.) , and the second (921 hig. / 1515 a.c.) , the period where the Islamic Sengai state was prosperous , the researcher benefited from this important resource in the study in general , especially when mentioning the most important commercial and cultural centers of the two countries .

b- The historic resources , as :

1- preachment and the council of Mubtada and khabar in history of Arab , Foreigners and Barber and the great sultans , by ibn Khaldon (died 808 hig. / 1405 a.c) . one of the eminent men of 8th hig / 14th a.c. century , this book contains 7 parts , the first titled introduction in which he put definitions of history and its important as a branch of wisdom , it also contained many valuable information about Arab culture and their governing regimes . I benefited from this book . and from some definitions concerning Maghrib and western Sudan , and knowing the climate circumstances in the region , also , I benefited from information concerning political relations between rulers of the two countries.

- 2- History of Sudan , by Abdurahman Essadi (died 1066 hig. / 1655 a.c.) , this is one of the most important Sudanese publications which close all gaps of researcher in Arabic African relations since the establishment of the Islamic state of Mali until the Maghrib Rule of Eastern Sudan , this resource was used in different places in study , form 2nd to 5th chapters .

C- Translation books :

Translation books are important in studying the cultural situations of some scientists in the two countries , and what they accomplished as :

1- obtain of joy by embroidery of silk garment , by Ahmed Baba Ettimbukti (died 1037 hig. / 1627 a.c) , contains two parts , for translation of scientists concerned with religious and Arabic studies , its characterized with exactness of information , the author of this book is one of the most important cultural personalities of Sudan , we benefited from this book in the 4th chapter .

2- Fath Eshakour in Knowing the eminent religious scientists in Takrour , by mohammed Ibn Abibaker Essidik Elbertli (died 1219 hig. / 1808 a.c.) , a very important book , because it contains a great number of scientists approximately two hundred and nine , they settled in Africal behind the desert from (1056-1216 hig / 1650-1800 a.c) , in which he mentioned the date and place of birth of these scientists , in addition to their date of death , and names of their teachers . and some of their publications , and their journeys , they were arranged alphabetically , we benefited from this book in 4th chapter , where we mentioned translations of some Olama and their cultural role in tying relations between Maghrib and western Sudan , like for example Ahmed Ezzaroug Elfassi , and Makhlouf Ibn Saleh Ibn Ali Elbabeli .

4- Arabic references :

Arabic references considered as the most important references that I benefited from , its importance goes back to the fact that most of their publishers aimed mainly at showing the facts and making their comparisons & checking the information , depending on most important document & manuscripts , and removing any ambiguity .

a- Islamic Malian Kingdom , and its relation to northern Africa most important centers from (13-15 a.c) century by Elhadi Elmabrouk Eddali , 2001 , this book deals with some valuable information about Sudanese and Arab countries , and explaining some political & cultural comparisons between them , in this book the author depended on a lot of manuscripts & resources in addition to field visits to study sites , also , he is considered as concerned with study of Arab African relations ,the researcher benefited a lot of this book from second chapter until the end of study.

b- Tunbakt city since its origin until entrance of Saadieen , unpublished Masters thesis , Cairo university , 1406 hig. / 1986 a.c , by Walid Nassr Mohamed Ettokhi , considered as one of important thesis that the researcher benefited from to fill the gaps in 3rd chapter in subject of Sudanese commercial centers , the study contained also , many other important resourses & references , listed in the list of resources & references.

The study divided into a preface & fife chapters as follows :

- The first chapter : a geographic & demographic glance about both Maghreb arab and western Sudan , this chapter includes the geographic location of the two countries with a climate glance , which had a clear impact on the on facilitating the tying of two countries in addition to the participation of the two big tribes and their role .

- Second chapter : The factors that helped in crystallizing the commercial & cultural ties between the Maghrib and western Sudan.

This chapter dealt with many factors that strengthened the relations of the two countries , like political , religious , and social factors , also , dealt with commerce and its means & routs.

- Third chapter : commercial relations between Maghric arab and western Sudan >

This chapter dealt with the commercial side , where the auther mentioned the most important commercial centers between the two countries , which had a roll in tying commercial operations between the Maghrib & Sudanese merchants including commercial goods between them.

- Fourth chapter : cultural relations between Maghrib arab and western Sudan .

This chapter dealt with cultural events & extent of relations between the two countries , and that this relation built by a group of scientists of Maghrib and western Sudan . in this chapter the author concentrated on the most important scientists who traveled between the two countries . The chapter included also some cultural centers that played clear roles in enriching the two countries scientifically and culturally .

- Fifth chapter : The impact of Maghrib arab Islamic culture on western Sudan.

In this chapter I mentioned the most important results of commercial and cultural relations , which include choosing the kings and ways of appointing them , also the Maghrib ruling system reached western Sudan , also war , fiscal and administration systems , in addition to legal system.

The social impact is also one of the most important impacts of Maghrib on Sudan . the family system and the applying of the Shariaa is a good example of this , we mention also clothes and food who reached western Sudan , and helped in uniting the living standards.

The cultural side has its own prints and effect on people of western sudan , because of the mergence of Arabic and regional accents , the researcher showed here the African accent in English to show clearly the accent to whomever wishes to know the mergence of the two cultures , the educational methods helped greatly in this.

This chapter included also the ways to celebrating the religious occasions , and how the building arts of Magrib arab reached there , in addition to the commercial impact , and the appearance of new precise and legal ways in dealing between the two countries

الملاحـــق

الملحق رقم (1)

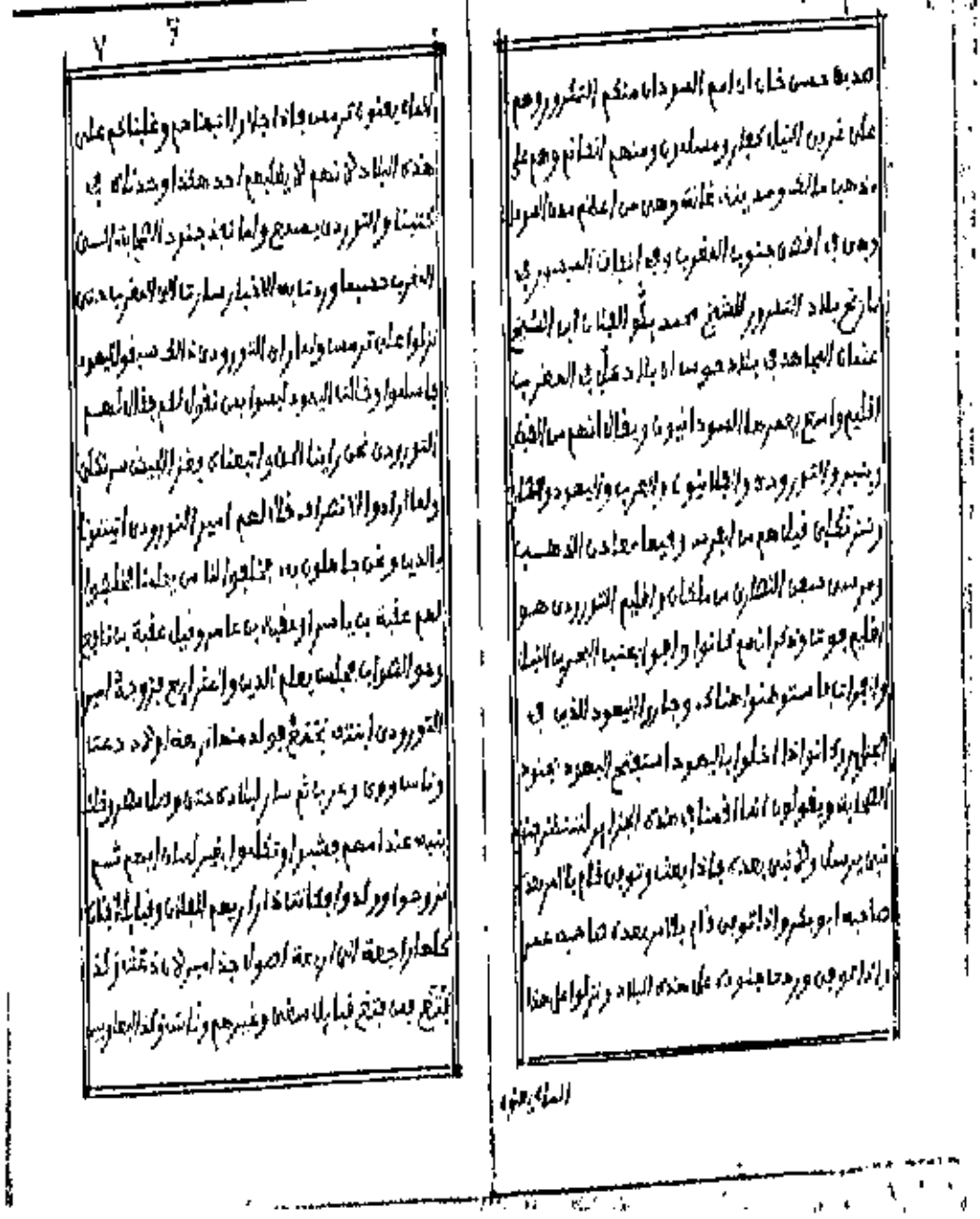

1- تعريف الاشعار والخلان بشعوب وقبائل الفلان ، مركز جيك البيبين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 431 ، الورقة 7 .

الملحق رقم (2)

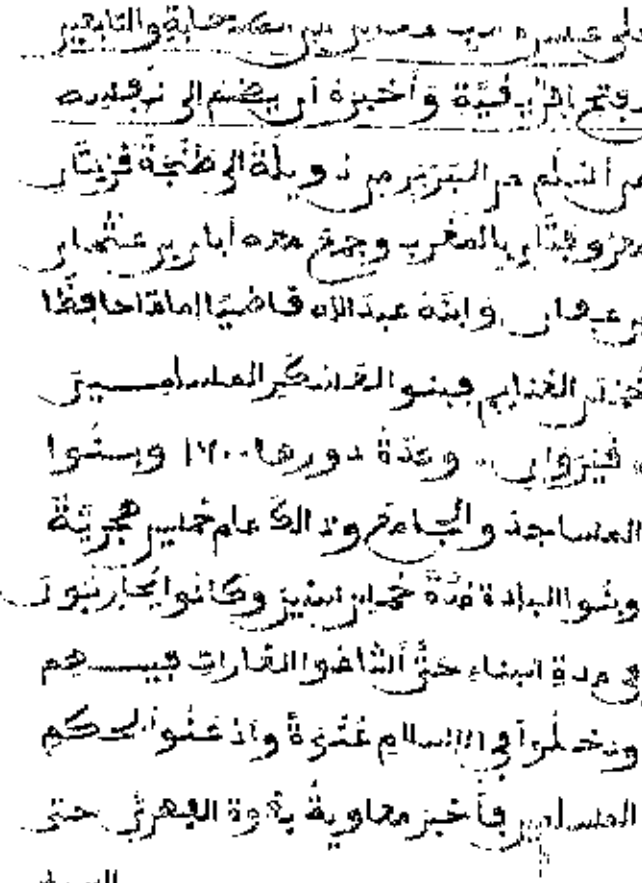

1- محمد محمد الأمين مرجليا . الفتح المبين المبين وجمع تاريخ بلاد السودان ، مخطوط جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ، دون تصنيف ، الورقة 25 .

من أهلها من قديم الزمان ولكنه ما عمّ الكثرة
بأسباب الردّة من الكثير عن الإسلام لقدوم العلم
بذهاب أهله وعدم القائم بالموعظة الحسنة
وقد جرت بقوم سنة من قبلهم أخذاً بهم
وبعداتهم المضلّة والمقصد في هذه السلوك
حيث حيث التفرق مذاهبهم مع طول
المدة والاتحاد هم شتتا أخبارهم لما وقفت
المكتوب من الدهاتر لم يسلقنا من العلماء
الكبار ولله الحمد دائم الأبد ولا خفاء على أحد
من أهل الإسلام الصحاح والرواية المأثورة
غير أولي العلم بأن معاوية بن أبي سفيان
الأموي هو الذي أخرج عقبة بن نافع الفهري

توفرت لهم بعض مواهب هذا الرجل
الذي الا انها حفلت بالمنازعات على
العرش وهي صراع متصل بين الاخوة
وأعمال تتسم بالعنف ومؤامرات
واغتيالات وخوف متصل من المنافسين
على العرش فجاءت الغاية على يد جيوش
المغرب الاقصى التي تقدمت لفتح
السودان سنة ١٥٩٠ . وقد اتصل
النزاع بين اسلاطين المغرب واسلاطين
مراكش على مناجم الملح الغنية
الواقعة عند تغزة . وتطور هذا النزاع
الى معدات وابل مقاتل والمتباك مسلح

المشهور أحمد بابا التنبكتي الذي ولد بوعرار
سنة ١٥٥٦م من أصل صنهاجي ثم رحل الى
تنبكت وأقام فيها وشهد الاحتلال المراكشي
وفر نظارته مواهبه وارتجلت مكانته العلمية
وانتشر ذكره حتى أدرك سراكنا وبجاية.
وقد دخل الى مراكش أسيرا ولكنه عاد الى تنبكت
مرة أخرى حيث توفي بها سنة ١٦٢٧م وهو
رجل واسع التأليف جمع المعرفة الجيدة وكل
الوسائل الثقافية العالية في عصره وقد ذيل
لابن فرحون في كتابة ديل الابتهاج بدأ من
حيث انتهى ابن فرحون وعرض تراجمهم في
أعمالهم وتتم هذا الكتاب سنة ١٥٩٧م وقد
يعطينا

260

في الأيام العظام ويدرسون فيه الاحاديث
ثم امر الشيخ بقتل جميع كلاب تنبكت
لهذه الرؤيا وأمر امير تنبكت بأن يرسل
الى الامام العادل والخليفة الصالح يسئل
له مجئ مطلبه فقدم الامام اليه من كاغ
واتاه بمائة الف دينار وخمسمائة
خادم ومائة ابل ضيافة له ثم ناوله
الشريف الحسني براءة مولاي العباس
وفيها بعد ذكر اشياء كانت بين مولاي
العباس وبين الخليفة اسكيا واعلم
يا اخي ان أهل بيتنا ليس عليهم شئ
من كلف السلطنة وقد ارسلت اليك

ابن

78

ما رأى في البارجة فلما وصل اليهم
الشريف أحمد الصقلي وجدوه كما
وصفوه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكرموه وحملوه على أعناقهم الى
موضع يقال له بلسوكر وانزلوه
هنالك ثم قدموه الى المصلى وصلوا بهم
العيد ثم لما رجع الشيخ من المصلى نظر
الموضع الذي دوره بالهراوة ووجده
كما عهد من البارجة البعيد ودوران
الهراوة فامر تلامذته ببنائه وتسماه
كلخ واتخذه اهل تبكت موطنا
يعظمون فيه النبي صلى الله عليه وسلم

الملحق رقم (3)

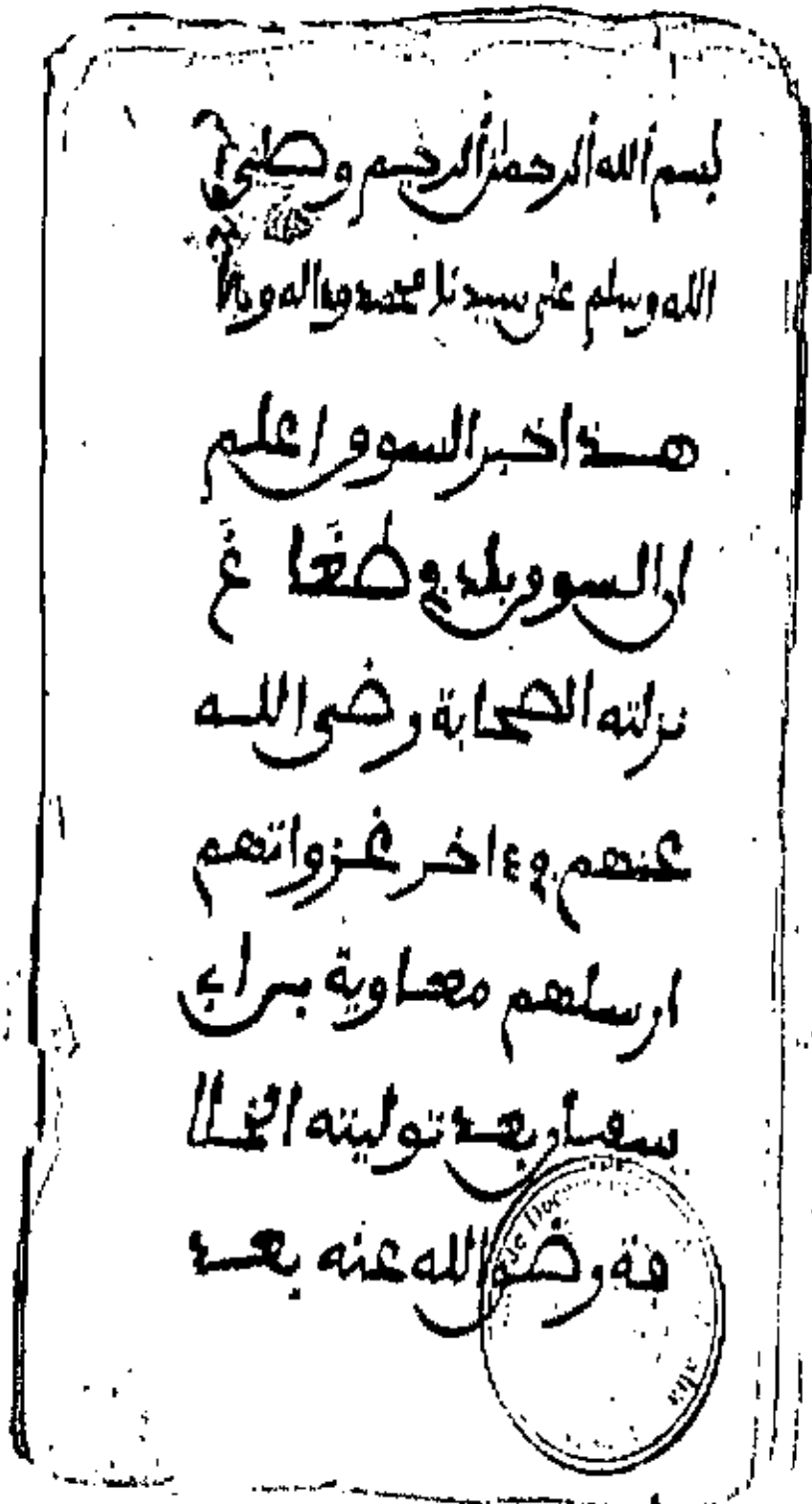
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى
الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه
هذا خبر السودان علم
ان السودان بلاد صغار
نزلته الصحابة رضي الله
عنهم وهذا خبر غزواتهم
ارسلهم معاوية بن ابي
سفيان بعد توليته الخلا
فة رضي الله عنه بعد

1- مجهول ، خبر السودان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقات رقم 1،2،3 .

الحسن بن علي رضي الله
عنهما وامر عليهم
عقبة بن عامر وهو
عقبة المستجاب رضي
الله عنه وعام احدى
وستين من الهجرة وانتهى
الى السور فحاصرها فتح
المدائن من الغرب والى يسوس
الافصى والسور مدينة
عظيمة

عظيمة فيها خلق كثير
وهي يومئذ للكفار وبنحها
عقبة واخذ اميرهم
كسيلة فاظهر الاسلام
واسر الكفار واقام عقبة
مدة بالسور وبنا فيها
مساجد وجامعا وجعل
الموذنين في المساجد
وعمرها بامر الله ثم خرج

وترك جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم منهم
جرير والانصاري واقاموا
بها وهم اجداد اهل
السور وماتوا بها وقبو
رهم الان فيها كل قبر
مكتوب عليه اسم
صاحبه وعمره وكم
غزاوته مع محمد صلى
الله

الله عليه وسلم وبينهم
ابو هريرة مؤذن النبي
صلى الله عليه وسلم وخرج
كسيلة مع عقبة الى
ولاية وقتله كسيلة
صلاة الظهر يوم
الخروج وهو مدفون بولاية
الاربنط بالحسن الصغير
التفيد شرح البراذعي كتاب

الملحق رقم (4)

١٩٧

وتوفي في رجب عام احدى وتسعين وتسعمائة

ومنهم احمد بابا قال الثقة ابو عبدالله محمد بن يعقوب الانيب المراكشي كان اخونا احمد بابا من اهل العلم والفهم والادراك التام حسن التصنيف كامل الحظ من العلوم ثقيها وحديثا وعربية والاصليين تاريخا صالح الاعتراء لمقاصد الناس من هذا براعي التقييد والمطالعة مطبوعا على التاليف الف فوائد عديدة مفيدة جامعة فيها ابحاث عقليات ونقليات وحصى كثيرة كوضعه على مختصر خليل من الزكاة الى اثناء النكاح في صغرين وتنبيه الواقف على تحرير فقصصت نية المخالف في كراسين وتعليق على اوائل الالفية سماه النكت الوافية في شرح الالفية واخر سماه النكت الزكية لم يكمل ونيل الامل في ذيل الدول في فضيل النية على العمل في شرح حديث نية المؤمن ابلغ من عمله وآخر فيه سماه غاية الامل في تفضيل النية على العمل وغاية الاجتهاد في مساواة الفاعل للمبتدا في شرف الافادة في كراسين واخر سماه البكت المستجادة في شرف الافادة والتحديد والقاعيس في الاحتياج بابن ادريس يريد بالقاعدة في العربية ورقات وجلب النعمة ودفع النقمة بجوابية الظلمة في كراسين وشرح الصغرى في السنوسي في كراريس ومختصر ترجمة التنبكتي في ثلاثة كراريس ونيل الابتهاج بالذيل على الديباج ومطلب المقارب في اعظم امتهاء الرب تعالى في كراريسة

١- محمد عثمان بيلو: أفاق الميسور، جامعة قاريونس بنغازي، مخطوطة رقم 9659 ، الورقة 14 .

وترتيب جامع المعيار للونشريسي ممن كتب منه كراريس وله
مسائل وسيلة في المشكلات وقفت على بعضها ثم
امتحن في بعض طائفة من اهل بية بشقافهم في بلد
هم في محرم عام اثنين والف على يد محمود زرقون لما
استولى على بلادهم وجاد بهم فساروا في قيودهم فوا
صلوا مراكش اول رمضان من العام واستقروا مع
عيالهم في حكم النفاف الى انصرام امد المحبة فسرحوا
يوم الاحد الحادي والعشرين لرمضان عام اربعة و
الف ففرحت قلوب المومنين بذلك جعلها الله لهم
كفارة ذنوبهم حدثني بحديث الرحمة المسلسل با
لاولية عن والده بسنده وحديث المصافحة عن
والده ايضا وسمعت عليه اكثر صحيح مسلم بلفظه
ولم يفتني الا قليل وقيدت عليه من الشعار وعشريات
الغازاني وتهذيب ابن معيبد لها وشيئا من صحيح
البخاري وسنن الترمذي وللموطا واسمعته جميع
الغنية الحديث العراقي عليه تفقها الا ابيات واوائل
مختصر الخليل واشياء من الدر على مسلم وغير
ذلك واجازني وناكرته في الاسانيد والرجال والتاريخ
وكان من اوعية العلم صان الله مهجته ونالني المسلسل
بالمالكية بسنده انتهى ما في هذا الفصل من كفاية
المحتاج في معرفة ما ليس في الديباج لاحمد بابا
ومنهم الشيخ العالم سيدنا الوافي الكنتي العلامة

الملحق رقم (5)

1- تاريخ أزواد في أخبار الوارثيش وحروبهم مع الزوايين وهكار وإداغن والوغاه وذكر بعض أكابرهم مثل سيدي محمد بن أحمد ومحمود بن دحسان ودخول النصارى في تنيكت ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، مخطوطة رقم 984 ، لوحة 4 .

الملحق رقم (6)

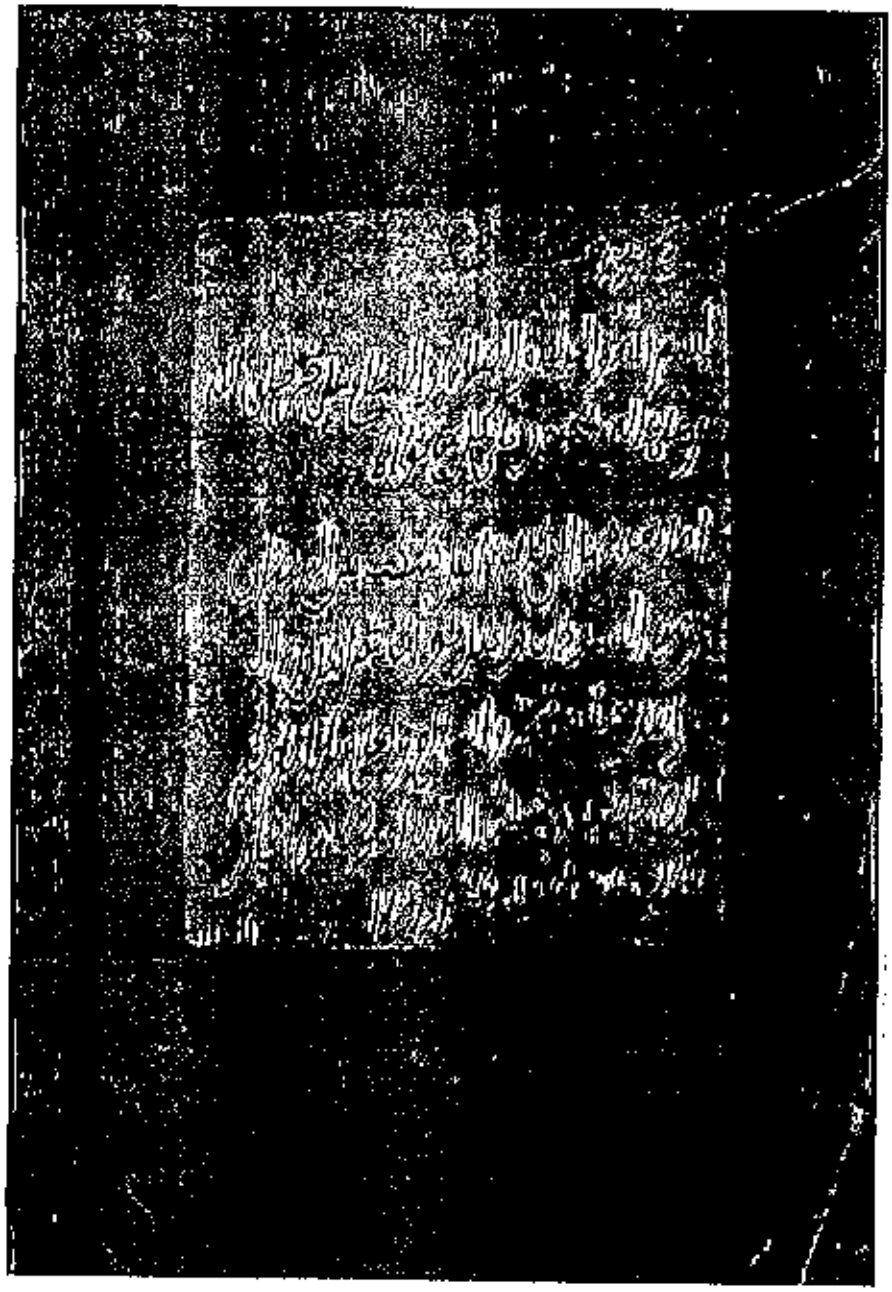

1- مجهول ; مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم التصنيف 0/1 .

الملحق رقم (7)

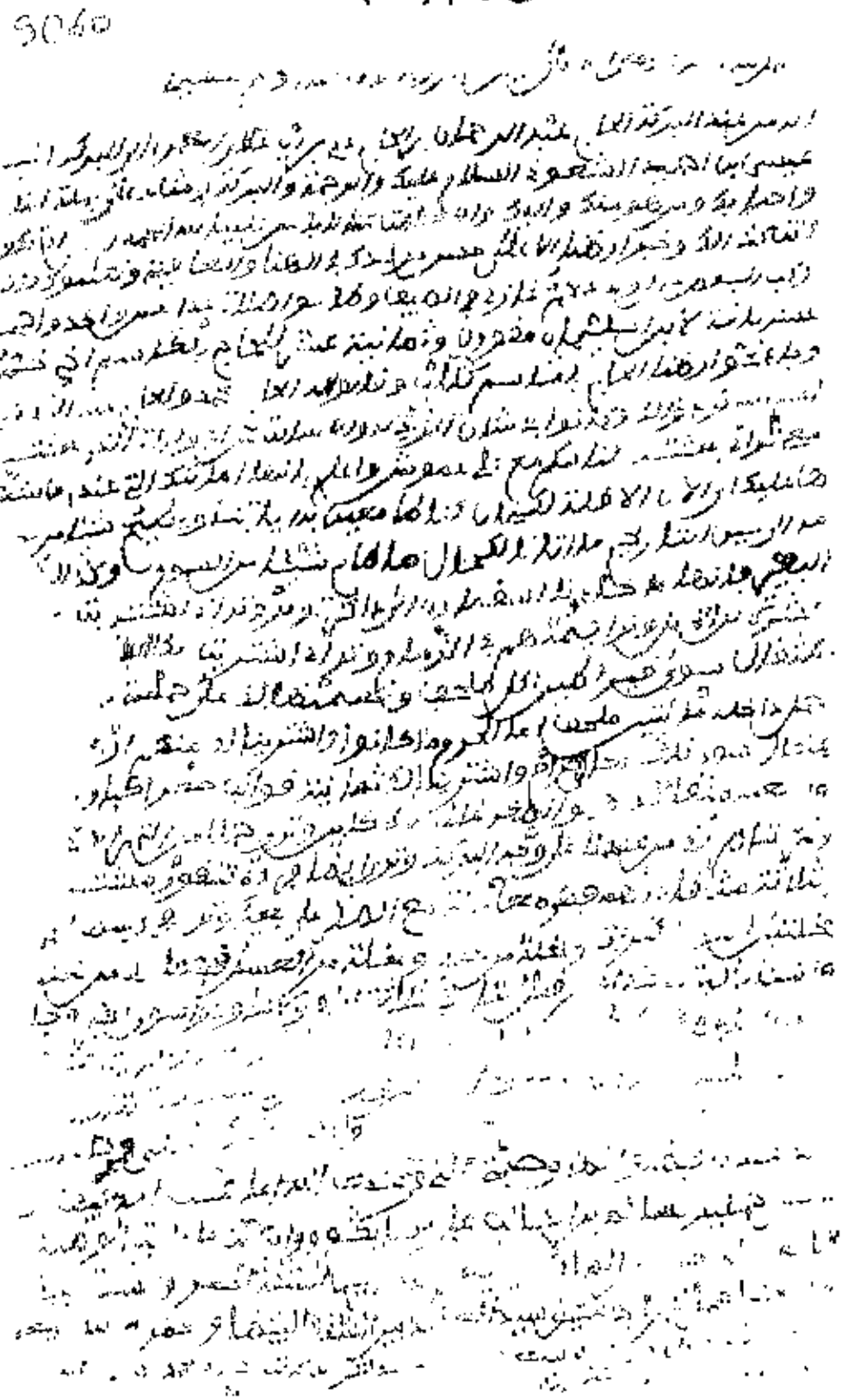

1- رسالة من الحاج عبد الرحمن بن الحاج علي إلى عيسى بن احمود الغدامسي ؛ مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم التصنيف 9060 .

الملحق رقم (8)

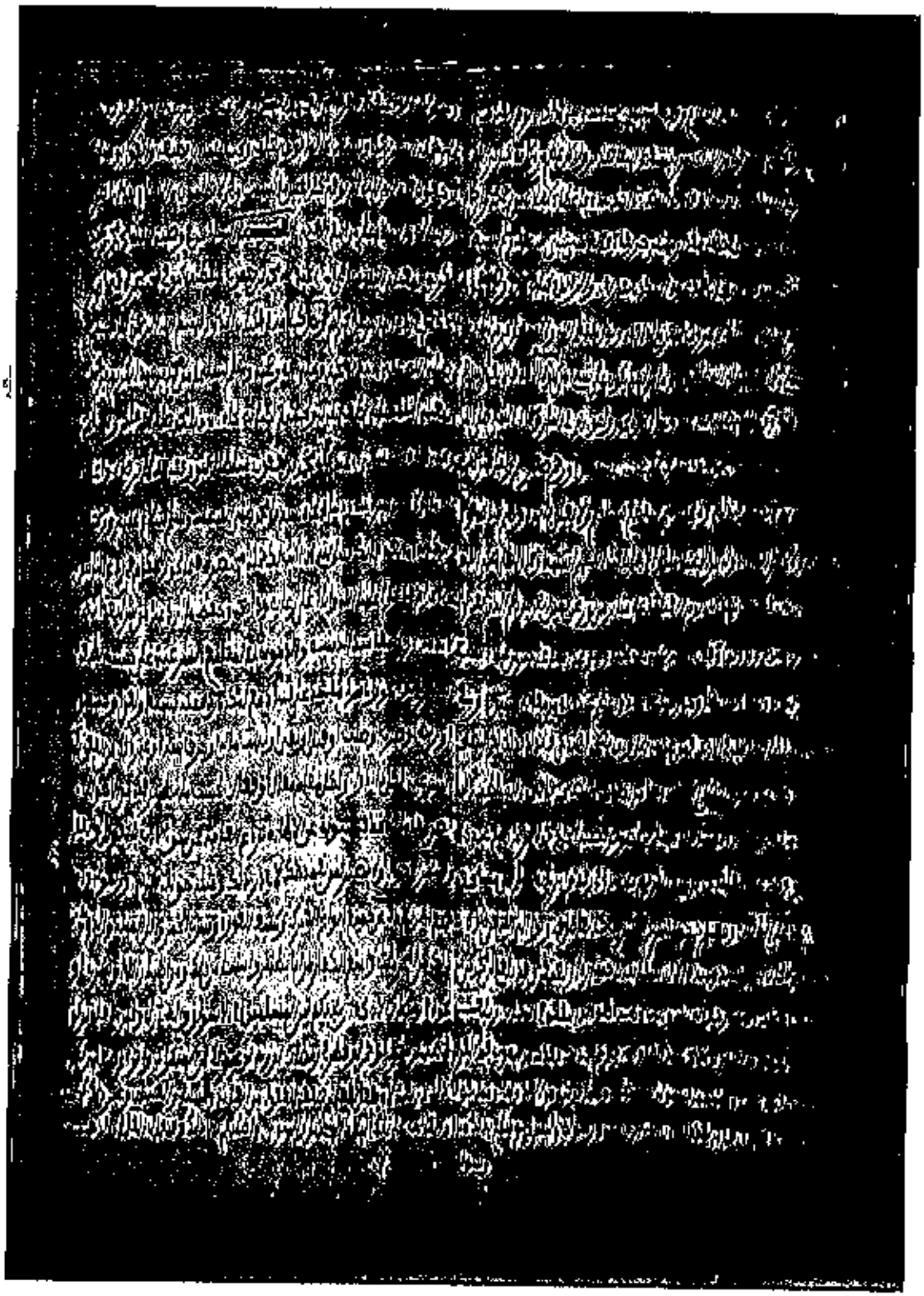

1- محمد عثمان بن محمد بن عثمان فودي : تنبيه الاخوان على احوال ارض السودان ، مركز جهاد الليبين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 2469 ، الورقة 8 .

الملحق رقم (9)

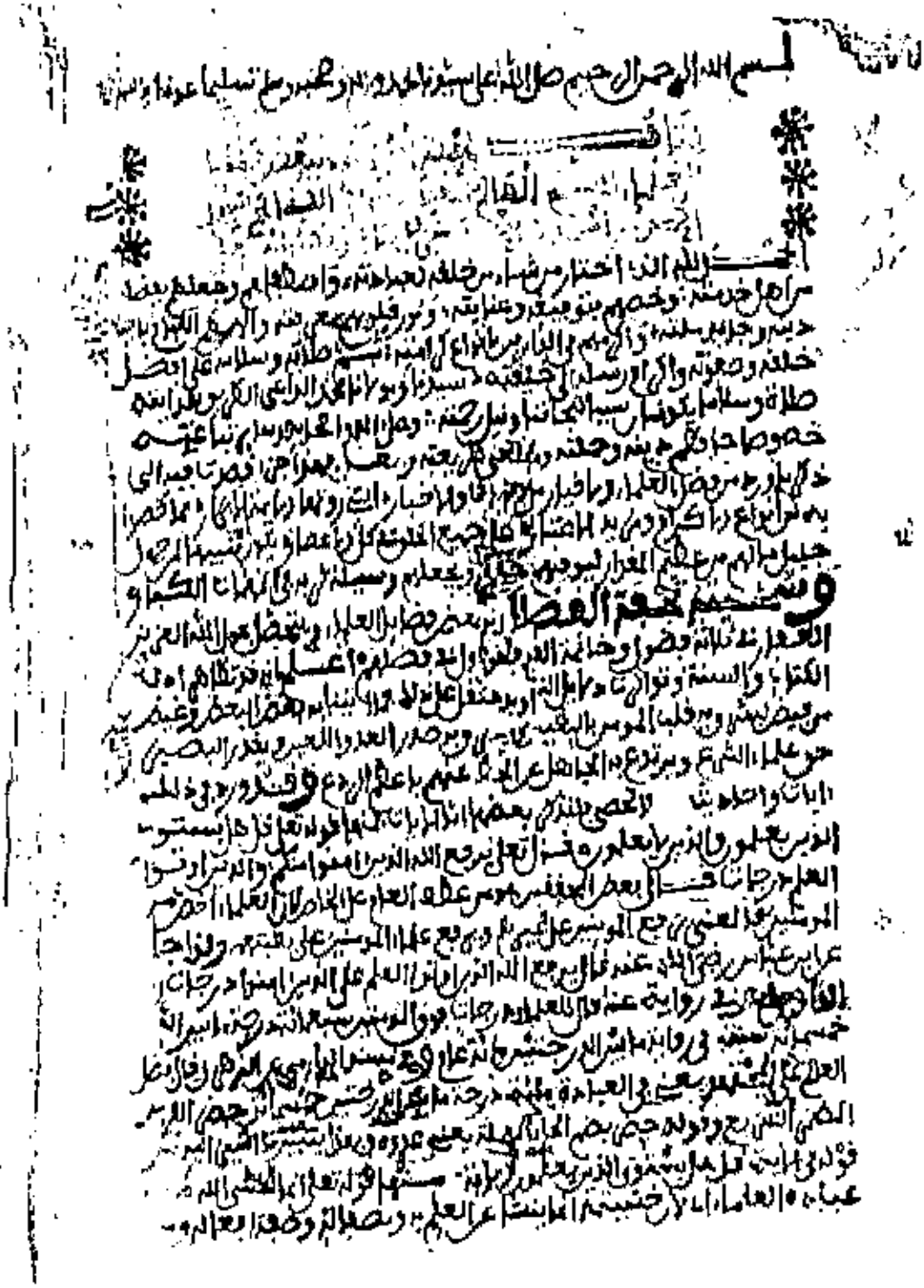

1- القيكتاني : مركز جهاد الاوربين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 1100 ، الورقة 1 .

الملحق رقم (10)

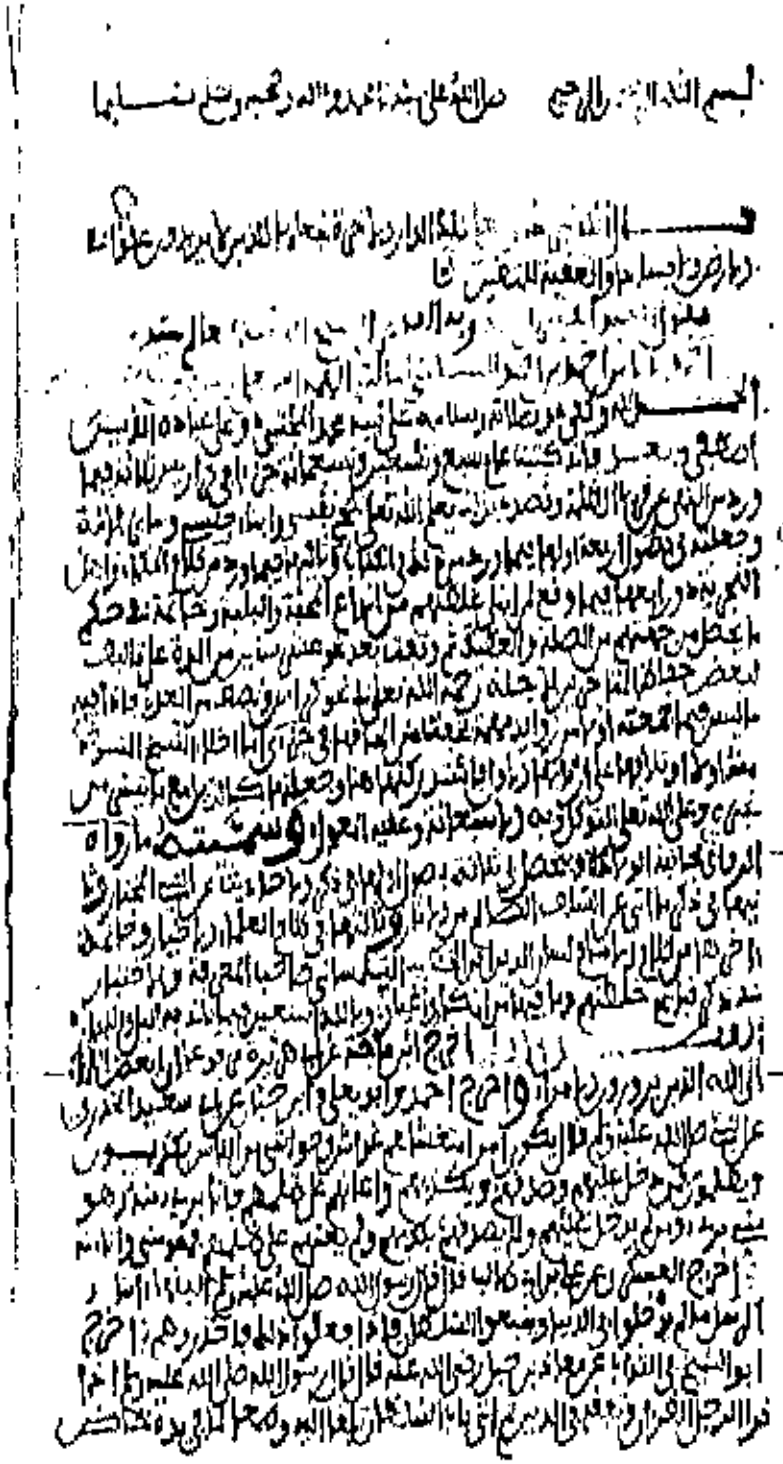

2- التبكتي : مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف ، الورقة 2 .

الملحق رقم (11)

1- مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، المخطوطة رقم 5343 ، الورقة 1 .

الملحق رقم (12)

9037

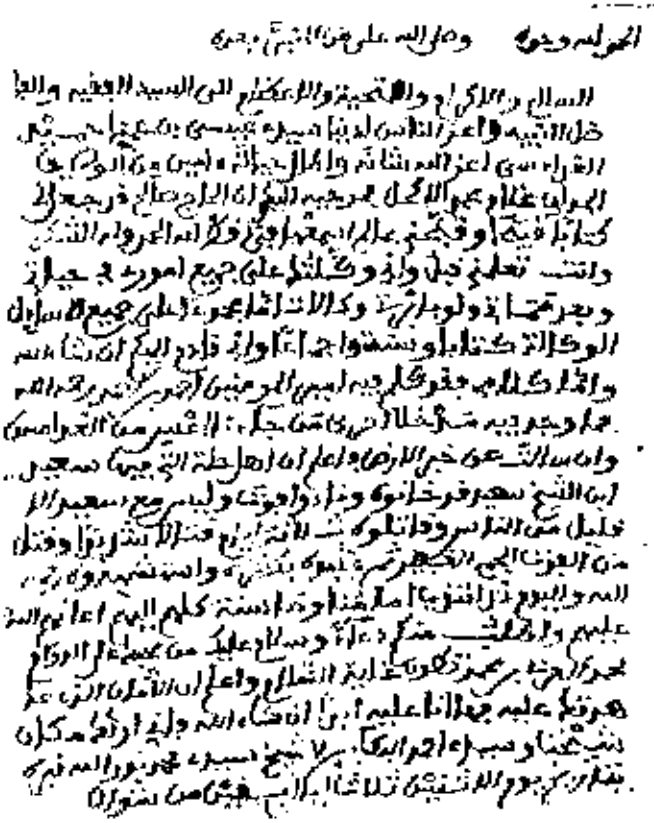

2- مجهول : مركز أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو ، مالي، رقم التصنيف 400، الورقة 1 .

الملحق رقم (13)

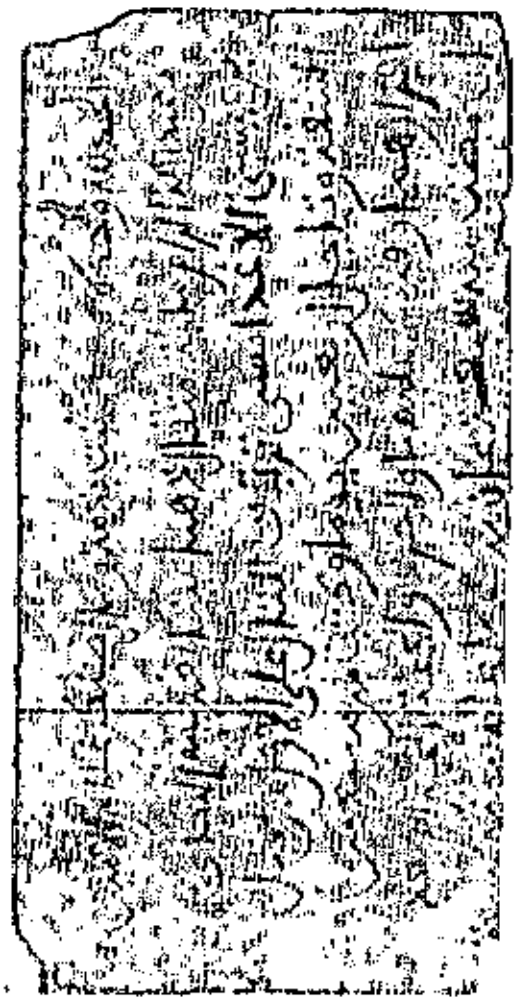

1- مجهول : مركز أحمد بابا التنبكتي ، تمبكتو ، مالي ، بدون تصنيف .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائـــق :

- عبد الرحمن : رسالة منه إلى عيسىبن احميد الغدامسي ، مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم 9060 .

- محمد الأكحل : رسالة منه إلى عيسى بن احميد الغدامسي ، مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم 9037 .

- مجهـــــول : رسالة تبين اكتظاظ تنبكتو بالسكان من البيض والسود ، مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، رقم 9312 .

- مجهـــــول : رسالة تبين استخدام المثاقيل في السودان الغربي ، مركز أحمد بابا التنبكتي ، تنبكتو ، مالي ، بدون تصنيف .

ثانياً : المخطوطات :

- الأروانـــي: محمد محمود بن الشيخ سيدى بيكر ابن القاضي سيدى أحمد .
1- الترجمان في تاريخ الصحراء وبلاد السودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان ونبذة من تاريخ الزمان في جميع البلدان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف .
- التنبكتـــي : أحمد بابا .
2- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، رقم التصنيف 1100 .
3- درر السلوك بذكر أفاضل الخلفاء والملوك (مناقب) ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف .
4- ما رواه الرواة في مجانية الولاة ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف .
5- معراج الصعود ، جهاد الدراسات الأفريقية ، سبها ، بدون تصنيف .
- السعـــدي : موسى كمرا .
6- زهور البساتين في تاريخ السوادين ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، بدون تصنيف .
- عثمـــان : محمد بيلو .
7- أنفاق الميسور ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، رقم التصنيف 9669 .
- الفلانـــي : محمد بن أحمد انقا هاشم .
8- تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان ، ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس رقم التصنيف 431 .
- فـــودى : محمد عثمان بن محمد عثمان .
9- تنبيه الأخوان على أحوال أرض السودان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس، رقم التصنيف 2469 .
- مرحبـــا : محمد محمد المفتى .
10- فتح الحنّان المنّان بجمع تاريخ بلاد السودان ، مخطوط بجمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، بدون تصنيف .
- مجهـــول : 11- تاريخ ازواد في أخبار البرابيش وحروبهم مع الرقيبات وهكار وأدنان وأفوغاء ، وذكر بعض أكابرهم مثل سيدى محمد بن أحمد ومحمود بن دحمان ودخول النصارى في تنبكت ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس رقم التصنيف 984 .
- مجهـــول : 12- خبر السوق ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلـــس ، بدون تصنيف .
- مجهـــول: 13- ديوان الملوك وسلاطين السودان ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، رقم التصنيف 5343 .

ثالثاً : المصـــادر :

- القرآن الكريم ، مصحف الجماهيرية ، برواية قالون عن نافع ، جمعية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ،1997 م) .

- الإدريســي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت قبل 548هـ /1153 م)

1- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، (بيروت ، 1989 م) ، مج1.

- الأروانـــي : أحمد باير .

2- الجواهر الحسان في أخبار السودان ، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي ، مطابع الوحدة العربية ، (الزاوية ، 2001 م) .

- الأزدي : الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجتاني (ت 275 هـ/888 م)

3- سنن أبي داود ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1422هـ/2001 م).

- الأصطخرى : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 350 هـ/981 م) .

4- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، دار القلم ، (القاهرة ، 1961 م) .

- البرتلـــي : محمد بن أبي بكر الصديق .

5- تراجم لأعلام أفريقيا فيما وراء الصحراء فتح الشكور في تراجم علماء التكـــرور ، تحقيـــق الهـادي المبروك الدالي ، مطابع الوحدة العربيـــة ، (الزاويـــة ، 2002 م) .

- ابن بطوطه : شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد

(ت 779هـ/1377 م) .

6- رحلة ابن بطوطه ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار صادر ، (بيروت ، 2001 م) .

- البكـــري : أبو عبيد بن عبد العزيز (ت 487 هـ/1094 م) .

7- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،مكتبة المثنى،(د.م،د.ت) .

- البـــلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279 هـ/892 م).

8- فتوح البلدان ، تقديم إبراهيم بيضون ، دار اقرأ، (بيروت ، 1992م) .

- بيلـــــــو : محمد عثمان .

9- أنفاق الميسور ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، معهد الدراسات الأفريقية، سبها ، مطبعة المعارف ، (سبها ، 1996 م) .

- التكنـــــي : أحمد بلعراف .

10- إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل الصحراء وأهل شنقيط ، تحقيق الهادي المبروك الدالي (د.م ، د.ت) .

- التنبكتـــــي: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر (ت 1037 هـ/1627 م) .

11- كفاية المحتاج في معرفة ما ليس في الديبـاج ، تحقيـق محمد مطيـع، (د.م ، 2000 م) ، ج1 .

12- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، عناية وتقديم عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب ، (طرابلس ، ليبيا ، 2005 م) ، ج1 .

- الثعالبـــي :أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429 هـ/1037م).

13- آداب الملوك ، تحقيق جليل العطية ، دار الغرب الإسلامـــي ، (بيروت ، 1990 م) .

- الجاحـــظ : أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255 هـ/868 م) .

14- رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار

الجيل ، (بيروت ، 1991 م) ، ج1 .

- الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331 هـ/942 م) .

15- كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي ، مطبعة مصطفى البا الحلبي وأولاده ، (القاهرة ، 1980 م)

- الحميـــري : محمد بن عبد المنعم (ت في أواخر القرن 9 هـ/16 م) .

16- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مطابع هيد ليرغ ، (بيروت ، 1984 م) .

- الحنفـــــي : عبد المنعم .

17- معجم المصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، (بيروت ، 1987 م) .

- ابن حوقـل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت 367 هـ/977 م) .

18- صـورة الأرض فـي الطـول والعـرض ، دار مكتبـة الحيـــــاة ، (بيروت ، د- ت) .

- ابن خلـدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/1405 م) .

19- العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1967 م) ، ج6،7 .

20- المقدمة ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، 1991 م) .

- الـــــرازي : محمد بن أبي بكر عبد القادر .

21- مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، 1983 م) .

- الزركلـــي : خير الدين .

22- الأعلام ، دار العلم للملايين ، (لبنان ، 2005 م) ، ج1 .

- ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 626 هـ/1325 م) .

23- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية ، (الرباط ، 1936 م) .

- السخـــاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .

24- الـضوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع ، دار الجيـل ، (بيـروت ، 1412هـ/1992 م). ج1 .

- السعـــدي : عبد الرحمن بن عبد الله (ت 1060 هـ/1655 م) .

25- تاريخ السودان ، نشر هوارس وبنيه ، (باريس ، 1964 م).

- الطوســـي : أبو نصر عبد الله علي السراج (ت 378 هـ/988 م) .

26- اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، ضبطه وصححه كامل مصطفى الهنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1421 هـ/2001 م) .

- ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا عام 712 هـ/1312 م) .

27- البيـان المغـرب فـي ذكـر أخبـار الأنـدلس والمغـرب ، تحقيـق ليفـي بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، د- ت) ، ج1 .

- العربـــي : إسماعيـل .

28- معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ، منشـــورات دار الأفـــاق الجديدة ، المغرب ، (الدار البيضاء ، 1413 هـ/1993 م) .

- العمـــري : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749 هـ/1348 م) .

29- مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، ج4 ، تحقيق حمزة أحمد عباس ، (د.م ، د.ت) .

- القشتالـــي : عبد العزيز .

30- مناهل الصفاء في أخبار الملوك الشرفاء ، مطبعة المهدية ، (تطوان ، 1964 م) .

- القزوينـــي : زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ/1283 م) .

31- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت ، 1960 م).

- القلقشنـــدي : أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418 م) .

32- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، 1987 م) ، ج5.

- ابن ماجـــه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 75 هـ/694 م) .

33- سنن ابن ماجه ، ضبط نصه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلميـــة ، (بيروت ، 1423 هـ/2002 م) .

- المـالكـــي : أبي بكر عبد الله بن محمد .

34- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكيم ومن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، حققه بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1403 هـ/1983 م) .

- المقـــدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 387 هـ/997 م) .

35- أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، (بيروت ، 1909 م)

- المقريـزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ/1441 م) .

36- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيـق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، مصـــر ، ومكتبـــة المثنـــى ، (بغداد ، 1955 م) .

- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ/1311 م) .

37- لسان العرب المحيط، ، دار الجيل ، (لبنان ، 1988م) ، مج10،7.

- الناصـــري : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد (ت 669 هـ/1270 م) .

38- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء ، 1954م) ، ج5،4،1 .

- النـــووي : يحيى الدين أبو زكريا (ت 676 هـ/1277 م) .

39- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د- ت) ، ج13

- الـــوزان : الحسن بن محمد (ت 944 هـ/1537 م) .

40- وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1983 م) ، ج1،2 .

- الونشريسي : أحمد بن يحيى (ت 914 هـ/1508 م) .

41- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حجي ، دار الغـرب الإسلامـي ، (بيروت ، 1981 م) ، مج10،5 .

- اليعقوبـــي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح بن جعفر (ت 282 هـ/887 م) .

42- كتاب البلدان ، مطبعة أبريل ، (ليدن ، 1891 م) .

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

- الأحمـــــد : أحمد مصباح .
1- العلاقات العربية الأفريقية ، دار الملتقى ، (بيروت ، 2001 م).
- البابـــــور : منصور محمد .
2- غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية ، جامعة قاريونس ، (بنغازي ، 1995 م) .
- بـــــاري : عثمان بريما .
3- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي ، دار الأمين ، (القاهرة ، 2000 م) .
- البخـــاري : إصلاح محمد .
4- انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء تنبكت غدامس نموذجاً (7-11هـ/13-17هـ)،(د.م،1372-2004م)ـــ
- بوعيانـــه : فتحي محمد .
5- جغرافية أفريقيا ، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية ، د.ت) .
- بوفيـــــل :
6- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير،نقله إلى العربية الهادي بولقمه ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس،(بنغازي،1988م).
- التكتيـــك : جميلة إمحمد .
7- مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير (1493 - 1528 م) ، مركز جهاد الليبيين ، (طرابلس ، 1998 م) .
- جـــــودة : حسنين .
8- جغرافية أفريقيا الإقليمية ، منشأة المعارف ، (الإسكندرية ، 1996 م)
- جولييـــان : شارل اندرية .
9- تاريخ أفريقيا ، دار النهضة ، (القاهرة ، 1908 م) .
- الجوهـري : يسـرى .
10- جغرافية المغرب العربي ، مؤسســـة شبـــاب الجامعة ، دار القلم ، (الكويت ، 1987 م) .
- حجـــــي : محمد .
11- جولات تاريخية،دار الغرب الإسلامي،(بيروت،1995م)،ج2 .
- حســـــن : حسن إبراهيم .
12- انتشار الإسلام في القـــارة الأفريقيـــة ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، د.ت) .
- خشيـــــم : علي فهمـي .

13- أحمد الزروق والزروقية ، منشورات المنشآت الشعبية للنشر والتوزيع ، (ليبيا ، 1980 م) .
- الدالـــــي : الهادي المبروك .
14- التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة ، 1999 م) .
15- قبائل الفلان ، دار الكتب الوطنية ، (بنغازي ، 2003 م) .
16- مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز في الشمال الأفريقي من القرن 13 - 15 ، مطابع الوحدة العربية (الزاوية ، 2001 م) .
17- مملكة مالي الإسلاميـــة وعلاقتهـا مع المغرب وليبيا ، دار الملتقى، (بيروت ، 1993 م) .
- دردور : عبد الباسط .
18- أقطار المغرب العربي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 2002 م) .
- ريـــاض : زاهـر .
19- المملك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، مكتبة الأنجلو ، (القاهرة ، 1968 م).
- الـــزاوي : الطاهر أحمد .
20- مختار القاموس ، دار عالم الكتب ، (الرياض ، 1998 م) .
- الزريقـــي : جمعة محمد .
21- تراجم ليبية ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت ، 2005 م) .
- زكـــــي : عبد الرحمن .
22- الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ، محاضرات في معهد الدراسات الإسلامية .
23- تاريخ الدولة الإسلامية السودانيـــة ، المؤسســـة العربيـة الحديثـة ، (القاهرة ، 1971 م) .
- زيـــــادة : نقـــولا .
24- دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي (د.م، 1991م).
- سعـــودي : محمد عبد الغني .
25- أفريقيـة دراسـة فـي شخـصية القـادة وشخـصية الأقـاليم ، دار الزائـر للطباعة ، (د.م ، د.ت) .
- طرخـــان : إبراهيم علي .
26- دولة مالي الإسلاميـة ، الهيئـــة المصريـة العامـــة للكتـــاب ، (القاهرة ، 1973 م) .
- العبـــادي : أحمد مختار .
27- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، (بيروت ، د.ت) .
- عفيفـــي : محمد الصادق ومحمد بن تاويت .

28- الأدب المغربي ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1969 م) .
- علـــــي : فاى منصور .
29- اسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية (889 - 935 هـ/1493 - 1529 م) ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1987 م)
.
- الغربـــي : محمـــد .
30- بدايـــة الحكم المغربي في السودان الغربـــي ، دار الرشيـــد ، (العراق ، 1984 م) ، ج1 .
- الغنيمـــي : عبد الفتاح مقلد .
31- الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا وسلطنة البولالا ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، 1996 م) .
- غيـــث : امطير سعد .
32- التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، دار الرواد،(لبنان،1996 م).
33- الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت ، 2005 م) .
- الفيتـــوري : عطية مخزوم .
34- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، جامعة قاريونس ، (بنغازي ، 1998 م) .
- القشـــاط : محمد سعيد .
35- صحراء العرب الكبرى ، دار الملتقى ، (طرابلس، 1994 م).
- كريـــم : عبد الكريم .
36- المغرب في عهد الدولة السعدية ، الرباط ، (المغرب،1977م).
- مرســـي : خالد عبد المجيد .
37- الشيخ حامد وكانى التجربة الغامضة والتيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث ، مركز البحوث والدراســـات الأفريقيـــة ، (سبها، 1989 م) .
- المنجـــد : صلاح الدين .
38- مملكة مالـــي عند الجغرافيـــين المسلمين ، دار الكتاب الجديـــدة ، (بيروت ، 1963 م) .
- نجـــم : محمد يوسف وإحسان عباس .
39- ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا، (بنغازي ، د.ت).
- النحـــوي : الخليل .
40- شنقيط المنارة والرباط ، المنظمـــة العربيـــة للعلـــوم والثقافـــة ، (تونس ، 1987 م) .

خامساً : المقالات والبحوث :

- الأنصاري : نوري لامين .
1- العلاقات التجارية والثقافية بين غدامس وتنبكتو عبر المخطوطات مركز أحمد بابا ، تنبكتو ، (مالي ، د.ت) .
- بو سعد : عبد السلام .
2- العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء .
- تاوشيخت : الحسن .
3- سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- التميمي : عبد الجليل .
4- كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدباج لأحمد بابا التنبكتي ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 33 -34 ، جوان ، (تونس ، 1984 م).
- حاجبات : عبد الحميد .
5- مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الخامس ، جامعة دمشق ، (سوريا ، 1981 م)
- حركات : إبراهيم .
6- دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبية للدراسات التاريخية ، (طرابلس ، 1981 م) .
- الحرير : إدريس صالح .
7- العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول الرستمية وبلدان جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام هناك ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين (طرابلس ، 1983 م) .
- الحسناوي : حبيب اوداعة .
8- الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- الحلسوى : عبد العزيز .
9- الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان من خلال بعض كتب الرحلات ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .

- حمـــــدون : عبد الخالق .
10- التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- الدالـــــي : الهادي المبروك .
11- قبائل البرابيش ودورهم في منطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- رزوق : محمد .
12- العلاقات العربية الأفريقية في القرن السادس عشر ، مجلة البحوث الثقافية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين (طرابلس ، 1985 م) .
13- قضية الرق في تاريخ المغرب ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين (طرابلس ، 1986 م) .
- الشريـــف : محمد .
14- الجاليات المغربية ببلاد السودان الغربي (من 8هـ/14 م) ، ملاحظة حول دورها في التفاعل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- بن شقرون : مصطفى .
15- دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب أفريقيا بالعصر الوسيط ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- شنيبـــــون : عبد اللطيف .
16- الأدب الجغرافي المغربي وسيطا لأنماط التواصل الحضاري ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- الصادقـــي : حسـن .
17- جوانب من التواصل الثقافي شمال – جنوب ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء .
- صمبـــــا : بابكـــر .
18- التواصل الثقافي بين جانبي الصحراء في العصر الحديث ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .
- الطيبـــــي : أمين توفيق .

19- أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط من القرن العاشر – القرن الرابع عشر للميلاد ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء .
20- رسائل المغيلي ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الثالث ، (طرابلس ، د.ت) .

- عوض الله : الشيخ لامين .
21- تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، (بغداد ، 1984 م) .

- الفـــــران : محمـد .
22- تأثير اللغة العربية في بعض اللغات الأفريقية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .

- فضـــل الله : قمر الدين .
23- لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية (1468 - 1591م) ، مجلـــة كليـــة الدعـــوة الإسلامية ، العدد الرابع ، مركز جهاد الليبيين ، (طرابلس ، 1987 م) .

- الفيتـــوري : أحمـد .
24- الجاليات المغربية ببلاد السودان الغربي ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين (طرابلس ، 1981 م).

- الفيتـــوري : عطية مخزوم .
25- مملكة مالي الإسلامية ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، مركز جهاد الليبيين (طرابلس ، 1993 م) .

- الماحـــــي : عبد الرحمن عمر .
26- مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الأفريقي ، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1998م) .

- الهزامـــه : عبد الحميد .
27- تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد الرابع ، (طرابلس ، د.ت) .

- الوزانـــي : الطيب .
28- مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب أفريقيا والمغرب الأقصى ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 1999 م) .

سادساً : الرسائل العلميـة :

- بالنـــــور : انتصار علي محمد .
1- المؤثرات الإسلامية في غرب أفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المسيرة الكبرى ، (طبرق ، 2001 - 2002 م).
- الحـــواسي : عبد الله محمد .
2- التجارة بين شمال أفريقيا وبلاد جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام (185 – 986 هـ/801 – 578 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الفاتح ، (طرابلس ، 2004 - 2005 م) .
- خليفـــــة : نعيمة محمد .
3- المعرفة الصوفية عند الغزالي والزروق في البرهان والعرفان، دراسة تحليليـــة نقديـــة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة التحدي ، (سرت ، 2008 م) .
- الطوخـــي : وداد نصر .
4- مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، (القاهرة ، 1986 م) .
- عابـــــدين : أحمد فتوح .
5- الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، (القاهرة ، 1989 م) .
- لـــــــوح : أحمد انداك .
6- الاستعمار الغربي وأثره على علائق التواصل بين شمال أفريقيا والسودان الغربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدعوة الإسلامية ، (طرابلس ، 2001 م) .